التراث اللغوي العربي

و

علم اللغة الحديث

الدكتور حسام البهنساوي

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية

التراث اللغوي العربي
و
علم اللغة الحديث

تأليف
الدكتور حسام البهنساوي
وكيل كلية دار العلوم
رئيس قسم علم اللغة
جامعة القاهرة - فرع الفيوم

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية

٥٢٦ شارع بورسعيد / القاهرة ت : ٥٩٢٢٦٢٠ ـ ٥٩٢٨٤١١ فاكس : ٥٩٣٦٢٧٧

ص.ب ٢١ توزيع الظاهر ـ القاهرة

E-mail : alsakafa-alDinaya@hotmail.com

رقم الايداع	٢٠٠٤/٧٠٩٩
الترقيم الدولي I.S.B.N	977-341 - 141-9

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

التراث اللغوى العربى. وعلم اللغة الحديث

تزخر المكتبة اللغوية العربية بالعديد من صنوف التآليف اللغوية على مختلف المستويات فى الأصوات والأبنية والتراكيب والدلالة، وغيرها من القضايا والظواهر، التى استوعبت كل ما يتعلق باللغة العربية الفصحى ولهجاتها فى جميع أنحاء الدولة الإسلامية الكبرى.

لقد نهض العلماء العرب بدراسة هذه اللغة، وألفوا هذا الكم الهائل من الأعمال والكتب والرسائل والمؤلفات، تدفعهم رغبة صادقة، وتحفزهم همة قوية فى الحفاظ على اللغة العربية الفصحى، باعتبارها الوعاء والقالب للقرآن الكريم، دستور الإسلام والمسلمين، من أن يصيبها اللحن والانحراف، وبخاصة بعد أن انتشر الدين الإسلامى فى أنحاء الدنيا، ودخل الناس والشعوب فى دين الله أفواجا، فمن المعلوم أن اللغة - أية لغة - باعتبارها كائن حى، يؤثر فيها غيرها من اللغات وتتأثر بها أيضًا، فخشى العلماء الغيورون المخلصون على سلامة هذه اللغة الشريفة من أن تتحول أو تتبدل أو تتغير بفعل هذا التأثير والتأثر، ويطول العهد بذلك التغيير، فتنغلق أفهام المسلمين وعقولهم على القرآن الكريم.

وكانت رغبة الأمم المفتوحة الذين اعتنقوا هذا الدين الإسلامى الحنيف رغبة قوية فى تعلم هذه اللغة العربية الشريفة، ليتمكنوا من أداء العبادات والصلوات، باللسان العربى المبين، كما كانت هذه الرغبة ـ أيضًا ـ دافعًا قويًا، وعاملاً مؤثرًا فى إقبال العلماء على دراسة اللغة العربية، ليتمكن هؤلاء المسلمون من غير العرب من القدرة على تعلمها وتيسير النطق بها.

ونشأت بذلك حركة علمية وتعليمية على السواء، وتبارى العلماء فى هذا الميدان، حيث أولت الدولة اهتمامها بهذه الحركة العلمية الناشئة، فشجعت العلماء على التأليف والترجمة من اللغات الأخرى، وما تتميز به ثقافاتها وتراثها من علم وفن وحكمة وغير ذلك.

لقد أبدع العلماء العرب فى دراسة الأصوات العربية، للدرجة التى جعلت المستشرق الألمانى: برجشتراسر يصرح بقوله: «لم يسبق الأوربيين فى هذه الدراسة (يعنى الأصوات) إلا قومان: العرب والهنود».

فلقد تميزت هذه الدراسات الصوتية عند العلماء العرب بسمات وخصائص تجعلها فى هذه المكانة المرموقة، فلقد أحاطت هذه الدراسات بأصوات اللغة العربية الفصحى ولهجاتها المختلفة وصفًا عضويًا دقيقًا، على المستوى النطقى والسمعى، فتحدثوا عن مخارج الأصوات ومدارجها، كما تحدثوا عن صفاتها المتنوعة التى تصاحب الأصوات عند نطقها، ويتجلى ذلك فيما صنعه الخليل فى كتابه: العين وسيبويه والمبرد وابن جنى وغيرهم من العلماء، كما كانت لجهود كل من: ابن سينا والفارابى أثر واضح فى دراسة الأصوات العربية دراسة تجريبية فيزيقية.

ولسنا نبالغ ذكر الحقيقة عندما نؤكد أن العلماء العرب، قد درسوا الأصوات العربية دراسة وصفية محضة بقطع النظر عن كونها موجودة فى سياق لغوى، أى تلك الدراسة المادية الخالصة، التى يطلق عليها فى الدرس اللغوى الحديث بالدراسة الفوناتيكية.

كما أجاد العلماء العرب فى دراسة ما يطرأ على الأصوات العربية من تغييرات بسبب وجودها فى سياق، من إدغام وإقلاب وغيرها من التغييرات، التى يطلق عليها فى الدراسات الصوتية الحديثة، بالدراسة الفونولوجية.

أما فى مجال الدراسة الصرفية والأبنية، فقد أجادوا فيها أيما إجادة، ونشأت فى بحوثهم دراسات تصريفية وأخرى صرفية وبحوث فى الاشتقاق وأبنية الصيغ وأوزانها وغير ذلك.

ويمكننا القول بأن دراسات العلماء العرب فى هذا المستوى الصرفى تماثل ما يطلق عليه فى الدراسات اللغوية الحديثة بالتوزيعية والمنهج القالبى.

وفى مجال الدراسة النحوية، فقد بلغت هذه الدراسات عند العلماء العرب شأواً وشأناً كبيراً، وظهرت مدارس واتجاهات ذات خصائص وسمات كمدرسة البصرة والكوفة والمدرسة البغدادية والمصرية والأندلسية ولا غرابة أن نجد هذا الكم الهائل من المؤلفات النحوية التى تمثل أساساً قويًا ودرعًا متينًا وحصنا منيعًا للحفاظ على سلامة اللغة العربية الفصحى من اللحن والانحراف، لتبقى هذه اللغة الشريفة، لغة القرآن الكريم حية مفهومة لدى عقول جميع متكلميها من المسلمين، وقد ضمن رب العزة ـ سبحانه

وتعالى ـ البقاء والخلود لهذه اللغة بقوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾.

أما دراسات العلماء العرب في مجال الدلالة والمعجم، فإنها تشهد ـ بحق ـ قدرتهم على استيعاب مفاهيم هذا المستوى اللغوى، وإجادتهم فى دراسته، تشهد بذلك مؤلفاتهم وبحوثهم، وما أنتجوه من معاجم لغوية على شتى أنواعها ومناهجها، كما تشهد بذلك. الرسائل اللغوية العديدة التى تمثل نمطا تأليفيًا فريدًا يماثل ـ تمامًا ـ ما يطلق عليه فى الدراسات اللغوية الحديثة بنظرية الحقول الدلالية.

إن دراسة العلماء العرب للعديد من الظواهر اللغوية كالترادف والمشترك اللفظى والأضداد والمعرب والدخيل وغير ذلك من قياس واشتقاق، يدل على أن هؤلاء العلماء لم يتركوا شاردة ولا واردة تتعلق بهذه اللغة العربية إلا وكان لهم فيها قدم راسخة وباع واسعة درسًا وفحصًا وتمحيصًا.

وهذا الكتاب، الذى نقدمه للقارئ الكريم يشتمل على قطوف من هذا البستان اللغوى الوافر، قصدنا من خلاله أن نقدم بعض هذه الجهود الصادقة لبعض أعلامنا وعلمائنا الأجلاء، لنرى مدى ما بذلوه من جهد خالص، وإتقان علمى معجب، ودراسات منهجية فريدة، وبخاصة عندما نقدم هذه الدراسات التراثية العربية الأصيلة فى ضوء معطيات الدراسات اللغوية الحديثة، لنقف على ما تتميز به هذه الدراسات عند العلماء العرب من خصائص وسمات وما توصل إليه هؤلاء العلماء من درجة عالية من الدقة العلمية والمنهجية تضعهم على قدم المساواة فى كثير مما توصلوا إليه مع ما توصلت إليه الدراسات اللغوية الحديثة من نتائج ونظريات.

إن إعادة قراءة هذا التراث اللغوى عند العرب أمر واجب على الدراسين والباحثين الغيورين من أبناء العربية فى كل مكان وزمان، لتبقى هذه الأعمال منبعًا ثريًا، ومعينًا لا ينضب، وتأصيلاً للدراسـات اللغوية العربية المعاصرة، وإحياء لهذه الدراسات ولأصحابها الذين نهضوا بها على مدار الزمان.

ومن ثم، فـقـد حـرصت أن أقدم هـذا الكتـاب الذى يطوف على هذه المكتبة العربية التراثية العامرة، وانتقيت من أعلامها علمين شامخين، الأول: اللغوى الألمعـى الشهير: ابن جنى (ت ٣٩٥ هـ) وخصـصـت له دراسة فى كتـابة الهام: الخصـائص بعنوان: «القيمـة اللغوية لكتاب الخـصائص لابن جنى، مع دراسة فى مصادره وآرائه والثانى: اللغوى الشهير: أحمد بن فارس (ت ٣٩٥ هـ) وخصـصـت الدراسة فى كـتابه: الصـاحبى بعنوان: «القـضايا اللغـوية فى كتـاب: الصـاحبى لابن فـارس» فى ضـوء الدراسات اللغـوية الحديثة.

كمـا حرصت أن يشتمل هذا الكتاب على معالـجة قضيـة هامة أثارت تساؤلات العلماء قديمًا وحديثًا، وهى قضـية الاستشهاد بلغة الحديث النبوى الشـريف، والأسـباب التـى أدت إلى عدم لجـوء العلمـاء العـرب الأوائل للاستشهاد بها، وجاءت تلك الدراسات تحت عنوان: «الاطراد والعدول فى لغـة الحـديث النبـوى الشـريف ـ دراسـة أسلوبيـة فى الأصـوات والأبنيـة والتراكيب».

كما يشتـمل هذا الكتاب أيضًا على قضية لغـوية هامة، وهى المجازات المنسية فى اللغة العربية.

يهدف البحث من خلالها أن يميط اللثام عن كثير من الألفاظ العربية، التى تحولت دلالاتها العربية القديمة، لتصبح فى الاستعمال اللغوى العربى التراثى (الفصيح واللهجى) بعد كثرة استعمالها وطول العهد بها دلالات حقيقية، وقد أفادت الدراسة من معطيات النظريات الدلالية الحديثة في تفسير هذه المجازات المنسية، والقرائن والعلاقات التى حولتها إلى استعمالات حقيقية فى الواقع اللغوى الاستعمالى.

وبعـــــد..

فأرجو أن تكون هذه البحوث والدراسات حول تراثنا اللغوى العربى، أعلامه وظواهره، قد قدمت جزءاً يسيراً من هذه المكتبة الزاخرة، وأن تحفز هذه الدراسة الدارسين والباحثين فى الإقبال على تراثنا اللغوى العربى ودراسته فى ضوء معطيات الدراسات اللغوية الحديثة.

والله الموفق إلى الرشد والصواب

حسام البهنساوى

المبحث الأول

القضايا اللغوية فى كتاب الصاحبى لابن فارس
فى ضوء النظريات اللغوية الحديثة

القضايا اللغوية
في كتاب «الصاحبي» لابن فارس
في ضوء مناهج البحث اللغوى الحديث

مقدمـــــــة:

يُعدُّ كتاب «الصاحبى» فى فقه اللغة العربية وسنن العرب فى كلامها لأحمد بن فارس (ت ٣٩٥ هـ) واحدًا من المؤلفات اللغوية القيمة فى تراثنا اللغوى العربى، فالكتاب يتضمن العديد من الموضوعات المتنوعة: منها ما يتعلق بعلوم اللغة بوجه عام، وأخرى تتعلق بفقه اللغة العربية، سواء ما يتصل منها بالدراسة النحوية والصرفية والصوتية، أم ما يتعلق منها بموضوعات تتصل بعلوم الأدب والبلاغة.

والكتاب على هذا النحو، يحتاج إلى دراسة علمية، تكشف عما يحتويه من قضايا هامة ودراسات لغوية مفيدة، تضع هذا الكتاب فى مكانته العلمية اللائقة.

وهذه الدراسة التى ننهض بها، من عرض للقضايا اللغوية فى كتاب «الصاحبى» لابن فارس، فى ضوء المناهج اللغوية الحديثة، تهدف إلى إبراز القيمة العلمية لهذا الكتاب، فهو مؤلف لُغوى قيِّم، ومؤلفه عالم لُغوى جليل، من علماء العربية، ينتسب إلى مدرسة الكوفة، وهو تلميذ لشيخ من شيوخها المشهورين، وهو أحمد بن يحيى (ثعلب) (ت ٢٩١ هـ) كما تتلمذ على ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) من علماء البصرة.

وأحمد بن فارس هو صاحب التصانيف والمؤلفات العديدة، التي تصل إلى حوالي سبعة وأربعين مؤلفا، كما حصرها الأستاذ/ أحمد صقر محقق الكتاب.

والحق، إن هذه المؤلفات العديدة، تطوف بين ربوع المكتبة العربية والإسلامية فثَمَّة مؤلفات في مجال الدراسات اللغوية، كهذا الكتاب «الصاحبي» الذي نعنى بدراسته، ومنها ـ أيضًا ـ معجمان فريدان في منهجهما، وهما: «المجمل» و «المقاييس» جعل الترتيب فيها على حسب الأصل الأول للكلمة، وقد استحدث ابن فارس نظامًا يسمى: «نظام الدائرة» حيث إنه لا يعتبر حروف الهجاء وحدة ذات بداية هي الهمزة، ونهاية هي الياء، وإنما اعتبرها دائرة، تبدأ من أي حرف، لتنتهي عند الحرف الذي يسبق حرف البداية، وهكذا تدور الكلمات في الدائرة، ويمتاز كتاب «المقاييس» باشتماله على فكرتين جديدتين في حركة التأليف المعجمي العربي، وهما فكرتا: الأصول والنحت، وهما فكرتان لغويتان جديرتان.

وثمة مؤلفات أخرى في مجال الدراسات الفقهية والشرعية، نذكر منها كتابه: «جامع التأويل في تفسير القرآن» وكتابه: «حلية الفقهاء» وكتابه: «فتيا فقيه العرب» وغيرها.

وثمة مؤلفات أخرى في مجال الدراسات الأدبية والبلاغية، نذكر منها كتابه: «تمام الفصيح» وكتابه: «أبيات الاستشهاد» وكتابه: «ذم الخطأ في الشعر» وغير ذلك من المؤلفات المتنوعة.

أما كتاب «الصاحبي» فإنه يبدأ بمقدمة، ضمَّنها ابن فارس الهدف من

تأليفه هذا الكتاب وقد لخص هذا الهدف في عبارة موجزة، يقول فيها: «هذا الكتاب الصاحبي في فقه اللغة العربية وسنن العرب في كلامها»[١] يذكر أن لعلم العرب أصلاً وفرعًا، وأن هدفه في هذا العمل، هو البحث عن أصول علم العربية، ويذكر بأن موضوعات كتابه هذا مشتتة هنا وهناك، بين ثنايا أعمال السابقين ومؤلفاتهم، وأن ما صنعه هو اختصار مبسوط أو بسط مختصر أو شرح مشكل، أو جمع متفرق»[٢].

ويشتمل الكتاب على مائتين وستة عشر بابًا وعنوانًا، غير المقدمة، يبدأها بباب «القول على لغة العرب أتوقيف أم اصطلاح»[٣] ويختتمه بباب سماه «باب الشعر»[٤].

وتتناول هذه الأبواب العديدة مجموعة من القضايا اللُغوية القيمة والهامة، يقدمها البحث في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة:

---

(١) الصاحبي ٣.

(٢) انظر: الصاحبي ٥.

(٣) الصاحبي ٦.

(٤) الصاحبي ٤٦٥.

القضايا اللغوية فى كتاب الصاحبى

قضـــية الأصــــل والفرع

وقد ذكرها ابن فارس فى التمهيد، وهى من القضايا اللغوية الهامة، التى أصبحت مثار بحث ونقاش، لدى علماء اللغة المعاصرين.

يذكر ابن فـارس «أن لعلم العرب أصـلاً وفرعًـا، أما الفرع، فـمعـرفة الأسماء والصـفات، كقولنا: «رَجُلٌ وفرس وطويل وقـصير، وهذا هو الذى يبدأ به عند التعلم.

وأما الأصل، فـالقول على موضـوع اللغة وأوليتـها ومنشـئها، ثم على رسوم العـرب فى مخاطباتهـا، ومالها من الافتنان تحـقيقًا ومـجازًا»[١] ثم يعقب على ذلك بقـوله: «الناس فى ذلك رجلان: رجل شغل بالفـرع، فلا يعرف غيره، وآخر جمع الأمرين معًا، وهذه المرتبة العلياء»[٢].

والحق، إنّ ابن فـارس فى تقسيـمه للعلم العـربى، وتقسـيمه للـعلماء والباحثين على هذا النحو، إنما يتفـق مع ما ينادى به العالم اللغوى الشهير: نعوم تشـوسـمكى: N. Chomsky رائد النظرية التـوليدية التحـويلية، وفى أحدث مراحل نظريته، وهى المرحلة النموذجية الأكثر توسعًا، وما يرتبط بها من تعمق وتوسع فى نظرية العامل والاعتماد على المبادىء والأسس ومعايير التغيـير (البارامتـرات) فى نظرية النحو الكلى، حيث يتركـز الهدف الرئيسى للباحث على تحقيق الكفـاءة التفسيرية للغة، بدلاً من مجـرد تحقيق الكفاءة الوصفية.

وينبغى منذ البـداية، ألا يخفى علينا، أن ابن فـارس، لم يرد أن يحدثنا

(١) الصاحبى ٣.
(٢) الصاحبى ٣.

عن قضية اللغة ومنشئها، وغير ذلك من قضايا الأصل كما ذكرها تشومسكى وهو يعنى بها: اللغة بإعتبارها ظاهرة إنسانية، كما أنه لم يُرد من دراساته عن موضوعات تتعلق بالأصل، أن يتوصل إلى حقائق اللغة المعقدة، وعلاقاتها بالنظم الإدراكية، والقدرات العقلية، كما هو الحال عند تشومسكى وغيره، فلم يزد ابن فارس عن مجرد الحديث عن اللغة العربية.

ونحن بدورنا لا نطالبه بأكثر من ذلك، ولم نكن نتطلع منه إلى أكثر مما قدّم فى هذا الزمان البعيد، الذى لم تكن تتوفر للعلماء فيه وسائل للبحث العلمى من تقنيات وتكنولوجيا ومناهج حديثة فى البحوث والدراسات.

إن تقسيم ابن فارس الباحثين إلى قسمين على النحو السابق، يتفق مع ما ذكره تشومسكى عن مراحل التطور فى البحث اللغوى، فثمة مرحلة الكفاءة الوصفية، التى ركز فيها الباحثون على مجرد الوصف والتحليل اللغوى للغة، التى أطلق عليها تشومسكى: اللغة المجسدة[1].

أما مرحلة الكفاءة التفسيرية، فهى المرحلة التى تركزت فيها الدراسات والأبحاث على اللغة المبينة داخليًا، أى تفسير اللغة بأعتبارها ظاهرة إنسانية ذات صلة بالقدرات العقلية والنظم الإدراكية والتكوينات والجينات الإنسانية[2].

---

(١) المعرفة اللغوية ٧٧ وما بعدها، حيث يذكر تشومسكى أن النحو فى الاستخدام الشائع، وصف للغة أو نظرية حولها: هو مادة يؤلفها اللغوى... وأن الدراسات اللغوية البنيوية، واللغويات الوصفية، وكذا علم النفس الإدراكى وغيرها من المداخل المعاصرة، قد اتجهت إلى تصور اللغة كمجموع من الأحداث أو المنطوقات أو الأشكال اللغوية (كالكلمات والجمل) يزواج بينها وبين المعانى، أو كنظام من الأشكال أو الأحداث اللغوية.

(٢) انظر: المعرفة اللغوية ٨٢، حيث يذكر تشومسكى أن قضايا النحو، هى قضايا نظرية العقل =

قضية نشأة اللغة العربية:

وحول هذه القضية، نجد ابن فارس يتعصب للغة العربية، باعتبارها لغة القرآن الكريم، ولم يشأ أن يعالج هذه القضية معالجة مجردة، كما عالجها ابن جنى فى كتابه: «الخصائص»[١] وكما نقلها فيما بعد السيوطى فى كتابه: المزهر فى علوم اللغة وأنواعها»[٢].

يقرر ابن فارس أن لغة العرب توقيف وإلهام، ويبرهن على ذلك بقول الحق ـ سبحانه ـ: ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ (البقرة: ٣١) ويرفض أن تكون اللغة العربية اصطلاحًا، ويذكر أنه لم يبلغه أن قومًا من العرب، فى زمان

▪ حول اللغة المبينة داخليًا، ومن ثَمَّ، فهى قضايا حول الدماغ/ الذكاء brain ثم تحديد صيغها فى مستوى معين من التجريد عن الآليات، وهذه البنى أشياء محددة فى العالم بخصائصها المحددة أيضًا. . . ويقول ـ أيضًا ـ إن مفهوم النحو الكلى حينئذ تفهم على أنها نظرية اللغات الإنسانية المبينة داخليًا، على أنه نظام من القيود مستقى من الموهبة البيولوجية الإنسانية، التى تحدد هوية اللغات المبينة داخليًا.

وقد ذكر تشومسكى هذه التصورات الخاصة بالكليات اللغوية المتعلقة بالوصول إلى دراسة الكفاءة التفسيرية فى كتابه: «مظاهر النظرية اللغوية» Aspects of the theory of syntax, P 25 حيث ذكر أن دراسة الكليات اللغوية، هى دراسة سمات أى نحو توليدى للغة الطبيعية، وهى ترتبط إما بالمكون التركيبى أو الدلالى أو الفونولوجى وإما بالعلاقة المتبادلة بين هذه المكونات. . . وهو يقسم هذه الكليات إلى قسمين:

١- الكليات الصورية: التى تتعلق بسماح القواعد التى تظهر فى الأنحاء المختلفة بالطريقة التى ترابط بها، وذكر من هذه القواعد: القواعد التحويلية.

٢- الكليات المادية وهى تهتم بالآليات الخاصة بوصف اللغة، كأقسام الكلمة والسمات الفونولوجية وما تشير إليه العناصر المعجمية فى كل لغة طبيعية.

Aspects of the theory of syntax, p 28, 29.

(١) الخصائص ١/ ٤١ وما بعدها.

(٢) المزهر فى علوم اللغة وأنواعها ١/ ٨ – ١٠.

يقارب زماننا، أجمعوا على تسمية شيء من الأشياء، مصطلحين عليه، فكنا نستدل بذلك على اصطلاح قد كان قبلهم(١).

ولم يكن ابن فارس وحده، هو الذى تعصّب للغته العربية، فقد تعصّب العلماء، فى شأن اللغة الإنسانية الأولى، للغاتهم القومية أيضًا، وثمة أمثلة ونماذج عديدة تمتد بنا عبر فترات التاريخ البشرى، قديما وحديثًا، حول هذا التعصب(٢).

وهذه القضية اللغوية، تُعدُّ من القضايا التى اختلفت فيها وجهات نظر العلماء اختلافا كبيرًا، حيث اتسمت فيها البحوث والدراسات بالعصبية الدينية والقومية من ناحية، وبالتخمين غير المبرهن من ناحية أخرى، ولم يتوصل فيها العلماء إلى نتائج حاسمة، وإجابات حول ماهية اللغة الإنسانية الأولى، ويذكر [ماريو باى] أنه، «فيما يختص بنشأة اللغة وطبيعتها، لدينا مصادر تعتمد على الأساطير والحديث المنقول، والمناقشات الفلسفية، ولكن تنقصنا الحقائق العلمية فى هذا الصدد»(٣).

وكما برهن ابن فارس فى القول بأن اللغة العربية وحيٌ وإلهام من عند الله تعالى مُدلّلاً على قوله بآيات من القرآن الكريم، فإن علماء اليهود، يدللون على أن اللغة العبرية وحيٌ وإلهام ـ كذلك ـ حيث استدلوا ببراهين نقلية، اقتبسوها من الكتب المقدسة، فيذكرون ما ورد فى التوراة من قولها: «وجعل الرَّبُّ الإله من الأرض، كل حيوانات البرية، وكل طيور السماء،

(١) الصاحبى ٨.

(٢) انظر: لغات البشر ١٩ واللغة، لفندريس ٣٤ ودلالة الألفاظ ٩ - ١١ والمدخل إلى علم اللغة ١٢٣ - ١٢٤.

(٣) لغات البشر ١٧.

فأحضـرها إلى آدم، ليرى ماذا يدعوها، وكل ما دعـا به آدم ذات نفس حية فهـو اسمها، فـسمى آدم جميع البـهائم، وطيور السـماء وجميع حـيوانات البرية[١].

ونحن نرى أن ما ذكره ابن فارس، وغيـره من العلماء، حول القول بأن اللغة الإنسانية وحى وإلهـام، لا يستند إلى دليل نقلى أكيد، فلم يرد فى آيات القـرآن الكريم، بأن اللغة التى علمـها الله ـ سـبحـانه وتعالى ـ لآدم علـيه السلام، هى اللغة العربية، وكذلك الحال بالنسبة لما ورد فى التوراة، حيث لم يرد فى النص المنقول، ما يؤكـد أنها اللغة العبرية أو غـيرها، فلم يحدد لنا القـائلون بهـذه النظرية اللغـة الإنســانية الأولـى تحديداً تؤيـده الأسانيـد المنقـولة، ولذا فإننا نجـد العلماء، يذهبـون فى هذا الشأن مـذاهب أخرى متنوعة، فهناك من العلماء من يقـول بمذهب المواضعة والاصطلاح، حيث يرون أن اللغة من اصطلاح الإنسان ومـواضعته[٢]، وهؤلاء العلمـاء ـ أيضًا ـ لم يذكروا اللغة الإنسانية الأولى.

ويرى علماء آخرون أنها تقليد ومحاكاة لأصوات الطبيعية[٣]، ويرى فريق آخـر من العلماء، أن اللغـة الإنســانية، نشـأت فى أول الأمـر كتنفـيس عن النفس، أى أنها بدأت لغة انفعالية، تشبـه مرحلة الأصوات الساذجة التلقائية الانبعاثية عند الطفل، ثم تأتى فيمـا بعد مرحلة الألفاظ والعبارات والجمل، وقد سخر من هذه النظرية «ماكس موللر» وكـثير من العلماء، لأنها لم تبين

---

(١) سفر التكوين ٢/ ١٩ - ٢٠.

(٢) الخصائص ١/ ٤٤ - ٤٥.

(٣) الخصائص ١/ ٤٦ - ٤٧.

منشأ الكلمات الكثيرة، التى يمكن ردُّها إلى أصوات انفعالية، ولم تشرح السِّر فى تحول الأصوات الانفعالية إلى ألفاظ وتراكيب[١]، ويرى فريق آخر أن نشأة اللغة الإنسانية تعود إلى الاستعداد الفطرى، وينتصر لهذا المذهب العالم الألمانى: «ماكس موللر»[٢] كما يقول العالم الألمانى «جيْجَر» Geiger بنظرية «الملاحظة» أى أن اللغة الإنسانية الأولى جاءت تعبيراً عما لاحظه الإنسان من أعمال وإشارات، أثارت انتباهه، فصدرت منه أصوات تلقائية، تعبر عن هذه الملاحظة[٣].

ويرى فريق آخر القول بنظرية «التطور اللغوى» متأثرين فى ذلك بنظرية التطور عند: دارون «Darioin» وقد قارن هؤلاء العلماء بين تطور اللغة عند الطفل واللغة عند الإنسان، وهم يقررون أن لغة الإنسان الأول، قد مرت بمراحل فطرية متعددة متتابعة، تتناسب مع مراحل النمو العقلى»[٤].

ويبدو من العرض السابق لهذه النظريات والمذاهب، أنها جميعًا، لم تجب عن السؤال: ما اللغة الإنسانية الأولى التى تكلم بها آدم عليه السلام؟.

قضية الخط العربى

يفرد ابن فارس لهذه القضية بابًا، يرى فيه أن الخط العربى توقيف من عند الله ـ عز وجل ـ وأنه أقدم الخطوط، حيث يقول: «إن أسماء هذه

(١) انظر: المدخل إلى علم اللغة ١١٢ - ١١٤.
(٢) انظر: المدخل إلى علم اللغة ١١٤ - ١١٦.
(٣) انظر: المدخل إلى علم اللغة ١١٦ - ١١٧.
(٤) انظر: المدخل إلى علم اللغة ١١٧ - ١١٨.

الحـروف، داخلة في الأسماء، التي أعلم الله ـ جل ثناؤه ـ أنه علمـها آدم عليه السلام، وقد قال ـ جل وعز ـ: ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ (الرحمن: ٤) فهل يكون أول البيان إلا علم الحروف التي وقع بها البيان؟ ولم لا يكون الذي علم آدم ـ عليه السلام ـ الأسماء كلها، هو الذي علمه الألف والياء والجيم والدال؟»[(١)] وهو يدافع عن قناعته في كون الخط العربي من أقدم الخطوط، حيث نسب بدايته إلى آدم عليه السلام، ويقول بدحض الحجج، التي تقول بأن الأعراب، لم يفهموا معنى الهمز والجر والكاف والدال بأننا «لم نزعم بأن العرب كلها مدراً ووبراً، قد عرفوا الكتابة كلها والحروف أجمعها، وما للعرب في قديم الزمان، إلا كنحن اليوم، فما كل يعرف الكتابة والخط والقراءة»[(٢)] كما يعقب على عدم فهم أبي حية النميري لمدلول الحرف الأبجدي، بأن أبا حيَّة، كان أمس، وقد كان قبله بالزمن الأطول، من يعرف الكتابة، ويخط ويقرأ...»[(٣)].

وليس من شك أن حبَّ ابن فارس لهذه اللغة الشريفة، وتعصبه لها، باعتبارها لغة القرآن الكريم، قد دفعه إلى هذا الموقف، الذي لا يستند إلى الدليل العلمي والبرهان العقلي أو النقلي للحقائق اللغوية، فالمعلوم أن أقدم ما توصل إليه العلماء من تراث لغوي لحقائق اللغة العربية ونقوشها، هو ما يعرف بالنقوش الثمودية واللحيانية والصفوية، نسبة إلى قبائل ثمود ولحيان وهي قبائل عربية قديمة، استوطنت شمالي الجزيرة العربية[(٤)].

---

(١) الصاحبي ١٢. (٢) الصاحبي ١٢. (٣) الصاحبي ١٢.

(٤) انظر: تاريخ اللغات السامية، لإسرائيل ولفنسون ١٧٨ – ١٨٧، وكذا: اللغة العربية في عصور ما قبل الإسلام، لأحمد حسين شرف الدين ٥٧ – ٦٧ وكذا: فصول في فقه العربية ٥٠ وما بعدها.

ويبدو أن الخط الذى كتب به هذه النقوش، يشبه إلى حد بعيد خطوط اللغة القتبنية والمعينية: التى سماها العلماء العرب اللغة الحميرية، وهى لغة تكتب من الشمال إلى اليمين فى الغالب، كما أنها خالية من رموز للحركات القصيرة والطويلة على السواء، وهو نفسه الخط المسند، الذى ذكره العلماء العرب[١].

وفيما لو أحسنا الظن فى أن هذه النقوش، تمثل اللغة العربية فى عصورها القديمة، ينبغى أنها لا تمتد فى أعماق التاريخ، كما هو الحال فى النقوش التى عثر عليها العلماء، فى لغات أخرى سامية، كاللغة الأكادية ـ مثلاً ـ التى يرجع عمر نقوشها الزمنى إلى ما يقارب ٢٣٥٠ عامًا ق.م. وقد قام العالم الإنجليزى: «رولنسون» «Rawlinson» بحل رموز هذه النقوش فى عام ١٨٤٧م[٢]، وأما قصيدة: «دبورة» التى تمثل أقدم نصوص اللغة العبرية، فإنها ترجع إلى عصر الفتح، أى الألف الثانية قبل الميلاد، كما عثر العلماء على خطابات تسمى: «خطابات تل العمارنة» كتبت بلهجات كنعانية جنوبية، ترجع إلى حوالى ١٤٢٥ – ١٣٥٠ق.م، أرسل بها أمراء سوريا وفلسطين إلى فراعنة مصر فى ذلك الوقت، باللغة الأشورية، وبها تعليقات بالكنعانية[٣].

ومعلوم ـ أيضًا ـ أن الأبجدية العربية، ترجع فى أصولها الأولى إلى الخط النبطى، الذى كان منتشرًا فى شمالى شبة الجزيرة العربية، فى منطقة

(١) انظر: فصول فى فقه العربية ٥٠ وما بعدها.

(٢) انظر: فصول فى فقه العربية ٢٦، وانظر ما أورده الهمدانى من أمثلة فى الاكليل ١٠/ ١٦.

(٣) انظر: فصول فى فقه العربية ٢٨، ٣٠.

الحيرة والأنبار، قبل مجيء الإسلام وهؤلاء النبط من الأقوام السامية، التى كانت تتكلم لهجة أرامية، من تلك التى كانت شائعة فى كل من سوريا والعراق، وقد اشتق هؤلاء النبط خطوط أبجديتهم من الخط الفينيقى، وهذا الخط الفينيقى أفادت منه كثير من شعوب العالم القديم، بعدما أحدثوا فيه بعض التغييرات على مر الزمان»[1].

أفضلية اللغة العربية على غيرها من اللغات:

تعبر هذه القضية، التى أثارها ابن فارس عن موقفه الثابت من تعصب وحب لهذه اللغة المقدسة، باعتبارها لغة القرآن الكريم، فهى القالب والوعاء، الذى صُبّتْ فيه آيات الذكر الحكيم، بما يشتمل عليه من فصاحة وبيان وإعجاز، ومن ثم تأتى قناعة ابن فارس، حيث يقول: «فلما خص ـ جل ثناؤه ـ اللسان العربى بالبيان، علم أن سائر اللغات قاصرة عنه، وواقعة دونه»[2] ونحن نتفق مع ابن فارس كل الاتفاق من هذه الوجهة، وأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ قد اختار هذه اللغة العربية الشريفة، دون سائر اللغات الإنسانية على كثرتها، وقدرة كثير منها على الإبانة والفصاحة، حيث كانت هناك لغات حية معاصرة لعهد نزول الوحى الأمين على الرسول محمد (ﷺ) بالقرآن الكريم، وكانت لهذه اللغات مكانة وشأن وفكر وأدب رفيع، كاللغة اللاتينية واللغة الفارسية وغيرها، وقد أفادت اللغة العربية من هذه اللغات المحيطة بها فى عصورها المختلفة، سواء أكان ذلك قبل الإسلام أم بعد الإسلام.

---

(١) انظر: فصول فى فقه العربية ٣٩٨.

(٢) الصاحبى ١٦.

لكن ابن فارس ينطلق من هذه القناعة إلى الحكم على جميع اللغات غير العربية بالقصور والعجز والعي عن الإفصاح والبيان والبلاغة وغيرها من التعبيرات المجازية العديدة، فهو يقول: «فإن قال قائل: فقد يقع البيان بغير اللسان العربي، لأن كل من أفهم بكلامه على شرط لغته فقد بيَّن، قيل له: إن كنت تريد أن المتكلم بغير العربية، قد يعرب عن نفسه، حتى يفهم السامع مراده، فهذا أخسُّ مراتب البيان، لأن الأبكم قد يدل بإشارات وحركات له على أكثر مراده، ثم لا يسمى متكلمًا، فضلاً عن أن يسمى بينًا أو بليغًا، وإن أردت أن سائر اللغات تبين إبانة اللغة العربية، فهذا غلط، لأنا لو احتجنا إلى أن نعبر عن السيف وأوصافه باللغة الفارسية، لما أمكننا ذلك إلا باسم واحد، ونحن نذكر للسيف صفات كثيرة، وكذلك الأسد والفرس وغيرها من الأسماء المسماة بالترادف»[1] ويتساءل ابن فارس متدهشًا، فيقول: «فأين هذا من ذاك؟ وأين لسائر اللغات من السعة ماللغة العرب؟ هذا ما لا خفاء به على ذي نُهْيَة»[2].

ونحن هنا لا نتفق مع ابن فرس في القول بأفضلية لغة على أخرى، ومن هذه الوجهة، نحن نتفق معه في أن اللغة العربية الفصحى، هي وحدها اللغة المؤهلة، لأن تكون قالبًا لآيات الذكر الحكيم، ولكننا لا نقبل منه القول، بأن اللغات الأخرى، غير العربية، لا تملك عناصر الفصاحة، ومقومات البلاغة والمجاز وأدواتها.

إن دعوى القول بوجود لغات متحضرة «Civlized language» ولغات بدائية «Primitive language» هي دعوى مرفوضة من قبل علماء اللغة

(١) الصاحبي ١٦ - ١٧.
(٢) الصاحبي ١٧.

المعـاصرين، فليس هناك ما يطلق عليـه باللغة المتقـدمة واللغة المتـخلفة، حيث يقرر هؤلاء العلماء، أن الثروة اللفظية لأية لغة من اللغات، قادرة على تصـوير المـعتـقدات والـتقـاليـد والحضـارة السـائدة في المـجتـمع الذى يستعملها[١]، وبناءً على ذلك، فإنه لا يمكن القول بأن هناك لـغة ما بدائية أو أكثر تقدمًا عن لغة أخرى[٢] بل إننا في ضوء هذه الحقيقة، يمكننا أن نقرر أن الفرق بيـن أى لغة بدائية، وأخـرى متـحضرة، لا يمكن بحـال أن يزيد عن الفرق بين لغتين بدائيتين، أو بين أى لغتين متحضرتين[٣].

نحن لا ننكر تأثيرات البـيئة والمجتمع على الـلغة، وأن هناك تفاوتًا بين طبقات المجتمع اللغوى، وقد ذكر [ماريوباى] بأنه «من المسلم به أن اللغة تتغيـر تبعًا للطبقـة، التي تتحدث بها، وقد صـرح بعض هواة اللغويات في بريطانيا، بأن هناك نوعين من اللغة، أحدهمـا وقف على الطبقة الراقية، ولا يمتد استعمالها إلى الطبقة الدنيـا، وهناك لغات تصل الفوارق الطبقية فيها، إلى أبعد من ذلك، فهناك ـ مثلاً ـ ثلاثة أنواع للغـة (جاوا) أحدها يتحدث به أهل الطبـقة الدنيـا، ويـسـمى: نجوكـو Ngoko والآخر تسـتخدمه الطبـقة الراقيـة، ويسمى: كـراما Krama وثالث، لتـسـهـيل عـملية الـتفـاهم بين الطبقتـين، ويسمى: ماديا Madya ويتحـدث أفراد الطبـقة الراقيـة في بعض التمثيليات الهندية القديمة: اللغة الـسنـسكريتية، على حين يتحدث أفراد الطبقة الدنيا، اللغة البراكريتية»[٤].

(١) انظر: اكتساب اللغة ١٢. (٢) انظر: نظرية تشومسكى اللغوية ٤٨ - ٤٩.

(٣) نظرية تشومسكى اللغوية ٤٩.

(٤) لغات البشر ٨٢ - ٨٣.

وليس معنى ذلك، أن ثمة تقدمًا وامتيازًا للغة في مقابل لغة أخرى، فالتقدم والتخلف، إنما هو للأمم والشعوب، وليس للغات، فالشعوب البدائية والنامية، لها لغاتها، التي تعبر بها عن معتقداتها وأفكارها، ومن العجيب أن تجد الثروة اللفظية لهذه الأمم البدائية، قد لا يكون لها مقابل في اللغات الأخرى للأمم المتقدمة، وأنه يصعب ترجمها أو نقلها، وتبقى لها خصوصيتها وتفردها(١).

ففي مجال دلالة الألفاظ ـ مثلاً ـ نجد في حقل القرابة، في إطار نظرية الحقول الدلالية، فإن اللغة العربية تستخدم لفظة: «عم» للدلالة على القرابة من جهة الأب ولفظة «خال» للدلالة على القرابة من جهة الأم، وكذلك الحال في كلمة: «عمة» وكلمة: «خالة» بينما نجد اللغة الإنجليزية، تستخدم كلمة واحدة وهي: uncle للدلالة على القرابة في كل من: العمومة والخؤولة من الرجال، وكلمة: aunt للدلالة على القرابة في كل من العمومة والخؤولة من النساء، كما أن اللغة العربية تستخدم كلمة: «الأبوة» لعلاقة القرابة الخاصة بالرجل، وكلمة: «الأمومة» لعلاقة القرابة الخاصة بالمرأة، بينما نجدها كلمة واحدة للدلالة على العلاقتين في اللغة الإنجليزية، وهي كلمة «Parenthood».

ولا يدلنا هذا الاختصار والاقتصاد في اللغة الإنجليزية، في دلالات الألفاظ السالفة على انكماش علاقات القرابة، أو على عدم إدراكهم للفروق التي ندركها نحن في اللغة العربية، فعلاقات القرابة معروفة هي الأخرى عندهم ومحددة، بيد أن مدلول اللفظة الواحدة، يتخطى حدود منطقة قرابة

(١) انظر تفصيلات ذلك في: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ٢١٨ – ٢٢٣.

إلى حدود منطقة قرابة أخرى، وليس هذا خروجًا على المألوف اللغوى عندهم، وإنما هو اتفاق البيئة اللغوية على ذلك.

وفى هذا المقام، يقدم لنا «جليسون» الألفاظ الدالة على معنى ألوان الطيف في بعض اللغات، حيث يتأكد لنا اختلاف اللغات عن بعضها فى مدلولات الألوان.

فقى اللغة الإنجليزية، تتكون ألفاظ الطيف من المفردات الآتية: كلمة: Red بمعنى: الأحمر وكلمة: Orange بمعنى البرتقالى، وكلمة: Yellow بمعنى الأصفر، وكلمة: Green بمعنى الأخضر، وكلمة: Blue بمعنى الأزرق، وكلمة: Browon بمعنى البنى، ومجموعها ستة ألوان مختلفة، فى حين تقسمه لغة السونا (لغة روديسيا) إلى ثلاثة أقسام فقط، وتقسمه لغة الباسا (ليبريا) إلى قسمين اثنين فقط.

وهذا التقسيم قائم على أساس دلالة الألفاظ على معانيها، فالإنجليزية تقسم ألوان الطيف إلى ستة ألوان، لأن الإنجليز يرون فروقًا معينة بين مدلولات كل لفظة على معنى، يختلف عن دلالة اللفظة الأخرى، فى حين نجد لغة السونا أو لغة الباسا تدل فيها اللفظة الواحدة على أكثر من لون، وليس معنى ذلك أن اللغة الإنجليزية أكثر دقة فى التعبير، أو أن متكلميها يدركون فروقًا من الألوان، أكثر من غيرهم، فالأمر يرجع إلى قدرة الألفاظ فى التعبير عن معنى فى لغة، وقصرها على معنى محدود فى لغة أخرى، فيما يطلق عليه بالتنظيم الدلالى للغات، وليست اللغات الإنسانية على سواء

فى تنظيماتها الدلالية، فلكل لغة مقاييسها ومعايرها، التى تختلف عن غيرها من اللغات، بل قد تختلف في اللغة الواحدة، عبر عصورها المختلفة[١].

ألقاب اللهجات العربية:

يتناول ابن فارس هذه القضية فى «باب اللغات المذمومة»[٢] حيث يستعرض بعض هذه الألقاب، كالتلتلة والعنعنة والكسكسة والعجعجة والشنشنة، وإن لم يسمها جمعيها، إلى جانب ما ذكره من تغيرات فى بعض الأصوات، مثل قلب الباء فاء، وكصوت الجيم القاهرى (گـ) أى الجاف الفارسية، وغيرها.

ويرى ابن فارس أن هذه اللغات، وإن جعلها من اللغات المذمومة، غير أنها تُعدُّ لغات للقوم، حيث يقرر فى باب اختلاف اللغات بأن هذه التنوعات اللهجية، إنما هى فحسب تنوعات فى إمكانيات النطق عند القبائل العربية، وأن الأمر لا يتعلق بتميز لغة على لغة[٣]، حيث يقول بأن «كل هذه اللغات سمات منسوبة إلى أصحابها... وهى وإن كانت لقوم دون قوم، فإنها لما انتشرت تعاورها كلٌ[٤]» وهو يمثل لذلك فى باب سماه: «باب القول على اختلاف لغات العرب»[٥] بل نجده يصرح فى «باب اللغات المذمومة» قائلا: «ونحن وإن كنا نعلم أن القرآن نزل بأفصح اللغات، فلسنا ننكر أن تكون لكل قوم لغة، مع أن قحطان، تذكر أنهم العرب العاربة، وأن سواهم

(١) انظر تفصيلات أخرى فى: أسس علم اللغة، لماريو باى - ترجمة د/ أحمد مختار عمر ط٢ ٦٦ - ٧٤.

(٢) الصاحبى ٣٥.

(٣) انظر: الصاحبى ٣٧.

(٤) الصاحبى ٣١.

(٥) الصاحبى ٢٨ - ٣٢.

العرب المتعربة[١] كما يعلق على من زعموا بأن ولد إسماعيل - عليه السلام - يعدون ولد قحطان بأنهم ليسوا عربًا، ويحتجون عليهم بأن أنسابهم الحميرية، فيقول: «فليس اختلاف اللغات قادحًا فى الأنساب»[٢].

والحق، فإن ابن فارس فيما سلف، لا ينكر صحة ما ذكره من اللغات أو اللهجات المتنوعة، التى أوردتها كتب اللغة الأخرى باعتبارها ضربًا من اللحن والانحراف عن المستوى الصوابى للغة العربية الفصحى، وقد ألفت العديد من الكتب التى تحمل عناوينها عبارات: «لحن العامة» أو «لحن العوام» أو «ما تلحن فيه العامة» ونحو ذلك من المسميات، التى تحكم على هذه اللهجات بالتخطئة واللحن فى قواعدها.

وابن فارس فى هذا السبيل، يتفق مع وجهة نظر الدرس اللغوى الحديث، فى النظر إلى هذه اللهجات واختلاف قواعدها عن قواعد اللغة الفصحى، باعتبارها تمثل مستويات لغوية ذات كيان، قد تقترب فى خصائصها أو تبتعد عن اللغة الفصحى بقدر ما يتمسك متكلموها بخصائص اللغة الأم، أو بقدر انفكاكهم وابتعادهم عنها.

فاختلاف هذه اللهجات وابتعادها فى خصائصها عن اللغة الأم، التى تنسب إليها، لا يقدح أو يقلل من قيمتها وصحتها وسلامتها.

وتعلل الدراسات اللغوية الحديثة، فى ضوء قوانين التطور اللغوى، لما يحدث من تغيرات لهذه اللهجات، على كافة مستويات التحليل اللغوى، الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية.

(١) الصاحبى ٣٨.

(٢) الصاحبى ٣٨.

وفى ضوء هذه القوانين يمكننا أن نلقى الضوء، على الظواهر اللهجية، التي أوردها ابن فارس.

ظاهرة العنعنة:

ويقصر ابن فارس هذه الظاهرة اللهجية على قبيلة تميم فقط، حيث يقول: «أما العنعنة التي تذكر فى تميم، فقلبهم الهمزة في بعض كلامهم عينًا، يقولون: «سمعت عن فلانًا قال كذا» يريدون: «أن» وروى فى حديث قَيْلة: «تحسب عنى نائمة» قال أبو عبيدة: أرادت: تحسب أنّى، وهذه لغة تميم، قال ذو الرمة:

أعَنْ ترسَّمت خرقاء منزلة

ماءُ الصبابة من عينيك مسجوم

أراد: «أأن» فجعل مكان الهمزة عينا[١].

والعنعنة تعزى إلى قيس وأسد، ومن جاورهم، وقد سماها البلوى: «عنعنة قيس» وذكر أن قارئهم قرأ: «فعسى عن يأتى بالفتح» يريد: أن يأتى بالفتح[٢].

وقد اختلف العلماء حول تحديد ماهية هذا اللقب، ومواضع حدوثه[٣].

ويمكن تفسير هذه الظاهرة في ضوء قوانين التطور اللغوى، حيث تحول صوت الهمزة إلى صوت العين، بسبب القرابة المخرجية، فصوت

(١) الصاحبي ٣٦.

(٢) ألف باء للبلوى ١/ ٤٣٢، والعين ٣١.

(٣) انظر آراء كل من: السيوطى في: الاقتراح [illegible] والمزهر ١/ ٢٢١ وابن منظور فى اللسان ١١/ ١٦٤ والمبرد في الأمالي ٢/ ١٠٩، [illegible] فى الأمالى ٢/ ٧٩، والإبدال لأبى الطيب ٢/ ٥٥٥ والكامل للمبرد ١/ ٢٥ والخليل فى العين ١/ ١٤٠.

العين الحلقى، قريب من مخرج الهمزة الحنجرى، غير أن العين من الأصوات الاحتكاكية، فى حين نجد الهمزة من الأصوات الانفجارية، وتحول الأصوات وتغيرها يكون عن طريق القرابة المخرجية أو الاتفاق فى الصفات الصوتية أو فى كليهما معًا.

ويرى «أنوليتمان» أن هذه الظاهرة عريقة فى اللغات السامية، وأنه سمع أهل الحبشة يقولون: خبعhabaᶜ عوضا عن: خبأhaba'[١] بينما يقرر «رابين» «بأنه من الصعب جدًا القطع بما إذا كان النطق بالهمزة أو بالعين أسبق من الآخر[٢] حيث إنه ليس هناك نظائر مماثلة فى اللغات السامية بين «أن» وحرف الجر «عن» فهو يقول أيضًا «أن» المصدرية، وحرف الجر: «عن» ليس له مقابل فى اللغات السامية الأخرى، حتى يمكن بمقارنتهما معه الوصول إلى الأصل، وقد تفسر «أن» بأنها «عن» سقط منها الاحتكاك البلعومى، فصارت العين همزة[٣].

ظاهرة الكسكسة:

وقد نسبها ابن فارس إلى قبيلة ربيعة[٤] حيث يقول: «وكذلك الكسكسة التى فى ربيعة، إنما هى أن يصلوا بالكاف سينًا، فيقولون: «عليكس»[٥] ومن الواضح أن ابن فارس يقصد بالظاهرة على إلحاق الكاف المؤنثة سينًا، أما ثعلب، فقد نسبها إلى هوازن[٦] ونسبها الفراء إلى قبيلتى ربيعة ومضر[٧] وقد

(٤) انظر: مجلة كلية الآداب، مجلد ١٠ ط ١ مقال: أنوليتمان، سنة ١٩٤٨م.

(٢) اللهجات العربية الغربية ٢٣١.

(٣) اللهجات العربية الغربية ٢٣١.

(٤) الصاحبى ٣٤.

(٥) الصاحبى ٣٦.

(٦) مجالس ثعلب ١/ ١١٦ وخزانة الادب ٤/ ٤٩٥.

(٧) الاقتراح ٨٣ والمزهر ١/ ٢٢١ والصاحبى ٥٣.

اتفق السيوطي مع الفراء في نسبتها إلى ربيعة ومضر(١)، ونسبها «الفيروز ابادي» إلى قبيلة تميم، لا لبكر، وهكذا اختلف العلماء حول نسبة الكسكسة إلى قبيلة بعينها، واختلفوا كذلك حول ماهية الكسكسة(٢).

ظاهرة الكشكشة:

يقول ابن فارس: «وأما الكشكشة التي في أسد، فقال قوم: إنهم يبدلون الكاف سينًا، فيقولون: «عَلَيْش» بمعنى: عليكِ، وينشدون:

فعيناش عيناها وجيدش جيدها

ولونشِ إلا أنها غير عاطل

وقال اخرون: بل يصلون بالكاف شينًا، فيقولون: عليكش»(٣).

يرى ابن فارس إذن أن الكشكشة تكون في قلب الكاف شينًا، سواء أكانت للمذكر، كما في المثال: «عليش» بمعنى: عليك، أم كانت الكاف للمؤنث، كما هو الحال في بيت ذي الرمة، كما يرى أنها تكون في إلحاق الكاف شينًا، ويبدو من مثاله، أنه يدل على كاف المؤنثة.

وقد اختلفت وجهات نظر العلماء حول نسبتها من جهة، وحول ماهيتها من جهة أخرى(٤).

---

(١) المزهر ١/ ٢٢١.

(٢) انظر تفصيلات اختلاف وجهات نظر العلماء حول ماهية الكشكشة في: فقه اللغة للثعالبي ١٧٣ والكامل، للمبرد ٢/ ٢٣ والخزانة ٤/ ٦٩٦ والعقد الفريد ٢/ ٤٧٧، والنهاية لابن الأثير ٤/ ١٧٤ والأمالي لأبي الطيب ٢/ ٢٧ ومحاضرات الأدباء ١/ ٦٣ والاقتراح ٨٣ والمزهر ١/ ٢٢١ والخصائص ٢/ ١٢ وسر صناعة الإعراب ١/ ٢١٤ وخزانة الأدب ٤/ ٤٩٥ والكتاب لسيبويه ٢/ ٢٩٥.

(٣) الصاحبي ٣٥.

(٤) انظر تفصيلات ذلك في: الاقتراح ٨٣ والمزهر ١/ ٢٢١ والخصائص ٢/ ١١ وسر صناعة =

والحق، فإن القبائل التى نسبوا إليها الكشكشة، هى قبائل متجاورة، متقاربة فى النسب، أو متخالطة عن طريق الحروب فيما بينها، كما هو الحال بين تميم وبكر، ولاشك أن هذه العوامل تساعد على تأثير بعضهم فى بعض.

والكشكشة عبارة عن إبدال كاف المؤنثة فى الوقف شينًا أو إلحاقها شينًا[١]، وقد ذكر العلماء للكشكشة صورًا ثلاثة هى:

١- إثبات الشين فى حالة الوقف، وهى الصورة الأكثر شيوعًا.

٢- إثبات الشين فى حالة الوصل.

٣- قلب الكاف شينًا فى حالة الوصل أو تسكينها فى حالة الوقف[٢].

وأما وجهات نظر العلماء المحدثين، فى تفسير ظاهرتى الكسكسة والكشكشة فى ضوء البحث اللغوى الحديث فهى ترى أنَّ تقييد العلماء العرب القدامى للظاهرتين بكاف مكسورة، يُعدُّ أمرًا تسوغه القوانين الصوتية، وأما تقييدهم للظاهرتين بكاف المؤنثة، فهو يتناقض مع ما ورد فى حالة المذكر من أمثلة.

ويمكن تفسير الظاهرتين فى ضوء قانون الأصوات الحنكية، حيث أن أصوات وسط الحنك، كالكاف والجيم الخالية من التعطيش، تميل

= الإعراب ١/ ٢٣٥ وخزانة الأدب ٤/ ٥٩٤ والإبدال لأبى الطيب ٢/ ٢٣٠ والكامل للمبرد ٢/ ٢٢٣ والعقد الفريد ٢/ ٤٧٧ والكتاب ٢/ ٤٩٥ وجمهرة اللغة ١/ ١٥٣ وألف باء للبلوى ٢/ ٤٣١.

(١) فصول فى فقه العربية ١٤٢.

(٢) انظر تفصيلات هذه الحالات فى: الكتاب ٢/ ٢٩٥.

بمخـرجها إلى نـظائرها من أصوات أمامـية، حين يليـها صـوت لين أمامى كالكسرة؛ لأن صوت اللين الأمامى فى مثل هذه الحالة، يجتذب إلى الأمام قليلاً أصوات أقصى الحنك، فتنقلب إلى نظائرها من أصوات الحنك[(١)].

ويتحقق هذا القانون على الظاهرتين، فإنه تتحول الكاف المكسورة إلى صـوت مـزدوج، وهـو: «تْس» وهذه هى الكسكسـة أو: «تْش» وهذه فى الكشكشة والصوت الأول يوجـد فى الألمانية، فى مثل: leipzig (ليبتسج) والثانى يوجد فى الإنجليزية فى مثل: «Children» بمعنى: (أولاد)[(٢)].

وقد أحس بعض العلماء العرب القدامى هذا التحول الازدواجى لصوت الكاف وفى ذلك يقـول ابن دريد: وإذا اضطر الذى لغتـه، قـال: جيـدش وغلامش، بين الجيم والشين إذا لم تتهيأ له أن يفرده[(٣)]، كما يقول البلوى: «ومن العرب من يلفظ بهـذه الكاف بين الجيم والشـين، وذلك من اللغات المرغوب عنها، لما لم يتهيأ له أن يفرد الجيم ولا الشين»[(٤)].

ظاهرة العجعجة:

وهذه الظاهرة لم يسـمها ابن فـارس، حيث يقول: «وكـذلك الياء التى تجـعل جيـمًا فى النسب، يقـولون: «غلامج» أى: غـلامى، وكذلك الـياء المشددة تحول جيمًا فى النسب، يقولون: «بصرج» و «كوفج» قال الراجز:

* خـــالى عـويـف وأبو علجّ *

* المطعمان اللحم فى العشجّ *

---

(١) فى اللهجات العربية ٨٨ - ٨٩.

(٢) فصول فى فقه العربية ١٤٦، وانظر تفصيلات حول الظاهرتين ١٤٥ - ١٥٠.

(٣) جمهرة اللغة ١/ ٥.

(٤) ألف باء للبلوى ٢/ ٤٣٢.

* وبالغـــداة فِلـــــقَ البرنج[١] *

وقـد اختلف الـعلماء حـول اليـاء التى تقلب جـيمًـا، وهل هى اليـاء الخفيفة، أو هى الياء المشددة، كما نصّ على ذلك ابن فارس[٢].

وثمة علماء آخـرون، يشترطون لهذه الظاهرة، وجـود العين فى الكلمة التى تقلب ياؤها جيمًـا، يقول ابن منظور: «العجعجة فى قضـاعة، كالعنعنة فى تميم، يحولون الياء جيمًا مع العين[٣] كما يشترط ذلك الجوهرى - أيضًا - فى قوله لحدوث هذا القلب فى قضاعة، أن تجمع مع العين»[٤].

والحق، فإننا أمام ظاهرة تعددت فيها الروايات حـول كيفية حدوثها من جانب وحول نسبتها إلى قبائل متنوعة من جانب خر.

ويذكر د/ أنيس: أن اليـاء المخفـفة، لم تكن خفـيفة باعـتبارها كـسرة طويلة، عند من يقلبونها جيـمًا، وإنما كانت ياء صامتة، حيث يقـفون عليها بالتضـعيف، «ويظهـر أن العلماء فـيما سـاقوا من أمـثلة، لم تكن فى نطق القضاعيين ياء مد، بل كانت صـوتًا ساكنًا، حتى يمكن أن نتصور قلبها إلى جيم»[٥].

وهذه المـلاحظة تتفق مع القـوانين الصوتيـة، التى تسوغ حـدوث هذا القلب، فـلابد لهذا القلب وغـيره، أن يكون بين أصـوات صامتـة، أو بين أصوات متحركة، وليس بين أصوات صامتة وأصوات متحركة، وبدون ذلك،

(١) الصاحبى ٤٧.

(٢) انظر تفصيلات حول اختلاف وجهات نظر العلماء فى الإبدال، لأبى الطيب ١/ ٢٦٠ والمزهر ١/ ٢٢٢ والاقتراح ٨٣ وشرح شواهد الشافية ٢/ ١١٢ والنوادر ١٦٤.

(٣) الـسان ٢/ ١٤٤. (٤) التصريح ٢/ ٣٦٧.

(٥) فى اللهجات العربية ٧٨ - ٧٩.

لا نتصور حدوث هذا القلب، «فالذى يقلب إلى الصوت الصامت، هو صوت مثله، ولم نعهد ذلك فى حركة قصيرة كانت أو طويلة»[١].

ومن ثم، فإن قلب الياء بصورتيها: الخفيفة باعتبارها صوتًا صامتًا، والياء المشددة، التى هى صوت صامت بطبيعتها، يُعدُّ من الأمور التى تقرها القوانين الصوتية، فالياء والجيم، ينطقان من مخرج واحد، وهو الغار (الحنك الصلب) كما أنهما يتفقان فى صفة الجهر، وليس بينهما خلاف، سوى أن الجيم الفصيحة صوت مزدوج (يجمع بين الشدة والرخاوة) فى حين يعد صوت الياء من الأصوات الرخوة، وما تزال ظاهرة والعجعجة مستمرة فى اللهجات العربية الحديثة فى جنوبى الجزيرة العربية[٢]، وفى لغة تيجرا Tigra فى بلاد الحبشة الشمالية[٣].

ظاهرة التلتلة:

يذكرها ابن فارس دون تسميتها فى «باب اختلاف لغات العرب»[٤] حيث يقول: «اختلاف لغات العرب من وجوه: أحدها، الاختلاف فى الحركات، كقولنا: «نَستعين» و «نِستعين» بفتح النون وكسرها، قال الفراء، هى مفتوحة فى لغة قريش وأسد، وغيرهم يقولونها بكسر النون»[٥] كما ذكرها فى «باب القول فى أفصح العرب»[٦] حيث يقول: «ولا يكسر الذى نسمعه من أسد وقيس، مثل: «تِعلمون» و «إِعلم» مثل: «شِعير» و «بِعير»»[٧].

(١) فصول فى فقه العربية ١٣٢.

(٢) محاضرات د/ ناجى فى معهد اللغات سنة ١٩٧٢م.

(٣) مجلة كلية الآداب ١٠/ ١ ص ٣٦.

(٤) الصاحبى ٢٨.

(٥) الصاحبى ٢٨.

(٦) الصاحبى ٣٤.

(٧) الصاحبى ٣٤.

والتلتلة عبارة عن كسر حرف المضارعة، وهي تنسب إلى قبيلة بهراء، ويعزوها صاحب اللسان إلى عديد من القبائل العربية، يقول ابن منظور: «وتِعلم بالكسر، لغة قيس وتميم وأسد وربيعة وعامة العرب، وأما أهل الحجاز، وقوم من أعجاز هوازن وأزد السراة وبعض هذيل، فيقولون: تَعلم، والقرآن بها، وزعم الأخفش أن كل من ورد علينا من الأعراب، لم يقل إلا: تِعلم بالكسر»[(١)].

ويذكر [رابين] أن قبيلة أسد التي ذكرها الفراء وأبو عمرو على أنها من القبائل التي تفتح حرف المضارعة، ليست كذلك، ولكنها قبيلة: «أزد» التي تفتح حرف المضارعة، وأن قبيلة طيء تكسر حرف المضارعة، لأنها تأثرت في ذلك بقبيلة قضاعة التي تأثرت بدورها بالمناطق الكنعانية، التي تمثل الكسرة حرف المضارعة للغائب المفرد، في كل من اللغات العبرية والآرامية الغربية والأوجاريتية[(٢)].

ولعل التناقض في روايتي ابن فارس السالفتين، حيث ذكر أن قريشا وأسد، ممن يفتحون[(٣)] ثم ذكر بأن أسداً وقيس ممن يكسرون[(٤)]، لعل هذا التناقض، يرجع إلى التصحيف، وليس إلى الرواية ذاتها!.

وقد حدد بعضهم مواضع كسر حرف المضارعة فيما عدا الياء في ستة مواضع،ومواضع كسرها بما فيه الياء في ثلاثة مواضع[(٥)].

---

(١) اللسان (وتى) ٢٠/ ٢٨٣.

(٢) انظر: اللهجات العربية الغربية ١٥٥ - ١٦٦.

(٣) انظر: الصاحبي ٢٨. (٤) انظر: الصاحبي ٣٤.

(٥) اللهجات العربية في التراث.. القسم الأول ٣٨٨ - ٣٩٦.

وظاهرة التلتلة، تعدُّ من الظواهر السامية القديمة، حيث توجد في اللغة العبرية والسريانيــة والحبشية، ولعل كسر حرف المضارعة، كان هو الأصل في اللغة العربية الفصحى قديمًا ـ أيضًا ـ بدليل شيوع الكسر في اللهجات العربية القديمة، فيما عدا قبيلتي قريش وأزد واستمر شيوع هذا الكسر في اللهجات العربية الحديثة، كما ورد استعمال الفعل «إدخال» بمعنى: «أظن» بالكسر في الاستعمال العربي الفصيح في أشعار فصيحة، وأن ذلك على هذا النحو يُعدُّ من بقايا الظاهرة القديمة، التي كانت سائدة، قبل أن تموت، فيما يسمى بالركام اللغوى للظواهر المندثرة في اللغة[1].

ثمة ظواهر صوتية أخرى، ذكرها ابن فارس في «باب القول في اختلاف لغات العرب»[2] منها:

١- تسهيل الهمزة:

حيث جعلها ابن فارس أعمق الأصوات العربيــة مخرجًا، متفقًا في ذلك مع ما صنعه سيبويه وابن جنى، فهو يقول: «في أول الحروف، الهمزة والعرب تنفرد بها في عُرض الكلام» ولا يكون في شيء من اللغات إلا ابتداء[3].

والحقُّ، فإن هذا الحكم الذي أصدره ابن فارس، كان يحتاج إلى أن يتقصى عددًا من اللغات، ليتحرى الدقة في إصدار الأحكام، وهذا ما لم

(١) انظر: بحوث ومقالات في اللغة ٥٨، ٢٦٥ - ٢٦٨ وكذا: فصول في فقه العربية ١٢٥ - ١٢٦.

(٢) الصاحبي ٢٩.

(٣) الصاحبي ١٢٣ - ١٢٤.

يفعله ابن فارس، بل إن مقارنته بين العربية وأخواتها الساميات تؤكد غير ذلك، ففي اللغة الحبشية «فإن الهمزة لا تسقط فيها في أول الكلمة أو في وسطها أو في آخرها، مثل: «ana<» (أنا) في أول الكلمة و «malā>ekt» (ملائكة) في وسط الكلمة و naša>a (رَفَع) في آخر الكلمة[١] وكذلك نجد أن الهمزة تنطق في اللغتين العبرية والآرامية، في وسط الكلمة، في مثل: «Sa>l» بمعنى (سأل) في اللغة العبرية وكذا: «ka>em» بمعنى: (قام) في اللغة الآرامية[٢] بل إننا نجد رمزًا لهمزة مكتوبًا في اللغتين العبرية والآرامية في وسط الكلمة أو في آخرها، على الرغم من عدم وجوده في النطق، مثال ذلك: كلمة: «rā>š» بمعنى: رأس وكلمة: «bāra <» بمعنى: برأ في وسط وآخر الكلمة في اللغة العبرية: ومثال: كلمة «birā» بمعنى (بئر) في وسط الكلمة، وكلمة: hṭā> (أخطأ) في آخر الكلمة، في اللغة الآرامية[٣].

وأما قوله: «ومن ذلك الاختلاف في الهمز والتليين، نحو: «مستهزئون» و «مستهزُوْن»[٤] فهو يشير إلى تحقيق الهمزة عند تميم، وتسهيل الهمزة عند الحجازيين، ومعلوم أن القرآن الكريم نزل بتحقيق الهمزة عند التميميين.

والوصف الصوتي للهمزة، أنها من الأصوات الحنجرية الانفجارية المهموسة، حيث ينغلق الوتران الصوتيان في أثناء النطق بها انغلاقًا تامًا، ثم ينفرج الوتران، ويكونان في وضع لا يسمح باهتزازهما لكن سيبويه وغيره

---

(١) انظر: المدخل إلى علم اللغة ٢٢٤.

(٢) انظر: المدخل إلى علم اللغة ٢٢٤.

(٣) انظر: المدخل إلى علم اللغة ٢٢٤.

(٤) الصاحبي ٢٨.

من العلماء العرب، وصفوا الهمزة بالجهر، وهذا أمر مستحيل ماديًا، مادامت الأوتار الصوتية مقفلة فى أثناء النطق بها، ولكن هذا الصوت قد يأتى مسهلاً، أى أن إقفال الأوتار الصوتية، ربما لا يكون تامًا حين النطق به، بل قد يكون إقفال تقريبى، وفى حالة التسهيل هذه يحدث الجهر، ولكن المجهور حينئذ، ليس وقفة حنجرية (همزة القطع) بل تضييق حنجرى، أشبه بأصوات العلة، منه بهذا الصوت[١].

إن ما حدث للهمزة في لغة الحجازيين «حدث مثله تمامًا في اللغتين: العبرية والآرامية، إذا تسقط فيهما الهمزة، فى غير أول الكلمة في أغلب الأحيان، فإذا كانت الهمزة تنطق فى العبرية فى مثل: ⊃ākal (أكل) ⊃āsar (أسَرَ) (ربَطَ) وفى الآرامية في مثل: ⊃enā (أنا) ⊃arbeā (أربعة) ففي كثير من كلمات هاتين اللغتين، نرى الهمزة لا تنطق فى وسط الكلمة أو فى آخرها، رغم وجود رمزها فى الكتابة...»[٢].

٢- المخالفة الصوتية:

وذلك عن طريق إبدال أحد المتماثلين إلى صوت من الأصوات المائعة، وذلك فى قوله: «الاختلاف فى الحرف الصحيح، يبدل حرفًا معتلاً نحو: «أمَّا زيد»[٣] و «أيما زيد» حيث قلبت إحدى الميمين ياء بعد فك إدغامها، أدى إلى قلبها صوتًا من الأصوات المائعة، وهو الياء، للمخالفة الصوتية.

---

(١) انظر: مناهج البحث فى اللغة ٩٧.

(٢) المدخل إلى علم اللغة ٢٢٤. (٢) الصاحبى ٢٩.

٣- المماثلة الصوتية:

وذلك في قوله «الاختلاف في الإدغام» نحو: «مهتدون» و «مهدّون»[١] حيث تأثرت التاء بالدال بعدها، لاتفاقهما في المخرج (الأسناني اللثوي) واتفاقهما في صفة الانفجار فقلبت دالاً، ثم أدغمت في الدال بعدها.

٤- إطالة الحركة بسبب النبر الطارئ على مقطعها:

ومن ذلك ما ذكره ابن فارس في «الاختلاف في الزيادة، في نحو: «أنظر» و «أنظُورُ»[٢] وذكر ما أنشده الفراء:

اللهُ يعلَمُ أنّا في تلفُّتنا
يومَ الفراق إلى جيراننا صُورُ
وأنّني حيثُ ما يَشني الهوىَ بَعَدي
مِنْ حيثُ ما سلكوا أدنو فأنظورُ

حيث انتقل موضع النبر في الكلمة «أنظر» من المقطع الأول، إلى المقطع الثاني فأدى ذلك إلى إطالة حركته، وتحول النظام المقطعي من: (ص ح ص + ص ح + ص ح) إلى (ص ح ص + ص ح ح + ص ح).

٥- ما ذكره ابن فارس عن الحرف الذي بين الباء والفاء، مثل: «بور» إذا اضطروا، قالوا: «فور»[٣] يبدو أن ابن فارس، يقصد بذلك صوت الباء المهموسة (P) الموجودة في اللغات الهندو أوربية، وأن هذا الصوت، يذكره العلماء في اللغة السامية الأم، وأنه قد تطور إلى صوت: الفاء (F) في

(١) الصاحبي ٢٩.

(٢) الصاحبي ٣٠.

(٣) الصاحبي ٣٦.

اللغات السـامية الجنوبيـة، ومنها العربيـة والحبشـية، ويبقى الأصل (P) فى اللغات السامية الشمالية، كالعبرية والآرامية والأكادية، ومن أمثلتها كلمة Pol (فول) فى العبرية، تطورت بـاؤها المهموسة فى العربية إلى: فـاء، فيقول. (فول) وكذا الحال فى الحبشية، فيقال Fōl كالعربية[١].

٦- ما ذكـره ابن فارس فى «الحرف الذى بين القـاف والكاف والجيم» وهى لغة سـائرة فى اليمن، مثل: «جـمل» إذا اضطروا قالوا: **گمل**[٢] هكذا مكتوبة بالكاف فوقهـا شرطة، فيما تسمى بالكاف الفـارسية، وهذا الصوت الذى يذكره ابن فارس لغـة سائرة فى اليمن، إنما هو النطـق القديم لصوت الجيم الفـصيح المزدوج (ğ) الذى نزل به القـرآن الكريم، ويسمى بالجـيم الحجازية، فـقد ذكر [أنوليتمان] بأنه «قـد روى عن النحـويين: (**گمل**) فى جمل، (**رگل**) فى رجل (**رگب**) فى رجب، (**گبهة**) فى جبهة، وعلى الأرجح فى هذه الكلمات، يوجـد النطق الأصلى، يعنى الجيم المصرية، والسـامية العامة. ولكن النحويين كتبوا كـافا، لعدم الإشارة للنطق الصحيح[٣] ويؤكد د/ بشر أن هـذا الصوت، هو صوت الجـيم القاهرى، لأنه الـصوت الذى يتفق وتفسيرهـم عنه بالجهر، ويعلل كتابتهم له بالكاف بأمرين هما:

١- أنهم خافوا أن يكتبوها جـيمًا، فيظن أنها الجيم الفصيـحة المعروفة فكتبوها كافًا لأنها أقرب إلى الجيم، مخرجًا وانفجارًا.

---

(١) انظر: سـفر صـمـويل الثانى ١٧/ ٢٨ وسـفر عـزرا ٤/ ٩ وانظر أمثلة أخـرى فى: التطور اللغوى ١٨.

(٢) الصاحبى ٣٦.

(٣) مجلة كلية الآداب ح ١٠ ص ٣ سنة ١٩٤٨م.

٦- أن من المحتمل أن يكونوا كتبوها كافًا فارسية (كـ) أى بالكاف بشرطة، ثم ضاعت الشرطة بفعل النُّساخ(١) وقد وردت الكاف في كتاب الصاحبي هكذا: (گمل) أي: بشرطة(٢).

٧- ما ذكره ابن فارس عن بنى تميم بأنهم يلحقون القاف باللهاة، حتى تغلظ جدًا، فيقولون: «الكوم» فيكون بين القاف والكاف، وهذه لغة فيهم، قال الشاعر:

ولا أكول لكَدر الكَوم كَـد نضجت

ولا اكَـول لبـاب الـدار مكَفـول(٣)

ويبدو أن هذه القاف التي نسبها ابن فارس لبنى تميم، هي نفسها القاف التي وصفها سيبويه، فهو يقول بأنها: «من أقصى اللسان، وما فوقه من الحنك الأعلى، كما أنها ـ أيضًا ـ مجهورة»(٤) وصوت القاف الفصيح، كما ينطقه قراء القرآن الكريم المجيدون في مصر، يُعدُّ صوتًا لهويًا انفجاريًا مهموسًا، ويرجع [كانتينو] كون القاف مجهورة، عند العلماء العرب بقوله: «ربما أن قسمًا كبيرًا من الألسن الدارجة العربية، ينطق القاف مجهورة، أمكننا الاعتقاد على سبيل الاحتمال والترجيح بأن القاف، كان بالفعل حرفًا مجهورًا في العربية القديمة، ويمكن أن يكون نطقه مهموسًا في العربية

(١) علم اللغة العام ـ الأصوات ١٢٧.

(٢) الصاحبي ٣٦ وانظر في كيفية تحول الجيم القاهرية (gīm) إلى صوت الجيم الفصيح المزدوج (gīm) بفعل قانون الأصوات الحنكية في: التطور اللغوى ١٣٢.

(٣) الصاحبي ٣٦ وكذا جمهرة اللغة لابن دُرَيْد ١/ ٥ حيث ورد النص والبيت، وجميع القافات فيه فوقها شرطة.

(٤) الكتاب ٢/ ٤٠٥.

الفصحى اليوم، ناتجًا عن كونه أصبح مهموسًا في اللهجات الحضرية المدنية،، لأن أغلبية المثقفين اليوم: هم من أصل مدنى»[١].

قضية الاقتراض من اللغات الأجنبية:

يقول ابن فارس إنه ليس في كتاب الله ـ جل ثناؤه ـ شيء بغير لغة العرب[٢] ويقدم آراء العلماء فى هذه القضية، فيذكر رأى أبى عبيد، الذى يذكر ألفاظًا لأهل اليمن فى القرآن معروفة، مثل كلمة: الأرائك، التى وردت فى قوله تعالى: ﴿ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ﴾ (الكهف: ٣١) وكذلك كلمة: معاذير، فى قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ ﴾ (القيامة: ١٥) ويتفق هذا مع ما ذكره الجواليقى، الذى يروى عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وغيرهم فى أحرف كثيرة (من القرآن الكريم) أنه من غير لسان العرب، مثل: سجيل والمشكاة واليم والطور وأباريق واستبرق وغير ذلك»[٣].

كما يعرض رأى أبى عبيدة، الذى يقول «إنما نزل القرآن بلسان عربى مبين، فمن زعم أن فيه غير العربية، فقد أعظم القول، ومن زعم أن كذا بالنبطية، فقد أكبر القول... وقد يوافق اللفظ ويفارقه، ومعناهما واحد، وأحدهما بالعربية والآخر بالفارسية أو غيرها[٤]، ويذكر أبو عبيدة، أن

(١) دروس فى علم أصوات العربية ٧٧، وانظر آراء كل من الأستاذ الدكتور/ إبراهيم أنيس والأستاذ الدكتور/ كمال بشر حول اختلاف الوصف الصوتى للقاف بين الدراسات الحديثة والوصف لدى العلماء العرب القدامى فى: الأصوات اللغوية ٧٩ وعلم اللغة العام ـ الأصوات ١١٠.

(١) الصاحبى ٣٩، ٤٧.

(٢) المعرب، للجواليقى ٥ والمزهر ١/ ٢٦٨.

(٣) الصاحبى ٤٣ ومجاز القرآن ١٧.

الاستبرق بالعـربية، وهو الغليظ من الديباج والفرند وهو استبـره بالفارسية، وكذلك كلمة: البَـلاَس، عند أهل مكة، أنها عربية الأصل كـذلك، غير أن الفـرس، أو الدهمـاء أعـربوها، فـقـاربت الفـارسـيـة العـربيـة في اللفظ والمعنى(١).

ويعقب ابن فارس على رأى أبي عبيدة موضحًا أن من زعم أن في القرآن الكريم غير العربية، فقد أعظم القول، لأن القرآن الكريم لو كان فيه من غير لغة العرب شيء، لتوهم متوهم أن العـرب، إنما عجزت عن الإتيان بمثله، لأنه أتى بلغات لا يعرفونها، وفي ذلك ما فيه، وإذا كان كذا، فلا وجه لقول من يجـيز قراءة القـرآن في صلاته بالـفارسيـة، لأن الفارسـية ترجـمة غـير معجزة، وإنما أمر الله ـ جل ثناؤه ـ بقراءة القرآن العربي المعجز»(٢).

وما تزال آراء العلماء مختلفة في العصر الحديث، حول قضية التعريب، فثمة فريق متشدد يرفض وقوع المعرب في القرآن الكريم، على نحو ما رأينا عند ابن فارس وأبي عبيدة، ويأتي في مقدمة هؤلاء الأستاذ/ أحمد شاكر(٣)، وقد وقف مجـمع اللغة العربية بالقاهرة، مـوقفًا متشـددًا، حيث لم يجز إلا تعـريب الألفاظ الـفنية والعلمـيـة، التي يعـجز عن إيجـاد مـقابل لهـا في العربية(٤).

ويرى د/ رمضان عبـد التواب، أن اللغة لا تفسد بالدخيـل، بل حياتها

(١) الصاحبي ٤٤.

(٢) الصاحبي ٤٦ - ٤٧.

(٣) انظر: مقدمة المعرب للجواليقي ١١.

(٤) انظر: فصول في فقه العربية ٣٦٦ - ٣٦٧.

فى هضم الدخيل، لأن مقدرة لغة مـا على تمثل الكلام الأجنبى، تعد مزية وخصيصة لها، إذا هى صاغته على أوزانهـا، وصبته فى قوالبها، ونفخت فيه من روحها، وتركت عليه بصماتها(١).

قضية اكتساب اللغة:

تناول ابن فارس قضية اكتســاب اللغة فى «باب القول فى مأخذ اللغة»(٢) حيث يقول: «تؤخذ اللغة اعتياداً، كالصبى العربى يسمع أبويه وغيرهما، فهو يأخذ عنهم على مـرّ الأوقات، وتؤخذ تلـقنًا من ملقن، وتؤخذ سمـاعًا من الرواة الثقات، ذوى الصدق والأمانة، ويتقى المظنون»(٣).

ويبدو من حديث ابن فارس، أنه يرى أن اللغة العربية، تؤخذ عن طريق الاكتســاب من البيئة التى يعيش فـيها الطفل العربى أو الإنســان العربى بوجه عام، وهو بهذا يتفق مع وجهة نظر الدرس اللغوى الحديث، وما تدعو إليه من علاقة اللغة بالمجتمع والبيئـة، التى ينشأ فيها الإنسان، حيث يمرّ الطفل فى مراحل اكتسابه اللغة بمستويين اثنين هما:

١- مستوى الأصوات

٢- مستوى الأبنية والتراكيب(٤)

ففى المستوى الأول، يمر الطفل بمرحلتين وهما:

(أ) مرحلة الأصوات التى ينتجها الطفل دونما تلبس بأية حالة انفعالية.

---

(١) فصول فى فقه العربية ٣٦٧ - ٣٦٨.

(٢) الصاحبى ٤٨.   (٣) الصاحبى ٤٨.

(٤) انظر: تفصيلات وتوضيحات حول آراء العلماء عن المستويين المذكورين فى: لغة الطفل فى ضوء مناهج البحث اللغوى الحديث ٣٦ - ٦٥.

(ب) مرحلة الأصوات التي يسمعها الطفل ويقوم بتقليدها(١)، أما المستوى الثاني، فيتضمن مرحلة الأبنية، وتدرج الطفل من التلفظ بالكلمة الأولى، إلى أن تصل قدرته على نطق حوالى مائة كلمة فى نحو العشرين شهراً، أما مرحلة التراكيب، فتتمثل فى:

(أ) مرحلة الجملة أحادية الكلمة.

(ب) مرحلة الجملة المؤلفة من كلمتين.

قضية القياس والاشتقاق في اللغة العربية:

وقد أفرد ابن فارس لهذه القضية بابًا بعنوان: «باب القول على لغة العرب، هل لها قياس، وهل يشتق بعض الكلام من بعض؟» ويذكر ابن فارس أن أهل اللغة أجمعون «إلا من شذ عنهم، أن للغة العرب قياساً، وأن العرب تشتق بعض الكلام من بعض... وليس لنا اليوم أن نخترع، ولا أن نقول غير ما قالوه، ولا أن نقيس قياسًا لم يقيسوه، لأن فى ذلك فسادَ اللغة وبطلان حقائقها، ونكته الباب، أن اللغة لا تؤخذ قياسًا نقيسه الآن نحن»(٢).

والذى ينبغى التنويه إليه أن الاشتقاق، يعدُّ من الوسائل الرائعة، التى تنمو عن طريقها اللغات وتتسع ويزداد ثراؤها فى المفردات، فيتمكن من التعبير عن الجديد من الأفكار والمستحدث من وسائل الحياة(٣)، والاشتقاق إذن يُعدُّ عملاً تطبيقيًا يقوم بتوليد بعض الصيغ والألفاظ من بعض، والرجوع بها إلى أصل واحد، يحدد مادتها، ويوحى بمعناها الأصيل، مثلما يوحى بمعناها الخاص الجديد(٤) وليس من وكدنا الخوض فى تفصيلات حول آراء

(١) الصاحبى ٥٧. (٢) الصاحبى ٥٧.

(٣) انظر: فصول فى فقه العربية ٢٩٠.

(٤) انظر: دراسات فى فقه اللغة، لصبحى الصالح ٧٤.

العلماء، في تقسيماتهم للاشتقاق إلى اشتقاق أصغر (صرفي) وأكبر، وغيرها[١].

ولعله من الواضح أن ابن فارس، يُعدُّ من المتشددين، في منع القياس على ما اشتقته العرب، مخالفًا بذلك سنة التطور والتوليد في صيغ اللغة وألفاظها، قياسًا على صيغ موجودة بالفعل، مخالفًا ـ كذلك ـ رأى الجمهور من اللغويين العرب القدامى، من أمثال: سيبويه والخليل وأبي عمرو بن العلاء والأخفش وعيسى بن عمر والأصمعي وأبي زيد الأعرابي وأبي عمرو الشيباني وغيرهم، الذين يقولون بأن بعض الكلام مشتق، وبعضه غير مشتق[٢].

وعندما نجد ابن فارس يصرح قائلاً بأن «الذي وقفنا على أن الاجتنان (الستر) هو الذي وقفنا على أن الجن مشتق منه» فنحن نرى أن هذا القول ليس دقيقًا، من حيث إنه قام باشتقاق المعنوي من الحسي، والصواب هو عكس ذلك، فالاجتنان هو المشتق من الجن[٣].

قضية الترادف في اللغة العربية:

وقد ذكر ابن فارس هذه القضية في باب الأسماء، كيف تقع على المسميات[٤] حيث يقول: «ويسمى الشيء الواحد بالأسماء المختلفة، نحو: السيف والمهند والحسام، والذي تقوله في هذا، أن الاسم واحد، وهو:

(١) انظر: الخصائص ٢/ ١٣٤ وما بعدها، وفقه اللغة د/ علي عبد الواحد وافي ١٧٢ - ١٨٠.

(٢) انظر: الاشتقاق، لابن السراج ٣١، ٤١.

(٣) مقاييس اللغة ٢/ ١٦٧ وانظر فكرته عن الأصول، حيث يحاول إرجاع أصول الاشتقاق في المادة اللغوية إلى أكثر من أصل.

(٤) الصاحبي ١١٤.

السيف، وما بعده من الألقاب صفات، ومذهبنا أن كل صفة منها، فمعناها غير معنى الأخرى، وقد خالفت في ذلك قوم، زعموا أنها وإن اختلفت ألفاظها، فإنها ترجع إلى معنى واحد... وقال آخرون: ليس منها اسم ولا صفة، إلا ومعناه غير معنى الآخر، وكذلك الأفعال... وبها نقول، وهو مذهب شيخنا أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب[١].

ويقدم ابن فارس آراء القائلين بالترادف في اللغة، ذاكراً أمثلتهم، ويقدم أيضًا آراء الرافضين للترادف ـ وهو منهم ـ ذاكراً أمثلتهم أيضًا[٢]، ويمثل الفريق الأول: الأصمعي وابن خالوية وأبو زيد الأنصاري والمازني وغيرهم، فيما يمثل الفريق الثاني: أبو علي الفارسي وثعلب وابن درستويه وأبو هلال العسكري وابن فارس.

غير أننا نجد ابن فارس يقول: «ومما لا يمكن نقله البتة أوصاف السيف والأسد والرمح، وغير ذلك، من الأسماء المترادفة، ومعلوم أن العجم لا تعرف للأسد أسمًا غير واحد، فأما نحن فنخرج له خمسين ومائة اسم[٣] وهذا نصّ يفاخر به ابن فارس مصرحًا بوجود الأسماء المترادفة.

والترادف في الدرس اللغوى الحديث عبارة عن ألفاظ متحدة المعنى، وقابلة للتبادل فيما بينها في أي سياق، والترادف التام ـ على الرغم من عدم استحالته ـ نادر الوقوع، إلى درجة كبيرة، فهو نوع من الكماليات، التي لا تستطيع اللغة أن تجود بها في سهولة ويسر، فإذا ما وقع هذا الترادف التام، فالعادة أن يكون ذلك لفترة قصيرة محددة، حيث إن الغموض الذي يعترى المدلول، والألوان أو الظلال المعنوية ذات الصبغة العاطفية، أو الانفعالية

(١) الصاحبي ١١٤ - ١١٥. (٢) انظر الصاحبي ١١٥ - ١١٦. (٣) الصاحبي ١٧.

التى تحيط بالمدلول، لا تلبث أن تعمل على تحطيمه، وتقويض أركانه، وكذلك بسرعان ما تظهر بالتدريج فروق معنوية دقيقة بين الألفاظ المترادفة، بحيث يصبح كل لفظ مناسبًا وملائمًا للتعبير عن جانب واحد فقط من الجوانب المختلفة للمدلول الواحد(١).

وقد اشترط العلماء لحدوث الترادف التام شروطًا ينبغى توفرها للقول بذلك نذكر منها(٢):

١- ضرورة الاتفاق فى المعنى بين الكلمتين اتفاقًا تامًا.

٢- ضرورة الاتحاد فى البيئة.

٣- ضرورة الاتحاد فى العصر والزمن.

٤- ألا يكون أحد اللفظين نتيجة تطور صوتى آخر.

قضية التضاد فى اللغة العربية:

وقد ذكرها ابن فارس فى قوله: «ومن سنن العرب فى الأسماء، أن يسموا المتضادين باسم واحد، نحو: «الجون» للأسود «الجون» للأبيض، وأنكر ناس هذا المذهب، وأن العرب تأتى باسم واحد لشىء وضده(٣)، وهو يعلق على هذا الإنكار قائلا: «وهذا ليس بشىء، وذلك أن الذين رووا أن العرب تسمى السيف مهندًا، والفرس طرفًا، وهم الذين رووا أن العرب تسمى المتضادين باسم واحد(٤)، ويذكر أنه جرد فى الأضداد كتابًا، ذكر فيه حجج المنكرين، وذكر رده عليهم.

(١) دور الكلمة فى اللغة، لاستيفن أولمان ٩٨.

(٢) انظر تفصيلات هذه الشروط: فى اللهجات العربية ١٧٨ - ١٧٩ وكذا: فصول فى فقه العربية ٣١٦ - ٣٢٢.

(٣) الصاحبى ١٧.

(٤) الصاحبى ١٧.

وابن فارس ـ هنا ـ يصرح بوجود التضاد، وكذلك يصرح بوجود الترادف ـ أيضًا ـ فعبارته هنا صريحة في قبوله للتضاد وللترادف معًا، وهو من القائلين بالتضاد، لكنه يخالف رأى أستاذه، أحمد بن يحيى ثعلب، الذى ينكر وجود التضاد، حيث يذكر الجواليقى قائلا: «المحققون من علماء العربية، ينكرون الأضداد ويدفعونها، قال أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب: ليس فى الكلام ضد، قال: لأنه لو كان فيه ضد، لكان الكلام محالاً، لأنه لا يكون الأبيض أسود، ولا الأسود أبيض. . . وكلام العرب، وإن اختلف اللفظ، فالمعنى يرجع إلى أصل واحد[١].

قضية الإتباع:

ويفرد لها ابن فارس بابا بعنوان: «باب الإتباع»[٢] يقول فيه: «للعرب الإتباع، وهو أن تتبع الكلمة على وزنها، أو رويِّها إشباعًا وتأكيداً، وسئل أن بعض العرب سئل عن ذلك فقال: هو شىء نَتِدُ به[٣] كلامنا، وذلك قولهم: «ساغبٌ لاغبٌ» و «هو خبٌّ ضبٌّ» و «خرابٌ يبابٌ»[٤].

وقد ألَّف ابن فارس رسالة فى الإتباع سماها: «الإتباع والمزاوجة»[٥] وقد يظن القارىء أنه لا فرق بين الإتباع وبين المزاوجة، غير أن [برنو] Brunnow الذى قام بنشره، قام بالتفريق بينهما، حيث ذكر بأن الإتباع: يقصد به الصيغ الوصفية: التى تتبع الكلمة الأولى بلا رابط، على حين أن

(١) شرح أدب الكاتب ٢٥١. (٢) الصاحبى ٤٥٨.

(٣) نَتِدُ به: نثبت ونؤكد. (٤) الصاحبى ٤٥٨.

(٥) نشرة برنو R, Brunnow فى ألمانيا سنة ١٩٠٦م، ثم نشره مصطفى كمال بالقاهرة سنة ١٩٤٧م.

الصيغ الفعلية التي ترتبط بالكلمة الأولى برابط أو تكونُ وحدها جملاً مستقلة، تسمى بالمزاوجة، فالإتباع يكون في مثل: ساغبٌ لاغبٌ والمزاوجة في مثل قولهم في جواب من قال: هات «لا أهاتيك ولا أواتيك» وقولهم: «ما عنده غيضٌ ولا فيضٌ» أي: كثير ولا قليل[١].

قضية النحت:

. وقد أفرد لها ابن فارس بابًا بعنوان: «باب النحت»[٢] يقول فيه: «والعرب تنحت من كلمتين كلمة واحدة، وهو جنس من الاختصار، وذلك «رجل عبشمي» منسوب إلى اسمين، وأنشد الخليل: (الوافر):

أقول لها ودمعُ العين جارٍ

ألَمْ تَحْزُنْكِ حيعلة المنادى

من قوله: «حي على»:

وهذا مذهبنا، في أن الأشياء الزائدة على ثلاثة أحرف وأكثرها منحوت. مثل قول العرب للرجل الشديد: «ضِبَطْر» من «ضبط» و «ضبر» وفي قولهم: «صهصلق» إنه من: «صَهَل» و «صلق» وفي: «الصِّلْدم» إنه من: «الصَّلْد» و «الصَّدْم» ثم يقول: وقد ذكرنا ذلك بوجوهه في كتاب: «مقاييس اللغة»[٣].

ويُعدُّ ابن فارس من رواد القائلين بفكرة النحت في اللغة العربية، فهو يقول: «اعلم أن للرباعي والخماسي مذهبًا في القياس، يستنبطه النظر

(١) انظر: فصول في فقه العربية ٢٤٧.

(٢) الصاحبي ٤٦١.

(٣) الصاحبي ٤٦١.

الدقيق، وذلك أن أكثر ما تراه منه منحوت. ومعنى النحت: أن تؤخذ كلمتان وتنحت منهما كلمة، تكون آخذة منهما جميعًا بحظ[١].

وعلى الرغم من محاولة ابن فارس إرجاع الصيغ الرباعية والخماسية إلى أصولها المنحوتة منها، إلا أن صيغًا عديدة استعصت عليه، ولذا نجده يقول: «وهذا ما أمكن استخراج قياسه من هذا الباب، أما الذي هو عندنا موضوع وضعًا، فقد يجوز أن يكون له قياس، خفي علينا موضعه، والله أعلم بذلك[٢].

ويقصر ابن فارس النحت على الصيغ الرباعية والخماسية، غير أنه يحدث - أيضًا - في الصيغ الثلاثية «فإن كلمة: «أسمر» مثلا، منحوتة - في رأينا - من: «أسود» و «أحمر»[٣].

وثمة طرق أخرى، تنشأ بواسطتها الكلمات المنحوتة في اللغة العربية، ومنها: «المخالفة الصوتية» عن طريق إبدال الحرفين المتماثلين في صيغة: «فعّل» حرفًا يغلب أن يكون من الحروف (المائعة أو المتوسطة (ل م ن ر) مثل: «تقرصع» بمعنى: سال في مشيته، فأصلها: «تقصّع» خولفت فيها الصاد الأولى، وجعلت راء[٤] وقد تحدث المخالفة الصوتية بتكرار الحرف الأول من الكلمة، عوضًا عن أحد المتماثلين فيها: مثل: كفكف دمعه، بدلا من: «كفّف»[٥].

---

(١) مقاييس اللغة ١/ ٣٢٨. (٢) مقاييس اللغة ٢/ ١٤٦.

(٣) انظر: فصول في فقه العربية ٣٠٥.

(٤) لحن العامة والتطور اللغوي ٣١٤.

(٥) الأضداد، لابن الأنباري ٣٦٢ وفصول في فقه العربية ٣٠٦.

كما يمكن أن تنشأ الصيغ الرباعية فى اللغة العربية، عن طريق استعمال وزن «افعالّ» فى الشعر، بإقحام همزة فيه، مثل: «اطمأنّ» وهذه ناشئة من الوزن الشعرى[١].

وقد تقلب عينًا كما فى لهجة تميم، وعندئذٍ يتولد عندنا أمثال: «اقشعرّ» و «ابذعرّ» كما تخفف الهمزة، فتصير هاء، كما فى مثل: «اكفهرّ» و «ازمهرّ» وغير ذلك، وكل هذه الأمثلة وغيرها، يعدها العلماء العرب من الرباعى، ويجهلون الطريق الذى سلكته فى تطورها[٢].

ويعلل [أولمان] لنشوء النحت فى اللغة، أن المتكلم قد يعسر عليه أن «يفصل بين كلمتين وردتا إلى ذهنه دفعة واحدة، وربما تتداخل الكلمتان فيما بينهما تداخلاً تامًا، والنتيجة الطبيعية لمثل هذه الزلة، وجود كلمة هى خليط من عناصر مختلفة أو صيرورة الكلمتين كلمة واحدة عن طريق النحت Con-tamination أو تكون كلمة صناعية، مشتملة على مزيج من أصوات كلمتين أخريين، وجامعة لمعنيهما، وأكثر الكلمات التى تتكون بهذه الطريقة، ذات عمر قصير، غير أن قدراً غير يسير منها يكتب له البقاء، فيستقر فى اللغة كلمات جديدة[٣].

وأما ما ذكره [بروكلمان] من أن اللغات السامية، لا تعرف تركيب الكلمات[٤] أى النحت، فإنه يقصد بذلك التركيب الذى فى مثل: «حَبْقَرٌ»

(١) انظر: تفصيلات حول القول بكون الهمزة فى: اطمأنّ وغيرها، أصلية أو زائدة وكذا العين فى مثل: اقشعرّ، والهاء فى مثل: ازمهرّ، فى: فصول فى اللغة العربية ١٩٣ - ٢٢٦، وأثر الوزن الشعرى فى هذه الأبنية.

(٢) فصول فى فقه العربية ٣٠٦.

(٣) دور الكلمة فى اللغة ١٤٣.

(٤) فقه اللغات السامية ١٠٥.

فى اللغة العـربية الفصحى. . . فـإن التركيب مع الاحـتفاظ بجميع عناصر الكلمة الداخلة فى التـركيب أمر نادر فى العربية بعكس الألمـانية التى يوجد فـيهـا الكثيـر من الكلمات مـثل: «Shreibtischlampe» بمعنى «مـصباح المكتب» وغير ذلك[١].

قضية تأثير النبر الطارئ:

وقد أورد ابن فـارس أمثلة لهذا التـأثير فى بابين مـتتاليـين وهما: «باب البسط فى الأسـماء»[٢] و «باب القـبض»[٣] حيث يـقول: «والعرب تـبسط الاسم والفعل، فتزيد فـى عدد حروفها، ولعل أكثر ذلك لإقـامة وزن الشعر وتسوية قوافيه، وذلك قول القائل:

وليلة خـامـدة خمـودا

طخياء تُغْشِ الجَدْى والفُرْقودا

فـزاد فى «الفرق» الواو، وضم الفـاء، لأنه ليس فى كـلامهم «فـعلولا» ولذلك ضم الفاء، وقال فى الزيادة فى الفعل:

* لو أن عَـمْرًا هَمّ أن يرقـودا *

ومنه:

* أقول إذا خرَّت على الكلكال *

أراد «الكلكل»[٤].

ولا شك أن أثر الوزن الشعـرى هنا، هو الذي جعل الشاعـر يبسط فى الحركـات، وفى الأسماء والأفعـال، على نحو ما ذكر ابن جنى فى كـتابه،

(١) فصول فى فقه العربية ٣٠٧. (٢) الصاحبى ٣٨٠.

(٣) الصاحبى ٣٨١. (٤) الصاحبى ٣٨٠.

الخصائص، فى باب «مطل الحركات» حيث يقول: وحكى الفراء عنهم: أكلت لحما شاة، أراد: لحم شاة فمطل الفتحة، فأنشأ عنها ألفًا[1]، ويقول - أيضًا - «وكذلك الحركات عند التذكر يُمْطلن... قولهم عند التذكر مع الفتحة فى قمتَ: قمتا، أى: قمت يوم الجمعة، ونحو ذلك، ومع الكسرة: أنتى، أى أنت عاقلة، ونحو ذلك، مع الضمة: قمتو، فى قمتُ إلى زيد، ونحو ذلك»[2].

وعلى الرغم من أن ابن جنى، لم يتناول المسألة من جهة تأثير الوزن الشعرى، كما فعل ابن فارس، وإنما جعلها بسبب التذكر فى الكلام النثرى، فإن القضية فى كليهما قضية صوتية، فالذى أدى إلى حدوث البسط، هو انتقال مواضع النبر عن مقاطعها، إلى مقاطع أخرى جديدة، بسبب النبر الطارىء فيها أدى إلى إطالة حركاتها، لكى يستقيم الوزن الشعرى، فكلمة: «فَرْقَد» تتألف من ثلاثة مقاطع وهى: (ص ح ص + ص ح + ص ح ص) يقع النبر فيها على المقطع الأول، أما كلمة: «فَرْقود» فإنها تتألف من ثلاثة مقاطع وهى: (ص ح ص + ص ح ح + ص ح ص) وقد انتقل النبر إلى المقطع الثانى، فسبب ذلك إطالة حركته من الضمة القصيرة إلى الواو الطويلة.

ولم يكن العلماء العرب، فى هذه العصور المتقدمة، يعرفون هذه القضايا الصوتية، كالنبر والتنغيم والمقاطع الصوتية، التى تعد من ثمار الدراسات الصوتية الحديثة.

---

(١) الخصائص ٣/ ١٢٣.

(٢) الخصائص ٣/ ١٢٩.

وأما قوله: «ومن سنن العرب القبض، محاذاة للبسط الذى ذكرناه، وهو: النقصان فى الحروف، كقول القائل:

* غَرْثَى الوشاحين حَموتُ الخَلْخَل *

أراد: الخلخال.

وكذلك قول الآخر: و «سُرُح خُرُجُجُ» أراد: خُرجونًا وهى: الضامر[١] فالذى أدى إلى هذا القبض ، هو انتقال مواضع النبر عن مقاطعه، مما أدى إلى نتيجة عكسية ـ كذلك ـ تتمثل هذه المرة فى تقصير الحركات الطويلة، فكلمة: خَلْخَلْ، تتألف من مقطعين وهى: (ص ح ص + ص ح ص) فى حين تتألف كلمة: خلخال من مقطعين وهما: (ص ح ص + ص ح ح ص) وقد انتقل النبر من المقطع الثانى: ص ح ح ص، إلى المقطع الأول: ص ح ص، فأدى ذلك إلى تقصيره إلى مجرد: ص ح ص، بسبب انحسار النبر عنه.

قضية شاهد الحال:

وقد تحدث عنها ابن فارس فى باب المنقول فى أصول أسماء، قيس عليها، وألحق بها غيرها[٢] وهو يذكر لذلك أمثلة منها: «ويقولون: رفع عقيرته» أى: صوته، وأصل ذلك، أن رجلاً عُقرت رجله، فرفعها، وجعل يصيح بأعلى صوته، فقيل بعد لكل من رفع صوته: رفع عقيرته[٣].

وشاهد الحال عبارة عن مجموعة من الألفاظ والتعبيرات اللغوية فى العربية، يبدو لمن لا يعرف السبب فى منشئها، أو الحادثة التاريخية، التى

(١) الصاحبى ٢٨١.　(٢) الصاحبى ١١٢.

(٣) الصاحبى ١١٢.

أفرزتها، أنها بمعناها الذى تستخدم فيه عادة، منقطعة الصلة بالأصل الاشتقاقى الذى أخذت منه، غير أننا إذا عرفنا الحادثة الاجتماعية أو التاريخية، التى تفسرها، والحال التى قيلت فيها، اتضح مذهب اشتقاقها، وبان وجه إطلاقها على المعنى الذى تدل عليه[1].

قضية المصطلح بين القديم والحديث:

تناول ابن فارس فى «باب القول فى الاحتجاج باللغة العربية»[2] مصطلحين هما:

١- علم اللغة.

٢- علم العربية (الإعراب).

وهو يقصد بالمصطلح الأول ما يمكن أن يطلق عليه: متن اللغة، أى ما تشتمل عليه اللغة من مفردات وألفاظ وعبارات، مع معرفة معانيها ومدلولاتها، على نحو ما يجرى فى عمل «معاجم اللغة».

أما مصطلح علم اللغة فى الدرس اللغوى الحديث، وهو ترجمة للمصطلح الأجنبى Linguistics إنما يعنى أموراً أوسع وأرحب مما ذكره ابن فارس، فعلم اللغة linguistics يعدُّ من العلوم الحديثة، التى تعنى بدراسة القضايا المتعلقة باللغة، مجردة عن الارتباط بأية لغة من اللغات،

---

(١) التطور اللغوى، مظاهره وعلله وقوانينه ١٥٥، وانظر الأمثلة التى أوردها كل من سيبويه وابن جنى وابن السراج فى: الكتاب/ ٢٦٨ والخصائص ١/ ١٦٦، ٢٤٨ والاشتقاق ٣٣، وقد أورد د/ رمضان عبد التواب عليناً من الأمثلة والنماذج سواء من التراث القديم أو من الواقع اللغوى المستعمل، انظر: التطور اللغوى ١٥٥ - ١٧٠.

(٢) الصاحبى ٥٠ - ٥٦.

فقواعد هذا العلم تتسم بأنها قواعد عـامة، لا تختص بلغة بعينها، وإنما هى قـواعد تخص «الـلغة» فى ذاتهـا ومن أجل ذاتهـا[١] أى اللغـة التى تظهـر وتتحقق فى أشكال لغات كثيرة، ولهجـات متعددة، وصور مختلفة من صور الكلام الإنسانى، ومع أن اللغة العربية تختلف عن الإنجليزية، وهذه تختلف عن الألمانية، فإن هناك أصولاً وخـصائص جوهرية، تجمع بين هذه اللغات من جانب، كما تجمع بينهـا وبين سائر اللغات، وصور الكلام الإنسانى من جانب آخر، وهو أن كلاً منهـا لغة أو نظام اجتماعى معين، تتكلمـة جماعة معينة، بعد أن تتلقاه عن المجتمع[٢] ناهيك عن أن علم اللغة الحديث، قد شهـد ثورتين فى الربع الأول من هذا القـرن والنصف الثانى من هـذا القرن العشرين، على يدى كل من اللغوى الشهير: [دى سوسير] واللغوى الشهير [نعوم تشومسكى] ومـا أدخـــلاه من مناهج وأسس أثرت فـى الدراسـات اللغـوية، وجـعلها تقف جـنبًا إلى جنـب مع الدراسات الإنســانيـة والعلوم الأخرى[٣].

أما المصطلح الثانى: علم العربية

فإن ابن فارس يذكـره مرادفًا لعلم الإعراب، إذ يقول «وكـذلك الحاجة إلى علم العربية، فإن الإعراب، هو الفارق بين المعانى...[٤] ولعل أهمية

---

(١) انظر: اللغة والمجتمع رأى ومنهج د/ السعران ٥١.

(٢) فصول فى فقه العربية ١١.

(٣) يمكن الرجوع إلى مؤلفـات عديدة، تلقى الضوء على مسـيـرة الدرس اللغوى الحديث، وتطور مناهجه.

(٤) الصاحبى ٥٥.

الإعراب، هى التى دعت ابن فارس وغيره إلى القول بأن الإعراب، هو علم العربية، يقصد بذلك: علم النحو، باعتباره العلم المسئول عن النظام التركيبى للجمل والعبارات، وأن أسس هذا النظام وقواعده، هى التى تضمن سلامة الجمل والتراكيب من اللحن والانحراف وفى ضوء هذا المفهوم، يقول ابن فارس: «ألا ترى أن القائل إذا قال: «ما أحسن زيد» لم يفرق بين التعجب والاستفهام والذم إلا بالإعراب[١].

ولسنا نقلل من قيمة الإعراب وأهميته، فهو من أظهر القرائن، التى بها يستقيم الكلام العربى، ويأمن من الانحراف عن الصحة القاعدية والصوابية، التى ينبغى أن يكون عليها الأسلوب العربى، لكننا نرى أن الإعراب ـ على الرغم من إسهامه ـ الفاعل فى صون الأساليب العربية وحمايتها من البعد عن مستواها الصوابى، إلا أنه ليس هو وحده المسئول عن ذلك، إذ أن هناك قرائن أخرى عديدة، تسهم بأدوار لا تقل شأنًا عن الدور الذى يقوم به الإعراب نذكر من هذه القرائن مثلاً: قرينة الرتبة وقرينة التضام وغيرها من القرائن[٢].

(١) الصاحبى ٥٥.

(٢) انظر: اللغة العربية معناها ومبناها ٢٠٥ - ٢٣١ حيث أورد د/ حسان تمام حديثًا مفصلاً عن القرائن اللفظية ممثلة فى:

١- العلامة الإعرابية.	٢- الرتبة.
٣- الصيغة.	٤- المطابقة.
٥- الربط.	٦- التضام.
٧- الأداة.	٨- النغمة.

وانظر تفصيلات حول القرائن المعنوية من تخصيص وإسناد ومعية وظرفية وملابسة وغيرها ١٩١ - ٢٠٤.

إن تضافر هذه القرائن معًا وليست قرينة الإعراب وحدها، هو المسئول عن صحة التركيب النحوي، أما العلماء العرب، فقد احتفوا بقرينة الإعراب وحدها احتفاء أوقعهم في اللجوء إلى التأويل والافتراض، وإلى التناقض في الأحكام في كثير من أبواب النحو، ولو أنهم لجئوا إلى تضافر القرائن، لما وقعوا في ذلك، ولما تكلفوا المشقة والعنت في إصدار الأحكام!.

قضية دلالة العلامات الإعرابية على المعاني المختلفة:

وحول هذه القضية، يقول ابن فارس: فأما الإعراب، فبه تميز المعاني، ويوقف على أغراض المتكلمين، وذلك أن قائلاً لو قال: «ما أحسن زيدًا» أو «ما أحسن زيدٌ» أو «ما أحسنُ زيدٍ» أبان بالإعراب عن المعنى الذي أراده[١] وهو يذكر في موضع آخر بأن «الإعراب الذي هو الفارق بين المعاني المتكافئة في اللفظ، وبه يعرف الخبر، الذي هو أصل الكلام، ولولاه ما مُيِّز بين فاعل من مفعول، ولا مضاف من منعوت ولا تعجب من استفهام، ولا صدر من مصدر، ولا نعت من تأكيد[٢].

وابن فارس في رأيه هذا، إنما يتفق مع جمهور النحاة العرب القدامى الذين يرون أن الإعراب في اللغة العربية الفصحى، إنما هو للتفريق بين المعاني المختلفة، وهذا ما ذكره الزجاجي في كتابه: «الجمل» بقوله: «وأصل الإعراب للأسماء، وأصل البناء للأفعال والحروف، لأن الإعراب، إنما يدخل في الكلام، ليفرق بين الفاعل والمفعول، والمالك والمملوك

(١) الصاحبي ٣٠٩.

(٢) الصاحبي ٧٦.

والمضاف والمضاف إليه، وسائر ذلك مما يعتور الأسماء من المعانى وليس شيء من ذلك فى الأفعال ولا الحروف[١].

لكننا فى المقابل، نجد واحداً فقط من علماء النحو القدامى ألا وهو قطرب، محمد بن المستنير يقول: «إنما أعربت العرب كلامها، لأن الاسم فى حالة التوقف يلزمه السكون للوقف، فلو جعلوا وصله بالسكون ـ أيضاً ـ لكان يلزمه الإسكان فى الوقف والوصل، وكانوا يبطئون عند الإدراج، فلما وصلوا أمكنهم التحريك، جعلوا التحريك، معاقباً للإسكان ليعتدل الكلام، ألا تراهم بنوا كلامهم على متحرك وساكن، ومتحركين وساكن، ولم يجمعوا بين ساكنين فى حشو الكلمة، ولا فى حشو بيت، ولا بين أربعة أحرف متحركة، أنهم فى اجتماع الساكنين يبطئون، وفى كثرة الحروف المتحركة يستعجلون، وتذهب المهلة فى كلامهم، فجعلوا الحركة عقب الإسكان»[٢].

قضية انفراد اللغة العربية الفصحى بالإعراب دون سائر اللغات:

يقول ابن فارس: «وللعرب ما ليس لغيرها، فهم يفرقون بالحركات وغيرها بين المعانى»[٣] ويقول أيضاً فى «باب ذكر ما اختصت به العرب»[٤]

(١) الجمل، للزجاجى ٢٦٠، وانظر: الإيضاح فى علل النحو٦٩، حيث أورد نصاً آخر مماثلاً لما ورد فى: الجمل.

(٢) الإيضاح فى علل النحو ٧٠ وكذا: الأشباه والنظائر ١/ ٧٩ ومسائل خلافية، للعبكرى ٩٥، ولكننا نجد أن الدكتور/ إبراهيم أنيس، يؤيد هذا الرأى كذلك، انظر تفصيلات رأيه فى الإعراب فى: من أسرار اللغة ط ٣/ ١٨٣ – ٢٥٨، وانظر فى الرد على ذلك: فصول فى فقه العربية ٣٨٢ – ٣٩٥.

(٣) الصاحبى ٣٠٩.

(٤) الصاحبى ٧٦ – ٧٧.

أن من العلوم الجليلة التى اختصت بها العرب الإعراب الذى هو الفارق بين المعانى المتكافئة فى اللفظ[(١)].

وهذا القول عند ابن فارس، لا يستند إلى الدليل العلمى، أو البرهان الأكيد من لغة أخرى من اللغات الإنسانية، بل إننا نجد الأمر على عكس ذلك، فمن المعلوم أن اللغات الهند وأوربية القديمة، كاللغة اللاتينية واليونانية، كانت من اللغات المعربة، ليس ذلك فحسب، بل إن رموز الحركات الإعرابية فى هذه اللغات، لا تسقط مطلقًا من نهاية الأسماء حين الوقف عليها، كما يحدث ـ غالبًا ـ للحركات الإعرابية فى لغتنا العربية[(٢)].

كما أن اللغات السامية، كاللغة الأكادية والحبشية والاوجرايتية، من اللغات المعربة[(٣)].

ومن ثم فإن وجهه نظر ابن فارس، حول الإعراب، وتخصيصه على العربية فحسب، تفتقر إلى الدليل القوى، نظرا لعدم تقصيه أحوال اللغات الإنسانية الأخرى. . . ولعلة اعتمد فى حكمه السابق على مقارنة بين العربية والفارسية. . . على الرغم من وجود حركة للإضافة فى اللغة الفارسية وهى الكسرة.

كما يشتمل الكتاب على موضوعات وقضايا أخرى عديدة، حول أقسام الكلام[(٤)] كما خصص أبوابا للحديث عن حروف المعانى[(٥)] وأبوابا أخرى

---

(١) الصاحبى ٧٦.

(٢) انظر: فصول فى فقه العربية ٧٤.

(٣) انظر: فصول فى فقه العربية ٣٨٢ - ٣٨٥.

(٤) الصاحبى ٨٩ وما بعدها.

(٥) الصاحبى ١٢٣ وما بعدها.

لأنواع الأسلوب العربى من خبر واستخبار وأمر ونهى وغيرها[١] كما خصص أبوابا عديدة حول المعانى البلاغية المتنوعة من الخطاب وصوره والكلام على الحقيقة والمجاز[٢].

وبعد. . . فإن القضايا اللغوية، التى أثارها ابن فارس، فى كتابه «الصاحبى» تعد من القضايا اللغوية الجديرة بالاعتبار والبحث والنظر لاستجلاء ما فيها من معالجات وأفكار، تقف جنبا إلى جنب، مع نظيراتها من القضايا اللغوية المعاصرة، ويُعَدُّ من الضرورى إذن إعادة البحث والفحص والقراءة الدقيقة لمثل هذه المؤلفات العربية فى تراثنا الزاخر، فى ضوء مناهج البحث اللغوى الحديث.

(١) الصاحبى ٢٨٩ وما بعدها.

(٢) الصاحبى ٣٢١ وما بعدها.

اهم نتائج البحث

١- تمثل إعادة قراءة تراثنا اللغوى العربى، فى ضوء مناهج البحث اللغوى الحديث مطلبا علميا ضروريا، يستوجب أن ينهض به الباحثون والدارسون، للكشف عن قيمة هذا التراث وأهميته، وتسليط الضوء على مافيه من آراء وأفكار سديدة، جاءت متساوية فى دقتها ومنهجيتها مع أحدث ما توصلت إليه النظريات اللغوية الحديثة.

٢- كتاب الصاحبى فى فقه اللغة العربية وسنن العرب فى كلامها، يُعدُّ واحداً من المؤلفات اللغوية العربية الجديرة بالاهتمام والدراسة، لما يتضمنه من قضايا لغوية متنوعة وهامة، قدمها أحمد بن فارس من خلال وجهة نظره، التى تسيطر عليها روح التعصب للغة العربية، باعتبارها لغة القرآن الكريم، مما جعله يوقف عليها وحدها الخصائص الفريدة والمميزة، دون غيرها من سائر اللغات الأخرى.

٣- قضية الأصل والفرع فى علوم العربية فى تمهيده للكتاب، هى من القضايا الهامة المثارة على ساحة البحث اللغوى الحديث، عند علماء النظرية التوليدية التحويلية، وفى أحدث مراحلها على الرغم من الفارق الكبير بين مفهوم ابن فارس، الذى يتركز على موضوع اللغة العربية ومنشئها وحدها، فى حين يتعلق هذا المفهوم عند التوليديين والتحويليين بالملكة اللغوية الإنسانية، ومحاولة تفسيرها فى عقول المتكلمين بوجه عام.

٤- عالج ابن فارس كثيرا من القضايا التى أوردها فى كتابة بروح من

التعصب والحب للغة العربية، من هذه القضايا: قضية نشأة اللغة، حيث جعل اللغة العربية هي أصل اللغات وأقدمها، وقضية الخط العربي، الذى جعله أيضًا توقيفيا من عند الله، وأنه أقدم الخطوط كذلك، وقضية البيان والفصاحة التي تتمتع بها اللغة العربية دون سواها من اللغات، وقضية الاقتراض من اللغات الأخرى، حيث يقرر بأن القرآن الكريم يخلو من الألفاظ الأعجمية، وأن من يقول بذلك، فقد أعظم القول على الله، وقدمت هذه الدراسة عرضا شاملا لوجهات نظر البحث اللغوى الحديث، وأن المعالجة اللغوية ينبغى أن تأتى خالصة وفقا للقوانين اللغوية ومناهج البحث اللغوى السديدة، بعيدة عن الميل والهوى، غير متأثرة بمؤثرات دينية أو قومية.

٥- على الرغم من أنه خصص للظواهر اللهجية بابا سماه: باب اللغات المذمومة، إلا أنه يقرر بأنه لا ينكر أن يكون لكل قوم لغة، لكنه يرى بأن هذه اللغات انحراف ولحن وخروج على اللغة العربية الفصحى ومستوياتها الصوابية، سواء فى مستوى الأصوات أو فى مستوى الأبنية أو فى مستوى التركيب أو فى مستوى الدلالة.

٦- اتفقت وجهة نظر ابن فارس، مع وجهه نظر البحث اللغوى الحديث فى أن اللغة توخذ اعتياداً، كالصبى العربى، يسمع أبويه وغيرهما، فهو يأخذ عنهم على مر الأوقات.

٧- يتشدد ابن فارس فى قضية القياس والاشتقاق ويرى بأنهما من الأمور التوقيفية من عند الله، ولا يجوز أن نشتق أو نخترع أو نقول غير ما قاله العرب قديما، ولا أن نقيس قياسا لم يقيسوه، لأن ذلك فساد للغة.

كما يرفض القول بوجود الترادف في اللغة العربية، ويقول بأن الاسم واحد.. وما بعده من الألقاب صفات، وقضية الترادف من القضايا الخلافية عند القدامى والمحدثين، ويرى العلماء القائلون بالترادف بضرورة توفر مجموعة من الشروط للقول بذلك.

٨- ثمة مجموعة من القضايا اللغوية، التي عالجها ابن فارس، تعد بحق من المعالجات اللغوية السديدة، مثل قضية التضاد في اللغة العربية، التي أنكرها بعض المستشرقين، ويرى بأنها من خصائص هذه اللغة العربية الشريفة، وألف فيها كتابا، وكذلك قضية الاتباع والمزاوجة، التي ألف فيها كتابا أيضًا، وقضية النحت، التي خصص لها فصلا، حيث يُعد من أوائل القائلين بالنحت ومن رواده، وقام بمعالجة الصيغ الرباعية والخماسية في معجمه المقاييس، وحاول ما أمكنه إرجاع هذه الصيغ إلى أصولها المنحوتة منها.

٩- في حين يذكر ابن فارس أن العلامات الإعرابية تدل على المعاني المختلفة، متفقا في ذلك مع جمهور النحاة العرب، الذين خالفهم قطرب، وبعض العلماء المحدثين، نجده يقصر الإعراب على اللغة العربية وحدها ذاكرا أن العلوم التي اختصت بها العرب: الإعراب، الذي هو الفارق بين المعاني، وليس الأمر كذلك، فاللغات الهندوأوربية القديمة، كاللاتينية واليونانية، من اللغات المعربة، بل إن علامات الإعراب فيها ملازمة لأواخر الكلمات لاتفارقها، كما أن بعض اللغات السامية، كالأكادية والحبشية والأوجاريتية هي من اللغات المعربة أيضًا.

والله ولي التوفيق

فهرست المراجع

١- الإبدال، لأبي الطيب اللغوي، تحقيق د/ عز الدين التوخي - دمشق ١٩٦٠م

٢- أسس علم اللغة، لماريو باي، ترجمة د/ أحمد مختار عمر طرابلس ١٩٧٣م

٣- الأشباه والنظائر في النحو، للسيوطي، حيدر أباد - الدكن - الهند ١٣٥٩هـ

٤- الاشتقاق، لابن السراج، تحقيق د/ محمد صالح

٥- الأصوات اللغوية د/ إبراهيم أنيس - القاهرة ١٩٥٠م

٦- الأضداد، لأبي الطيب، تحقيق د/ عزة حسن - دمشق ١٩٦٣

٧- أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة د/ نايف خرما - الكويت ١٩٧٩م

٨- الاقتراح في علم أصول النحو للسيوطي - حيدر أباد - الدكن - الهند ١٣٥٩هـ

٩- اكتساب اللغة، لمارك رويشل - ترجمة كمال بكداش بيروت ١٩٨٤

١٠- الإكليل، للهمداني - تحقيق أنستاس الكرملي - بغداد ١٩٣١م

١١- ألف باء، للبلوى القاهرة ١٢٨٧هـ

الأمالي، لابن الشجري - الهند ١٣٤٩هـ

١٢- الأمالي، لأبي علي القالي - بولاق ١٣٢٤هـ

١٣- الإيضاح على علل النحو، للزجاجي ـ القاهرة ١٩٥٩م
١٤- إيضاح الوقف والابتداء، لأبي بكر بن الأنباري
تحقيق محيي الدين رمضان دمشق ١٩٧١م
١٥- البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي ـ القاهرة ١٣٢٨هـ
١٦- بحوث ومقالات في اللغة د/ رمضان عبد التواب ـ
القاهرة ١٩٨٢م
١٧- تاريخ اللغات السامية، لإسرائيل ولفنسون ـ القاهرة ١٩٢٩م
١٨- شرح التصريح للشيخ خالد الأزهري على التوضيح
لألفية ابن مالك في النحو لابن هشام ـ القاهرة ١٣٢٥هـ
١٩- التطور اللغوي، مظاهره وعلله وقوانينه د/ رمضان
عبد التواب ـ القاهرة ١٩٨١م
٢٠- تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن ـ القاهرة ١٩٦٧م
٢١- الجمل، للزجاجي، تحقيق على توفيق الحمد ـ الأردن ١٩٨٥م
٢٢- جمهرة اللغة، لابن دريد الأزدي، تحقيق كرنكو ـ
حيدر أباد الهند ١٣٤٤ - ١٣٥١هـ
٢٣- خزانة الأدب، لعبد القادر البغدادي ـ بولاق ١٢٩٩هـ
٢٤- الخصائص، لابن جني ـ تحقيق محمد على النجار ـ
القاهرة ١٩٥٢ - ١٩٥٦م
٢٥- دراسات في فقه اللغة د/ صبحي الصالح ـ بيروت ١٩٧٠م
٢٦- دروس في علم أصوات العربية، لجان كانتينو ـ
ترجمة صالح القرمادي ـ تونس ١٩٦٦م

٢٧- دلالة الألفاظ، د/ إبراهيم أنيس ـ القاهرة ١٩٥٨م
٢٨- دور الكلمة فى اللغة، ستيفن أولمان ـ ترجمة
د/ كمال بشر ـ القاهرة ١٩٦٢م
٢٩- ديوان زهير بن أبى سلمى، بشرح ثعلب ـ القاهرة ١٩٤٤م
٣٠- الزينة فى الكلمات الإسلامية العربية لأبى حاتم الرازى ـ
تحقيق حسين الهمدانى ـ القاهرة ١٩٥٧م
٣١- سر صناعة الإعراب، ابن جنى ـ تحقيق مصطفى السقا
وآخرين ـ القاهرة ١٩٥٤م
٣٢- شرح أدب الكاتب، للجواليقى ـ نشر مصطفى صادق
الرافعى القاهرة ١٣٥٠هـ
٣٣- شرح السيرافى لكتاب سيبويه مخطوط بدار الكتب المصرية
برقم ١٣٧ نحو
٣٤- شرح شواهد الشافية، لعبد القادر البغدادى ـ تحقيق
محمد الزفزاف وآخرين ـ القاهرة ١٣٥٦هـ
٣٥- الصاحبى فى فقه اللغة العربية لأحمد بن فارس ـ
تحقيق السيد أحمد صقر ـ القاهرة ١٩٧٧م
٣٦- العقد الفريد، لابن عبد ربه ـ تحقيق أحمد أمين وآخرين ـ
القاهرة ١٩٤٨/ ١٩٥٣م
٣٧- اللغة والمجتمع رأى ومنهج د/ السعران ـ الإسكندرية ١٩٦٣م
٣٨- علم اللغة العام ـ الأصوات ـ د/ كمال بشر ـ القاهرة ١٩٧٠م

٣٩- فصول فى فقه العربية د/ رمضان عبد التواب ـ القاهرة ١٩٨٠م

٤٠- فقه اللغة د/ على عبد الواحد وافى ـ القاهرة ١٩٥٦م

٤١- فقه اللغة وسر العربية، للثعالبى ـ القاهرة بدون تاريخ

٤٢- فى اللهجات العربية د/ إبرهيم أنيس ـ القاهرة ١٩٥٦م

٤٣- القراءات الشاذة، للشيخ القاضى ـ دار إحياء الكتب العربية ـ القاهرة ١٩٥٦م

٤٤- الكامل فى اللغة والأدب، للمبرد ـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم والسيد شحاته ـ القاهرة ١٩٥٦م

٤٥- الكتاب، لسيبويه ـ بولاق ١٣١٦ هـ ١٣١٧هـ

٤٦- الكتاب لسيبويه، تحقيق عبد السلام هارون ـ القاهرة ١٩٦٦م - ١٩٧٧م

٤٧- لحن العامة والتطور اللغوى د/ رمضان عبد التواب ـ القاهرة ١٩٦٧م

٤٨- لسان العرب، لابن منظور ـ بولاق ١٣٠٠ - ١٣٠٧هـ

٤٩- لغات البشر، لماريو باى ـ ترجمة د/ صلاح العربى ـ القاهرة ١٩٧٠م

٥٠- لغة الطفل فى ضوء مناهج البحث اللغوى الحديث د/ حسام البهنساوى ـ القاهرة ١٩٩٤م

٥١- اللغة، لفندريس، ترجمة عبد الحميد الدواخلى و د/ محمد القصاص ـ القاهرة ١٩٥٠م

٥٢- اللغة العربية في عصر ما قبل الإسلام لأحمد حسين
شرف الدين ـ القاهرة ١٩٥٠م

٥٣- اللغة العربية معناها ومبناها د/ تمام حسان ـ القاهرة ١٩٧٩م

٥٤- اللغة والمجتمع، رأى ومنهج د/ السعران ـ الإسكندرية ١٩٦٣م

٥٥- اللهجات العربية الغربية، لرابين ـ ترجمة د/ عبد الرحمن
أيوب ـ الكويت ١٩٨٦م

٥٦- مجاز القرآن، لأبي عبيدة معمر بن المثنى ـ تحقيق
محمد فؤاد سزكين ـ القاهرة ١٩٥٤م

٥٧- مجالس ثعلب، تحقيق عبد السلام هارون ـ القاهرة ١٩٦٠م

٥٨- مجلة كلية الآداب، مجلد ١٠، مقال ابن ليتمان ـ القاهرة ١٩٤٨م

٥٩- محاضرات الأدباء، ومحاضر الشعراء والبلغاء للراغب
الأصفهاني هذبه واختصره إبراهيم زيدان ـ القاهرة ١٢٨٧هـ

٦٠- مختصر شواذ القراءات، لابن خالويه ـ نشر برجشتراسر
المطبعة الرحمانية ـ القاهرة ١٩٣٤م

٦١- المدخل إلى علم اللغة د/ رمضان عبد التواب ـ القاهرة ١٩٨٥م

٦٢- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، للسيوطي ـ تحقيق
محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرين ـ القاهرة ١٩٥٨م

٦٤- المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم
للجواليقي ـ تحقيق أحمد شاكر ـ القاهرة ١٩٦١م

٦٥- المعرفة اللغوية، طبيعتها وأصولها واستخدامها لنوعم
تشومسكي، ترجمة د/ محمد فتيح ـ القاهرة ١٩٩٣م

٦٦- المفضليات، للمفضل الضبى - تحقيق أحمد شاكر
وعبد السلام هارون - القاهرة ١٩٦٤م

٦٧- مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس - تحقيق
عبد السلام هارون - القاهرة ١٣٦٦ - ١٣٧١هـ

٦٨- من أسرار اللغة د/ إبراهيم أنيس - القاهرة ١٩٥٠م

٦٩- المنصف، لابن جنى = شرح التصريف للمازنى
تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين - القاهرة ١٩٥٤م

٧٠- نظرية تشومسكى اللغوية، جون ليونز، ترجمة د/
حلمى خليل - الإسكندرية ١٩٨٥م

٧١- النهاية، لابن الأثير، تحقيق د/ محمود الطناحى -
القاهرة ١٩٦٣ - ١٩٦٥م

٧٢- النوادر فى اللغة، لأبى زيد الأنصارى
نشر سعيد الشرتونى - بيروت ١٨٩٤م

٧٣- همع الهوامع شرح جمع الجوامع، للسيوطى - القاهرة ١٣٢٧هـ

المبحث الثانى

القيمة اللغوية لخصائص ابن جنى

مع دراسة فى مصادره وآرائه

القيمة اللغوية لخصائص ابن جنى
مع دراسة فى مصادره وآرائه

أولاً: القيمة اللغوية لكتاب الخصائص:

يعد كتاب «الخصائص» لصاحبه اللغوى الكبير «ابن جنى» أشهر سفر فى علم العربية على الإطلاق، إذ حلق فيه «ابن جنى» فى أجواء العربية، متحدثًا عن خصائصها، ومشتقاتها وتصاريفها، ذاكراً لغات العرب الفصيحة والشاذة وغيرها، نافذاً إلى الحديث عن اللغات وأصولها، ولا غرابة أن يأتى هذا السفر الجليل على هذا الوجه من التبحر والشمول، والدقة والبراعة، ولقد أتمه ابن جنى» تحت رعاية أستاذه وشيخه «أبى على الفارسى» فأفاد من آرائه وخواطره، وأضاف إليها كثيراً من ملاحظاته واستقصاءاته، يساعده على ذلك حس مرهف ونظر ثاقب ومعرفة واسعة.

والكتاب ـ بحق ـ يُعد محاولة رائعة فى وضع القوانين الكلية لعلم التصريف، حيث شخص فيه ابن جنى الأبنية العربية وجسدها، بما يجعلنا نطمئن إلى القول بأنه واضع أصول هذا العلم، فقد قرأ كتاب: التصريف، للمازنى على أستاذه أبى على، وهو يُعد من أنفس ما ألف فى علم التصريف حتى عصر ابن جنى، ولم يكتف بحفظ هذا الكتاب فحسب، وإنما عمد إلى شرحه شرحًا واعيًا ومناقشته مناقشة دقيقة فى كتابه: «المنصف» شرح التصريف للمازنى(١).

(١) انظر: المنصف، شرح التصريف للمازنى، تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين ـ القاهرة ١٩٥٤م حيث يرى المازنى أن الأفعال قد تشتق من أسماء الأعيان، حيث يقول: «إننا إذا =

ويشتمل الخصائص على مائة واثنين وعشرين بابًا من أبواب علم العربية، في اللغة والصرف والنحو وغيرها؛ يبدأها «بباب القول على الفصل بين الكلام والقول»(١) وينتهي «بباب في المستحيل وصحة قياس الفروع على فساد الأصول»(٢) إلى جانب عرضه لمسائل التعليل والقياس والسماع، نجده يتحدث عن نشأة اللغة في باب سماه: «باب القول على أصول اللغة إلهام هي أم اصطلاح»(٣) يبين فيه رأي العلماء من أهل النظر على أن أصل اللغات، التواضع والاصطلاح، إلا أن أستاذه أبا علي قال له: هي من عند الله، واحتج بقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ (البقرة: ٣١) ثم يستعرض الآراء المختلفة، ويناقشها ويذكر حججها وأدلتها، وعلى الرغم من أنه ينتصر لرأي القائلين بأنها من الأصوات المسموعات، وأنها محاكاة لأصوات الطبيعة، حيث يذكر ذلك قائلاً: «وهذا عندي وجه صالح، ومذهب متقبل»(٤) إلا أنه بعد مداومة التنقير والبحث، وجد لديه من الدواعي والخوالج القوية والرقة، ما يقوي في نفسه من اعتقاد كونها من عند الله سبحانه، وأنها وحي(٥).

ولسنا نجاوز الحقيقة، إذا قلنا إنه هو الذي ثبت أركان فكرة الاشتقاق

---

* اشتققنا من: سفرجل، قلنا: سفرج يسفرج فهو مسفرج» المنصف ١/ ٣٣ كما أن الأفعال قد تشتق من الحروف، فيقول: قوفت قافًا، وكوفت كافًا ودولت دالاً، المنصف ٢/ ١٥٤.

(١) الخصائص ١/ ٥ - ٣٣ تحقيق محمد علي النجار ـ القاهرة ٥٢ - ١٩٥٦.

(٢) الخصائص ٣/ ٣٢٨ - ٣٤١.

(٣) الخصائص ١/ ٤٠ - ٤٧.

(٤) الخصائص ١/ ٤٧.

(٥) الخصائص ١/ ٤٧.

الأكبر، التي تقوم على أساس التقاليب المتعددة، لأصل الكلمة، وهو يحاول جاهدًا أن يجمع الكلمة ومشتقاتها في معنى واحد ولا شك أن الخليل بن أحمد، قد أسس معجمه، العين على أساس من هذه الفكرة[1] بيد أن ابن جني، هو صاحب حصرها في معنى واحد، أو دلالة واحدة، حيث إن تقاليب الخليل بن أحمد، تعد تقاليب صرفية فحسب لتحديد الصيغ المستعملة والمهملة في اللغة العربية.

ولا ينكر ابن جني فضل أستاذه أبي علي الفارسي، وأنه استمد منه فكرة هذا الاشتقاق، بيد أن تأصيلها وتطبيقها وتعميقها بل وتسميتها، كل ذلك من صنيع ابن جني، حيث يقول: «هذا موضع لم يسمه أحد من أصحابنا، غير أن أبا علي ـ رحمه الله ـ كان يستعين به، ويخلد إليه مع إعواز الاشتقاق الأصغر، لكنه ـ مع هذا ـ لم يسمه، وإنما كان يعتاده عند الضرورة ويستروح إليه، ويتعلل به، وإنما هذا التلقيب لنا نحن»[2] كما تعد فكرة التضمن ـ أيضًا ـ واحدة من الأفكار التي أصلها ابن جني، وقد حفل الخصائص بكثير من الأمثلة، التي تؤكد هذه الفكرة وتدعمها، وتقوم فكرة التضمن على أساس إشراب للفظ معنى لفظ آخر، مع أخذ حكمه أيضًا، وقد ذكر سيبويه والكسائي هذه الفكرة، كما لاحظها أبو علي، لكن يبقى ابن جني هو الذي ثبت أركانها، وعمل على تأكيدها بالعديد من الأمثلة، ففي قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ﴾ (البقرة: ١٨٧) يقول ابن جني:

---

(١) ينبغي التنويه إلى الأساس الأول الذي اعتمد عليه الخليل في صنع معجمه العين وهو الأساس الصوتي.

(٢) الخصائص ٢/ ١٣٣.

الرفث، يتعدى بالباء، غير أنه ضمن في الآية معنى الإفضاء، ولذلك يتعدى بإلى، كما يتعدى بها في الإفضاء، ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ (آل عمران: ٥٢) أي: مع الله، لأنه في معنى من يضاف في نصرني إلى الله، وكقوله تعالى: ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ﴾ (النازعات: ١٨) وضعت: إلى، موضع: في، لأن ما قبلها في معنى: أدعوك وأرشدك[١].

ولابن جني آراء سديدة، ووجهات نظر دقيقة، يختص بها في مسائل التعليل والقياس والسماع في أبواب النحو والصرف على السواء.

لقد أجاد ابن جني تعليلاته في أبواب النحو والصرف أيما إجادة، وهو يقدم للحديث عن التعليل ببيان مدى صلة علل النحاة، بعلل المتكلمين والمتفقهين، ويذكر أن علل النحويين أقرب إلى علل المتكلمين، منها إلى علل المتفقهين، فهو يقول في باب خصصه لذلك بعنوان: «باب علل العربية أكلامية هي أم فقهية»[٢] يقول فيه: «اعلم أن علل المتفقهين، وذلك أنها إنما هي أعلام وأمارات لوقوع الأحكام، ووجوه الحكمة فيها خفية عنا»[٣] وهو لا يكتفي في تعليله بما ذكره العلماء قبله فحسب، وإنما يناقشهم ويعترض على تعليلاتهم، ويعتل لما يراه صائبًا من وجهة نظره، فنحن نجده بعدما أفاض في عرض علل النحاة ينكر التقسيم الذي ذكره ابن السراج وتلميذه الزجاج في القول بعله العلة أو القول بعلة لعلة العلة، فيما يطلق عليه، العلل الثواني والثوالث، ويذكر أن هذه العلل ما هي إلا تتميم للعلة الأولى، ويخصص لذلك بابًا بعنوان: «باب في العلة وعلة العلة»[٤] يقول فيه: «وهذا

(١) الخصائص ٢/ ٣٨٠ وما بعدها.
(٢) الخصائص ١/ ٤٨.
(٣) الخصائص ١/ ٤٨.
(٤) الخصائص ١/ ١٧٣.

موضع ينبغي أن تعلم منه أن هذا الذى سماه (يقصد ابن السراج) علة العلة، إنما هو تجوز فى اللفظ، فإما فى الحقيقة، فإنه شرح وتفسير وتتميم للعلة»[١] ولا تقتصر مناقشاته على العلماء فحسب، بل نجده يتثبت فى تعليلاته من رواته الذين يثق فيهم من الأعراب الفصحاء، ولعل سؤالاته لأبى عبد الله محمد العساف العقيلى الجوثى دليل على ذلك»[٢].

وعلى نحو من براعته فى التعليل، يقدم لنا القياس والسماع، فهو يقدم بين يدى المسألتين بباب سماه: «باب القول على الأطراد والشذوذ»[٣] ويتحدث عن التوسع فى القياس وأن ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب[٤] وهو يخصص بابًا لتعارض السماع والقياس[٥] يقول فيه: «اعلم أنك إذا أداك القياس إلى شيء ما ثم سمعت العرب قد نطقت فيه بشيء آخر على قياس غيره، فدع ما كنت عليه إلى ما هم عليه»[٦].

والحق: فإن ابن جنى يقف موقفًا وسطًا فى مسألة السماع، فلم يقصر الأخذ عن الأعراب القح، كما شدد على ذلك علماء المدرسة البصرية ولم يفتح الباب على مصراعيه للأخذ من جميع الأعراب الفصحاء منهم وغير الفصحاء، كما فعل ذلك علماء المدرسة الكوفية، لكنه يراوح بين هؤلاء وهؤلاء، وتلك سمة من سمات المدرسة البغدادية، التى يعد ابن جنى رائدًا من روادها فى جيلها الثانى، حيث نجده يعقد بابًا فى خصائصه بعنوان:

(١) الخصائص ١/ ١٧٣ وما بعدها.
(٢) انظر: الخصائص ١/ ٧٦.
(٣) الخصائص ١/ ٧٦ وما بعدها.
(٤) الخصائص ١/ ١٤٤.
(٥) الخصائص ١/ ١١٧.
(٦) الخصائص ١/ ١٢٥.

«باب فى ترك الأخذ عن أهل المدر كما أخذ عن أهل الوبر»(١) ثم يعقد بابًا آخر بعنوان: «باب فى العربى الفصيح ينتقل لسانه»(٢) ويصرح فى باب بعنوان: «باب اختلاف اللغات وكلها حجة»(٣) ذاكرًا: «أن إنسانًا لو استعملها، لم يكن مخطئًا لكلام العرب، لكنه كأن يكون مخطئًا لأجود اللغتين»(٤).

كما حفل هذا السفر الجليل بالعديد من التحليلات الصوتية، التى تتسم بالدقة وحسن المذاق، تدعونا ـ حقًا ـ إلى الدهشة والإعجاب، لما تتضمنه هذه التحليلات من آراء وتفسيرات، تقف على قدم المساواة مع ما توصلت إليه الدراسات الصوتية الحديثة، على الرغم من الفارق الهائل من حيث الزمن من جهة، ومن حيث إمكانات البحث والتحليل المتوافرة من جهة أخرى.

وإذا كانت فكرة أن الصوت المضعف، ليس فى حقيقة أمره إلا صوتًا واحدًا طويلاً، تعد فكرة حديثة، إلا أننا نجدها عند ابن جنى، وقد أدركها برهافة حسه وعمق إدراكه، حيث نجده يقول: «الحرف لما كان مدغمًا، خفى فنبا اللسان عنه وعن الآخر بعد نبوة واحدة فجريا لذلك مجرى الحرف الواحد»(٥) وهو يذكر ذلك فى موضع آخر بقوله: «إدغام الحرف فى الحرف أخفُّ عليهم من إظهار الحرفين، ألا ترى أن اللسان ينبو عنهما معًا نبوة واحدة»(٦).

تقف وجهة النظر هذه لابن جنى: فى موضع المساواة مع وجهة نظر

---

(١) الخصائص ٢/ ٥ وما بعدها.
(٢) الخصائص ٢/ ١٢ - ١٣.
(٣) الخصائص ١/ ١٠ - ١٢.
(٤) الخصائص ٢/ ١٢.
(٥) الخصائص ١/ ٩٢.
(٦) الخصائص ٢/ ٢٧٢.

(كانتينو) في تعريفه الأصوات المضعفة، حيث يذكر هذا الأخير أن الأصوات المضعفة: «هي التي يمتد النطق بها، فيضاهي مداها، مدى حرفين بسيطين تقريبًا، وترسم هذه الحروف عادة في الأبجدية الأوربية بحرفين متتابعين (bb) أو (mm) وهكذا»[١].

أما فكرة النبر: stress بمعنى الضغط accent على بعض المقاطع الصوتية، فإنها - أيضًا - فكرة صوتية حديثة لم يذكرها العلماء العرب في دراساتهم، ولم يدركوها في أبحاثهم، غير أننا نجد ابن جني وقد أشار إليها، وأدرك أثر الضغط على بعض حركات الكلمة، وهو يعقد لذلك بابًا يسميه «باب مطل الحركات»[٢] يقول فيه: «وإذا فعلت العرب ذلك، أنشأت عن الحركة، الحرف من جنسها، فتنشيء بعد الفتحة الألف، وبعد الكسرة الياء، وبعد الضمة الواو»[٣] وهو يقدم أمثلة لذلك المطل (النبر) في الفتحة والكسرة والضمة، وما ينشأ عن هذا المطل من إطالة لها[٤].

ويقول في موضع آخر: «وكذلك الحركات عند التذكر يمطلن، كما تمطل الحروف، وذلك قولهم عند التذكر مع الفتحة في قمتَ: قمتا، أي: قمتَ يوم الجمعة، ومع الضمة: قمتو، في: قمتُ إلى زيد، ونحو ذلك»[٥] كما يذكر - أيضًا - في باب مطل الحروف[٦] قوله: «والحروف الممطولة هي الحروف الثلاثة اللينة المصوتة، وهي الألف والياء والواو، اعلم أن هذه

(١) دروس في علم أصوات العربية ٢٥ لكانتينو، ترجمة صالح القرمادي - تونس ١٩٦٦م.

(٢) الخصائص ٣/ ١٢٣.

(٣) الخصائص ٣/ ١٢٣.

(٤) الخصائص ٣/ ١٢١ - ١٢٤.

(٥) الخصائص ٣/ ١٢٩ - ١٣٠.

(٦) الخصائص ٣/ ١٢٤.

الحروف، أين وقعت، وكيف وجدت بعد أن تكون سواكن يتبعهن بعضهن غير مدغمات، ففيها امتداد ولين.. إلا أن الأماكن التى يطول فيها صوتها، وتتمكن مدتها ثلاثة:

١- وهى أن تقع بعدها ـ وهى سواكن توابع لما هو منهن، وهو الحركات من جنسهن ـ الهمزة.

٢- أو الحرف المشدد.

٣- أو أن يوقف عليها عند التذكر[١].

ويقدم ابن جنى أمثلة عديدة على مطل هذه الأصوات الثلاثة المصوته، باعتبارها أصوات لين، فى هذه المواضع الثلاثة، مبينًا أسباب ذلك، ففى مطلها حينما تقع بعدها همزة يقول: «وإنما تمكن المد فيهن مع الهمزة أن الهمزة حرف نأى منشؤه، وتراخى مخرجه، فإذا أنت نطقت بهذه الأحرف المصوته قبله، ثم تماديت بهن نحوه طلن وشعن فى الصوت»[٢] وفى مطلها إذا وقع بعدها حرف مشدد يقول ابن جنى: «فلأنهن ـ كما ترى ـ سواكن وأول المثلين مع التشديد ساكن، فيجفو عليهم أن يلتقى الساكنان حشوًا فى كلامهم، فحينئذ ما ينهضون بالألف بقوة الاعتماد عليها فيجعلون طولها ووفاء الصوت بها عوضًا مما كان يجب لالتقاء الساكنين، من تحريكها، إذا لم يجدوا عليه تطرقًا ولا بالاستراحة إليه تعلقًا ـ وذلك نحو: شابّه، ودابّه، وهذا قضيب بكر، فى قضيب بكر، وقد تمودّ الثوب، وقد قوصّ بما عليه»[٣].

(١) الخصائص ٣/ ١٢٤ - ١٢٥.

(٢) الخصائص ٣/ ١٢٥.

(٣) الخصائص ٣/ ١٢٦.

وأما مطلها عند الوقف وعند التذكر، فيقول ابن جنى: «لكنك لما وقفت مطلت الحرف علم بذلك أنك متطاول إلى كلام تالٍ للأول، منوط به، معقود ما قبله على ما تضمنه وخلطه بجملته»(١).

والحقُّ، أن هذا التحليل الصوتى الدقيق، فى بيان مدى تأثير المطل على هذا النحو الذى عرضه ابن جنى، هو ما يطلق عليه فى الدرس الصوتى الحديث، تأثير النبر فى تغيير أنظمة المقاطع فى اللغة، سواء على مستوى الكلمة المفردة أو على مستوى التركيب، فالنبر فى النماذج الثلاثة التى ذكرها ابن جنى، هو المسئول عن وجود المقطع الصوتى الزائد الطول، ص ح حَ ص، نادر الوجود والشيوع فى اللغة العربية الفصحى(٢) ويُعد النبر الطارىء على مقطعة هو السبب فى ظهوره ووجوده.

والتنغيم Intonation بمعنى رفع الصوت وخفضه فى أثناء الكلام للدلالة على المعانى المختلفة للكلمة الواحدة، فإنه يعد من الظواهر الصوتية الحديثة، التى لم يتنبه إليها العلماء العرب، ولم يذكروها فى دراساتهم ومؤلفاتهم غير أننا نجد ابن جنى وقد فطن إلى هذا التنوع الصوتى، ارتفاعًا وانخفاضًا، وقد ذكر ذلك فى الخصائص فى قوله: «وقد حذفت الصفة ودلت الحال عليها، وذلك فيما حكاه صاحب الكتاب من قولهم: سير عليه ليل، وهم يريدون: ليل طويل، وكأن هذا إنما حذفت فيه

(١) الخصائص ٢/ ١٢٨.

(٢) ويجدر التنويه إلى أن هذا المقطع يشيع فى اللهجة المصرية فى كثير من استعمالاتهم، وقد نتج عندهم عن طريق النحت، من ذلك قولهم: فين Fēn وقولهم: ليه Lēh، وغيرها من النماذج انظر: دراسة وصفية تاريخية للهجات الدقهلية، على مستوى الأصوات والأبنية ٩٩ وما بعدها مخطوط ـ القاهرة ١٩٨٦م.

الصفة، لما دل من الحال على موضعها، وذلك أنك تحس في كلام القائل لذلك من التطويح والتطريح والتفخيم والتعظيم ما يقوم مقام قوله: طويل أو نحو ذلك، وأنت تحس هذا من نفسك إذا تأملته، وذلك أن تكون في مدح إنسان والثناء عليه: فتقول: كان والله رجلاً! فتزيد في قوة اللفظ (بالله) هذه الكلمة، وتتمكن من تمطيط اللام وإطالة الصوت بها وعليها ـ أي: رجلاً فاضلاً أو شجاعًا أو كريمًا أو نحو ذلك، وكذلك تقول: سألناه فوجدناه إنسانًا، وتمكن بالصوت إنسانًا وتفخمه، فتستغني بذلك عن وصفه بقولك: إنسانًا سمحًا او جوادًا أو نحو ذلك،و وكذلك إذا ذممته ووصفته بالضيق قلت: سألناه وكان إنسانًا وتزوي وجهك وتقطبه، فيغني ذلك عن قولك: إنسانًا لئيمًا أو لحزًا أو مبخلاً أو نحو ذلك»[1].

ولعل ما ذكره ابن جني في قوله: «فإن قلت، زعمت أن العرب تجتمع على لغتها فلا تختلف فيها[2] يعد هذا القول دليلاً على إدراك ابن جني لما يطلق عليه بالكفاءة الذاتية أو القدرة الكامنة لدى أصحاب اللغة المعنية، تلك الكفاءة التي تمكن أصحاب اللغة من امتلاك جملها الأصولية، التي تمثلها الأبنية العميقة في هذه اللغة، كما تقول بذلك النظرية التوليدية التحويلية، فالواقعة الرئيسية التي يجب أن يحيط بها اللغوي كما يذكرها روفت «Ruweet» أنه «يستطيع كل شخص راشد، ينطق بلغة معينة أن يرسل في كل وقت وبصورة تلقائية عددًا لامتناهيًا من الجمل أو أن يدركها ويفهمها، وذلك دون أن يكون قد تلفظ بمعظم هذه الجمل أو سمع بها

(١) الخصائص ٢/ ٣٧٠ - ٣٧١. (٢) الخصائص ١/ ٢٤٣.

مطلقًا، يمتلك كل شخص إذن بعض الاستعـدادات المخصوصة جدًا، والتى يمكن أن ندعوها بكفـاءته اللغوية[١] ويؤكد ابن جنـى عدم اختـلاف العرب على لغتهـا وامتلاكها الكفاءة الكامنة، التى تمكن أصـحابها من التكلم بها والاتصال فيـما بينهم عبر تراكـيبها ودلالاتهـا، على الرغم من وجود بعض الاختـلاف فى قواعد التـركيب عند بعضـهم عن بعضهم الآخـر، يقول ابن جنى: «وقد نراها ظاهرة الخلاف، ألا ترى إلى الخـلاف فى (ما) الحجازية والتميـمية، وإلى الحكاية فى الاسـتفهام على الأعلام فى الـحجازية، وترك ذلك فى التـميـميـة، وإلى غيـر ذلك، قيل: هذا القـدر من الخلاف لقلـته ونزارته مخـتصر غيـر محتـفل به، ولا مُعيج عليـه، وإنما هو فى شىء من الفروع يسير، فأمـا الأصول وما عليه العامة والجمهـور فلا خلاف فيه، ولا مذهب للطاعن به»[٢] فذلك تصريح واضح بأن الجـمل الأصولية واحدة فى أذهان الجماعـة اللغوية الواحدة، بيد أنهـا قد تختلف أو تنحرف عن مـعيار الأصولية على ألسنة مـتكلميها فى الجمل المنطوقة أو مـا يطلق عليه بالأبنية السطحية، والتى تمثلها ما يطلق عليه بالجـمل المقبولة، فإذا ما وافقت تلك الجمل المقبولة، قواعد الجمل الأصولية، التى ينبغى أن يمتلكها كل مستمع متكلم جـيد فى لغتـه، فإنها تخرج فى حـالة الأداء الفعلى، ممـثلة لشروط الكفاءة الكامنة، التى يـمتلكها أصحـاب اللغة[٣] وعندما يـقول: «ومع هذا فليس شىء مما يختلفون فيه ـ على قلة وخفته ـ إلا له من القياس وجه يؤخذ

(١) انظر: اكتساب اللغة ١٢. (٢) الخصائص ١/ ٢٤٣ - ٢٤٤.

(٣) انظر: مظاهر النظرية النحوية ٢٧ لنعوم تشومسكى، ترجمة مرتضى جواد باقر ـ بغداد، وكذا: اكتساب اللغة ٣٢ لمارك رويشل، ترجمة د. كمال بكداش ـ بيروت ١٩٨٤م.

به، ولو كانت هذه اللغة حشـواً مكيلاً وحثواً مهيلاً لكثر خـلافها، وتعادت أوصافها، فـجاء عنهم جر الفاعل ورفع المضاف إليه والمـفعول به والجزم بحروف النصب، والنصـب بحروف الجزم، بل جـاء عنهم الكلام سدى، غيـر محصل، وغفـلاً من الإعراب، ولاستـغنى بإرساله وإهماله عن إقـامة إعرابه والكلف الظاهر بالمحـاماة على طرد أحكامه[1] فذلك ـ أيضـًا ـ يعد إدراكًا لمـفهوم الحـدس اللغوى الصحـيح لأبناء اللغة، الذى عـولت عليه النظرية التوليـدية التحويلية، وجعلتـه أساسًا فى الحكم على صحـة القواعد النحوية، حيث يعتمد البـاحثون والدارسون على صدق هذا الحدس فى بناء القواعد النحوية للغـة المعينة ـ هذه من جهة ـ كمـا يعد هذا القول ـ أيضًا ـ إدراكًا من ابن جنى بأهميـة ما يطلق عليه بالقدرة التوليدية الضـعيفة Weak generative Capacity والتى يمكن أن توضع فى الاعتبار، على الرغم من قلة إسهامها فى بناء قواعد اللغة فى النظرية التوليدية التحويلية[2].

ثمة ظاهرة من ظواهر التطور اللغوى، تسـمى: شاهد الحال، وهى من الظواهر اللغوية الحـديثة، التى يستـعين بها البـاحثون فى إلقـاء الضوء على حقيقة حدث لغوى، وكشف غـموضة، وذلك بالرجوع إلى مسرحه اللغوى الأول الذى اقـترن به، لنتـبـين إلى أى مدى اخـتلفت الدلالة أو اتفـقت أو تطورت مع الحـدث الحقـيقى لهـا، لقد ألـمح ابن جنى إلى هذه الظاهرة وذكر أهمـيتـها، وفـضل العلماء العـرب الأوائل، الذين عايـنوا الأحداث، وعايشوها وتعرفوا مسارحهـا اللغوية، فنقلوها لنا، وكشفوا بذلك اللثام عن

(١) الخصائص ١/ ٢٤٤.

(٢) مظاهر النظرية النحوية ٧٧ - ٧٨.

غموض يحول بيننا وبين فهم الدلالة المقصودة، أو يؤدى إلى تفسير خاطىء وفهم بعيد عن جادة الصواب، يقول ابن جني: «فالغائب ما كانت الجماعة من علمائنا تشاهده من أحوال العرب ووجوهها، وتضطر إلى معرفته من أغراضها وقصودها، من استخفافها شيئًا أو استثقاله وتقبله أو إنكاره والأنس به أو الاستيحاش منه والرضا به، أو التعجب من قائله، وغير ذلك من الأحوال المشاهدة بالمقصود، بل الحالفة على ما فى النفوس، ألا ترى إلى قوله: (الطويل)(١):

تقول وصكت وجهها بيمينها

أبعليَ هذا بالرحى المتقاعس!

فلو كان حاكيًا عنها: أبعلى هذا بالرحى المتقاعس - من غير أن يذكر صك الوجه - لأعلمنا بذلك أنها كانت معجبة منكرة، لكنه لما حكى الحال، فقال: وصكت وجهها، علم بذلك قوة إنكارها، وتعاظم الصورة لها، هذا مع أنك سامع لحكاية الحال، غير مشاهد لها، ولو شاهدتها لكنت بها أعرف، ولعظم الحال فى نفس تلك المرأة أبين... وليست كل حكاية تروى لها، ولا كل خبر ينقل إلينا»(٢) ويقول أيضًا: «الاعتقاد يخفى، فلا يعرف إلا بالقول، أو ربما يقوم مقام القول من شاهد الحال»(٣) ويوضح ابن جنى ذلك فى قوله: «وقد يمكن أن تكون أسباب التسمية تخفى علينا، لبعدها الزماني عنا، ألا ترى إلى قول سيبويه(٤)، أو لأن الأول وصل إليه،

(١) البيت لأعرابى من بنى سعد بن زيد مناة بن تميم، يكنى بأبى محلم، انظر: الخصائص ١/ ٢٤٥ والكامل فى اللغة والأدب ١/ ٣٨.

(٢) الخصائص ١/ ٢٤٥ - ٢٣٦. (٣) الخصائص ١/ ١٩.

(٤) الكتاب ١/ ١٦٨.

علم لم يصل إلى الآخر، يعنى ما نحن فيه من مشاهدة الأحوال الأوائل»[١] ويذكر ابن جنى ما توقف عليه ابن السراج، مما أسرع إليه أبو إسحاق الزجاج من ارتكاب طريق الاشتقاق، واحتجاج ابن السراج، بأننا لو ذهبنا نشتق لقولهم: (ع ق ر) من معنى الصوت، لبعد الأمر جداً، وإنما هو أن رجلاً قطعت إحدى رجليه، فرفعها ووضعها على الأخرى، ثم نادى وصرخ بأعلى صوته، فقال الناس: رفع عقيرته، أى: رجله المعقورة، قال ابن السراج، فقال أبو إسحاق الزجاج: لست أدفع هذا!!»[٢].

وتجده فى باب يسميه: «باب في العدول عن الثقيل إلى ما هو أثقل منه، لضرب من الاستخفاف»[٣] نجده يتعرض لمسألة صوتية، تتعلق بقانون السهولة والتيسير فى الدراسات الصوتية الحديثة ألا وهى: المخالفة Dis-simallation[٤] حيث يقول: «وذلك أنه أمر يعرض للأمثال إذا ثقلت لتكريرها: فيترك الحرف إلى ما هو أثقل منه، ليختلف اللفظان فيخفا على اللسان»[٥] ويقدم ابن جنى أمثلة لهذه المخالفة الصوتية فى الحركات فى مثل قلبهم الياء فى كلمة: الحيوان، لأن أصلها: الحييان، حيث يقول: «فلما ثقل عدلوا عن الياء إلى الواو، وهذا مع إحاطة العلم بأن الواو أثقل من

(١) الخصائص ١/ ٦٦، ١/ ٢٤٨.

(٢) انظر: الخصائص ١/ ٢٤٨ كذا: الاشتقاق لابن السراج ٣٣ - ٣٤ وانظر: التطور اللغوى مظاهره وعلله وقوانينه ١٥٦ - ١٧٠.

(٣) الخصائص ٣/ ٨.

(٤) والمخالفة قانون صوتى يسير عكس قانون صوتى آخر يسمى: المماثلة Assimallation.

(٥) الخصائص ٣/ ١٨.

الياء[١] لكنه لما اختلف الحرفان ساغ ذلك[٢] ثم يذكر ابن جنى أن هذه المخالفة تحدث ـ أيضًا ـ فى الحروف الصامتة، حيث يتحول أحد الصوتين الصامتين المدغمين إلى صوت صائت، فيقول: وإذا كان اتفاق الحروف الصحاح القوية الناهضة يكره عندهم، حتى يبدلوا أحدها ياء نحو: دينار وقيراط وديماس وديباج، فيمن قال: دماميس ودبابيج[٣].

فهذه الكلمات جميعًا أصلها: دنّار وقرّاط ودمّاس ودبّاج، ثم يعلق على هذا جميعه بما يؤكد إدراكه لفكرة المخالفة الصوتية، وما تقدمه من تسهيل وتيسير على ألسنة المتكلمين، فيقول: «ألا تراهم إنما كرهوا التضعيف فى دِوّانٍ، فأبدلوا ليختلف الحرفان، ويقدم على نحو من هذه المخالفة الصوتية نماذج أخرى، كالإضافة فى كلمة: آية وراية، فتكون: آئى ورائى، بقلب الياء همزة «لتختلف الحروف ولا تجتمع ثلاث ياءات»[٤] على الرغم من أن الهمزة أثقل من الياء، حيث إن الصوت الصامت، يتطلب مجهودًا عضليًا فى النطق عن نظيره الصوت الصائت، الذى لا يتطلب نفس المجهود العضلى، بل إنه ينطق غفلاً ساذجًا، وكذلك الحال فى الإتيان بصيغة: فعاليل من: رميت، فتكون: رماوى ورمائى، فأبدلوا الياء من: رمايى، واوًا وأخرى همزة، وكلتاهما أثقل من الياء لتختلف الحروف[٥].

ونجده فى باب شواذ الهمز، يقدم العديد من الأمثلة والنماذج والشواهد

---

(١) انظر: سر صناعة الإعراب ١/ ٢٣ والخصائص ١/ ٧٥ - ٧٦ وكذا: تصحيح الفصيح ١٠٥ حيث يؤكد ابن جنى أن بين الواو والياء قربًا ونسبًا.

(٢) الخصائص ٣/ ١٨. (٣) الخصائص ٣/ ١٨.

(٤) الخصائص ٣/ ١٩. (٥) الخصائص ٣/ ١٩.

الشعرية، التي تؤكد حدوث هذه الظاهرة عند العرب، ويذكر ابن جني أنه يرى: «ما ورد عنهم من همزة الألف الساكنة في: بأز وشأمد وتأبل ونحو ذلك، إنما هو تطرق وصنعة، وليس اعتباط هكذا من غير مسكة، وذلك قد ثبت عندنا من عدة أوجه أن الحركة إذا جاوزت الحرف الساكن، فكثيرا ما تجريها العرب مجراها فيه، و فيصير لجواره إياها كأنه محرك بها، فإذا كان كذلك، فكأن فتحة باء «باز» إنما هي نفس الألف، فالألف لذلك، وعلى هذا التنزيل كأنها محركة، وإذا تحركت الألف، انقلبت همزة»[١].

والحق، فإن هذه الكلمات المهموزة، كانت في الأصل من المقطع الصوتي: ص ح ح ص الزائد الطول المغلق، الذي لا يجوز في اللغة العربية الفصحى، إلا في أواخر الكلمة، في حالة الوقف عليها أو في وسطها بشرط أن يكون المقطع التالي له، مبتدئا بصامت يماثل الصامت الذي ختم به المقطع السابق، وهذه الحالة الأخيرة، هي ما عبر عنها اللغويون القدامى «بالتقاء الساكنين على حدهما» وهو أن يكون الأول حرف لين، والثاني مدغما في مثله[٢] وذلك نحو: الضالّين، وشابّه، ومدهامّتان[٣] والعربية عندما تشتق كلمات من نفس المقطع ص ح ح ص في غير الحالتين السابقتين، فإنها تحوله إلى المقطع الطويل المغلق ص ح ص، مثل: يقوم، التي تصير عند الجزم: «لم يقم» وكان الأصل فيها: «لم يقوم»[٤]

(١) الخصائص ٣/ ٤٧، ٣/ ١٢٦.

(٢) انظر: شرح ابن يعيش ٩/ ١٢٠، القاهرة بدون تاريخ.

(٣) انظر: التطور اللغوي، مظاهره وعلله وقوانينه ٩٦.

(٤) التطور اللغوي ٩٦.

وهذا المقطع لا يجوز فى الشعر أصلاً إلا فى الوقف، أى: إنه لا يجوز فيه مثال: «الضالِّين، شابةٌ، مدهامَّتان» وإذا كان النثر لا يقبل هذا النوع من المقاطع، فإن الشاعر إذا أراد استخدام كلمة تحتوى على هذا المقطع أقحم همزة فى الكلمة، أو بعبارة أخرى: قسم المقطع إلى مقطعين[(١)] ومثال ذلك قول كثير: (الطويل)[(٢)]:

وأنت ابن ليلى خير قومك مشهدًا

إذا ما احمأرت بالعبيط العوامل

وقد أورد ابن جنى شطره الأخير هكذا[(٣)]:

* إذا ما العوامل بالعبيط احمأرت *

ثم يعقب قائلاً: يريد: احمارت.

وكقوله[(٤)]:

وللأرض إما سودها فتجللت

بياضًا وأما بيضها فاسوأدت

وكقول الشاعر[(٥)]: (الراجز)

* ياعجبًا لقد رأيت عجبا *

(١) التطور اللغوى ٩٦.

(٢) ديوانه ق ٤٦/ ١٠ ص ٢٩٤، ولسان العرب (حنن) ١٦/ ٢٤٩، وعبث الوليد ٦٩، وديوان أبى محجن الثقفى ١٠٦ وقد ذكره كما فى الخصائص، وألف باء للبلوى ٢/ ١٢٣.

(٣) الخصائص ٣/ ١٢٦، ١٤٨.

(٤) الخصائص ٢/ ١٢٧، ١٤٨ بيد أن البيت ورد فى ديوانه: فادهامت ٥٤/ ٤ ص ٣٢٣ وشرح شواهد الشافية ١٤ - ١٧ والفائق للزمخشرى ١/ ٤٦٢ والممتع لابن عصفور ١/ ٣٢٢ وسر صناعة الإعراب ١/ ٨٤.

(٥) الخصائص ٣/ ١٤٨ وشواهد الشافية ١٦٧.

* حـمـار قـبـان يسـوق أرنبـا *

* خـاطمهـا زامـتهـا أن تذهبـا *

وكقول دكين[١]:

* وجله حـتى ابيـأض مليـبـه *

ويبـدو أن كل صيغـة على وزن: افعـأل قد جـاءت في العربيـة عن هذا الطريق ولو لـم يوجد إلى جانبـها صيغة: أفعال في الاسـتـعمال، وذلك مثل اشمأز واجزأل واطمأن و غير ذلك»[٢].

(١) الخصائص ٣/ ١٤٨.

(٢) انظور: التطور اللغوى ٧٩ وكذا: فصول في فقه العربية ١٩٣ - ٢٢٦.

ثانياً: دراسة في مصادره وآرائه:

لقد تعددت مصادر كتاب الخصائص وتنوعت بما يؤكد حرص ابن جنى على أن يأتى هذا الكتاب على هذا النحو من الإحاطة والشمول بمسائل اللغة والنحو العربى، إلى الدرجة التى جعلته يصرح فى المقدمة، أنه لم ير أحداً من علماء البصرة والكوفة، تعرض لعمل أصول النحو، على مذهب الكلام والفقه، وأن كتاب الأصول لابن السراج، لم يتضمن إلا مسالة أو مسألتين من مسائل الأصول، «فلم يلمم فيه بما نحن عليه إلا حرفًا أو حرفين فى أوله، وقد تعلق عليه به، وسنقول فى معناه»[(١)] كما يذكر أن ما صنعه سعيد بن مسعدة، الأخفش الأوسط، فى المقاييس، عبارة عن كتيب لا يحتوى إلا على النذر اليسير، إذا ما قورن بكتابه: الخصائص، حيث يقول: «إذا أنت قرنته بكتابنا هذا علمت بذاك أنا نبنا عنه فيه وكفيناه كلفة التعب به وكافأناه على لطيف ما أولاناه من علومه المقدمة إلينا المفيضة ماء البشر والبشاية علينا، حتى دعا ذلك أقوامًا نزرت من معرفة حقائق هذا العلم حظوظهم، وتأخرت عن إدراكه أقدامهم، إلى الطعن عليه والقدح فى احتجاجاته وعلله . . .»[(٢)].

ولعل نظرة فاحصة فى مصادر هذا السفر الجليل تؤكد لنا أن ابن جنى قد اعتمد على مصدرين رئيسيين أحسن اختيارهما وأجاد فى الإفادة بهما، فهو قد اعتمد على العديد من شيوخ العربية وعلمائها ومفكريها من أساتذته السابقين والمعاصرين له، كما اعتمد ابن جنى على آراء وأفكار ما ينيف على

(١) الخصائص ١/ ٢.
(٢) الخصائص ١/ ٣٠٣.

خمسين عالمًا من علماء اللغة والنحو والقراءات، وتشمل هذه القائمة على عديد من علماء البصرة وعلماء الكوفة، وهو في جمعه بين علماء المدرستين، يجعلنا نطمئن إلى القول بأنه يمثل الاتجاهين معًا، فيما يعرف بالمدرسة البغدادية وهو يعد رائدًا من روادها في جيلها الثاني.

وينبغي أن نؤكد أن اعتماد ابن جني على هذه المصادر، لم يكن مجرد ناقل أو مردد لآراء أصحابها من العلماء فحسب، بل إنه كان ـ دائمًا ـ يدلي بدلوه، فيناقش هذه الآراء ويقبل ما يوافق وجهة نظره، فيقرظ أصحابها ويثني عليهم، ويرفض منها ما يخالف وجهة نظره، ويبتعد عن تفكيره ومنهجه.

ويأتي في مقدمة هؤلاء العلماء، شيخه وأستاذه، أبو علي الفارسي، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار، وقد بلغت مرات ذكره في خصائصه حوالى اثنين وثلاثين ومائة مرة، ولا غرابة أن تصل مرات ذكره إلى هذا العدد الكبير، فلقد كان أبو علي الفارسي، شيخ ابن جني بلا منازع، فقد لازمه زمنًا طويلاً يصل إلى حوالى أربعين سنة، لا ينقطع عنه ولا ينفصل في حله وترحاله، ولا غرابة أن يظهر ابن جني من الحب والتقدير لشخصه والإقبال والانتفاع بعلمه، وهو يصرح بذلك معتزًا مفاخرًا.

وتجمع الروايات على أن لقاءه الأول بأستاذه، كان في جامع الموصل، عندما كان ابن جني يجلس لتدريس العربية وهو ما يزال في سن صغير، وأن أبا علي وجده مقصرًا في مسألة قلب الواو ألفًا، فأرشده إلى الصواب، وقال له تزببت وأنت حِصرِم![1] وقد ألف ابن جن كتبه وأعماله في حياة أستاذه،

(١) بدأت تلك الصحبة سنة ٣٣٧ هـ وابن جني في الخامسة عشرة من عمره، انظر: تاريخ بغداد ٧/ ٢٨٦ وبغية الوعاة ٢١٧.

وكان أبو علي يستحسن تآليفها ويقرظها بالثناء والتقدير، ومن ذلك ما ذكره ابن جني في الخصائص: «وقلت مرة لأبي بكر أحمد بن علي الرازي - رحمه الله - وقد أفضنا في ذكر أبي علي ونبل قدره ونباوة محله: أحسب أن أبا علي قد خطر له وانتزع من علل هذا العلم ثلث ما وقع لجميع أصحابنا: فأصغى أبو بكر إليه ولم يتبشع هذا القول عليه»(١) ويقول أيضًا: «ولله هو وعليه رحمته! فما كان أقوى قياسه، وأشد بهذا العلم اللطيف الشريف أنسه، فكأنه إنما كان مخلوقًا له، وكيف لا يكون كذلك، وقد أقام على هذه الطريقة مع جلة أصحابها وأعيان شيوخها سبعين سنة، زائحة علله ساقطة عنه كُلفه، وجعله همه وسدمه، لايعتاقه عنه ولد ولا يعارضه فيه متجر، ولا يسوم به مطلبًا ولا يخدم به رئيسًا إلا بأخرة، وقد حط عنه أثقاله، وألقى عصا ترحاله»(٢).

لقد كان ابن جني دائم الإفادة والاستزادة من علم أستاذه ومن آرائه، وهو يشبه نفسه في ذلك بسيبويه في نقله من علم الخليل(٣) غير أنه يذكر أن أستاذه كان يسأله في بعض المسائل، وأنه كان يأخذ برأيه فيها، وكان يدونه في بعض كتبه، وفي ذلك يقول ابن جني: «وقلت مرة لأبي علي - رحمه الله - قد حضرني شيء في الإتباع في: نقيذ، وإن عرى أن تكون عينه حلقية، وهو قرب القاف من الخاء والغين، فكما جاء عنهم: النِّخير والرُّغيف كذلك جاء

(١) الخصائص ١/ ٢٠٨.

(٢) الخصائص ١/ ٢٧٦.

(٣) لقد كان أبو علي الفارسي إمامًا من أئمة البصريين، وشيخًا لمدرسة نحوية، لها تلاميذ ومريدون ينقلون عنه ويرجعون إليه، فيؤلف ابن جني كتاب: اللمع يجمعه من كلام شيخه، الحجة ١١.

عنهم: النقيذ، فجاز أن تشبه القاف لقربها من حروف الحلق بها، كما شبه من أخفى النون عند الخاء والغين إياهما بحروف الفم، فالنقيذ فى الإتباع، كالمنخل والمنغل فيمن أخفى النون، فرضية وتقبله، ثم رأيته بعد ذلك فى تذكرته»[١] وكان أبو على كثيراً ما يسترشد برأى تلميذه ابن جنى، وكثيراً ماكانا يتبادلان الرأى فى مسألة من المسائل، حتى يصلا فيها إلى وجه الصواب، وفى ذلك يقول ابن جنى: «ودخلت يومًا على أبى على - رحمه الله - خاليًا آخر النهار، فحين رآنى قال لى: أين كنت؟ أنا أطلبك، قلت: وما ذلك؟ قال: ما تقول فيما جاء عنهم من حَوْريت؟ فخضنا معًا فيه، فلم نحل بطائل منه، فقال: هو من لغة اليمن، ومخالف للغة بنى نزار، فلا ينكر أن يجىء مخالفًا لأمثلتهم»[٢]، كما كان ابن جنى يذكر رأى أستاذه، لكنه لا يرتضيه، ويذكر غيره، ومن ذلك قوله: «سألت يومًا أبا على - رحمه الله - عن تجفاف، أتاؤه للإلحاق بباب قِرطاس؟ فقال: نعم، واحتج فى ذلك بما انضاف إليها من زيادة الألف معها، فعلى هذا يجوز أن يكون ما جاء عنهم من باب أُملود وأُظفور ملحقًا بباب عُسلوج ودُملوج، وأن يكون إطريح وإسليح ملحقًا بباب شنظير وخنزير»[٣] ثم نجده يرفض هذا الرأى ويعارضه بقوله: «ويبعد هذا عندى، لأنه يلزم منه أن يكون باب إعصار وإسنام ملحقًا بباب جِلبار وهِلقام، وباب إفعال لا يكون ملحقًا، ألا ترى أنه فى الأصل للمصدر، نحو إكرام وإحسان وإجمال وإنعام، وهذا مصدر فعل غير ملحق،

(١) الخصائص ١/ ٣٦٥.

(٢) الخصائص ١/ ٣٨٧، ١/ ٢٧٦ - ٢٧٧.

(٣) الخصائص ١/ ٢٣١.

فيجب أن يكون المصدر في ذلك على سمت فعله غير مخالف له، وكأن هذا ونحوه إنما لا يجوز أن يكون ملحقًا من قبل أن مازيد على الزيادة الأولى في أوله إنما هو حرف لين، وحرف اللين لا يكون للإلحاق، إنما جيء به كمعنى، وهو امتداد الصوت به، وهذا حديث غير حديث الإلحاق، ألا ترى أنك إنما تقابل بالملحق الأصل، وباب المد إنما الزيادة أبدًا، فالأمر على ما ترى في البعد غايتان»[1] وقد يصل الأمر في مخالفة ابن جني لأستاذه في المنهج والطريقة، فقد ألف أستاذه كتاب: «الحجة في توجيه القراءات السبع»[2] فإذا بابن جني يؤلف كتابًا في الانتصار للقراءات الشاذة، وهو كتاب: «المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها»[3].

لقد أفاد ابن جنى من آراء البصريين الأوائل، واعتمد في خصائصه على آراء هؤلاء العلماء في اللغة والنحو، فلقد ورد ذكر أبي الأسود بأشعاره: في مسائل ارتضى بعضها ابن جني في سعة القياس، على الرغم من عدم سماعها من العرب، فهو يقول: «واعلم أن الشاعر إذا اضطر جاز له أن ينطق بما يبيحه القياس، وإن لم يرد به سماع، ألا ترى إلى قول أبي الأسود: (الرمل):

ليت شعري عن خليلي ما الذي
غاله في الحب حتى ودعه

(١) الخصائص ١/ ٢٣٢.

(٢) الحجة لأبي علي - تحقيق علي النجدي وآخرين ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٤م.

(٣) المحتسب، تحقيق علي النجدي وآخرين ١٣٨٦هـ.

ويقول ابن جنى: وعلى ذلك قراءة بعضهم: ﴿مَا وَدَعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ (الضحى: ٣) بالتخفيف، أي: ما تركك، دل عليه قوله: ﴿وَمَا قَلَىٰ﴾ لأن الترك، ضرب من القلى، فهذا أحسن من أن يعلّ باب استحوذ واستنوق، لأن استعمال (ودع) مراجعة أصل، وإعلال استحوذ واستنوق ونحوهما من المصحح ترك أصل، وبين مراجعة الأصول إلى تركها مالا خفاء به[١] وهو يعقب هنا على بيت أبى الأسود بقوله: فشاذ، وكذلك قراءة بعضهم: «وما ودَعَكَ ربُّك وما قلى».

والحق، فإن ابن جنى يتفق فى هذا التحليل والتفسير مع نظريات التطور الصوتى الحديثة، وبخاصة نظرية: «الركام اللغوى» فالأمثلة التى ساقها ابن جنى للفعل الأجوف، تعد من قبيل الركام اللغوى، لظاهرة كانت سائدة فى الاستعمال القديم تطورت، ولم يتبق منها سوى نماذج قليلة تنبىء عنها، وأن ذلك قد حدث أيضًا للغة الحبشة من اللغات السامية، فما تزال فيها نماذج لأفعال جوفاء جاءت على الأصل، على صورة كونها صحيحة، ومن ذلك الفعل bayana بمعنى: تحقق، والفعل: dayyana بمعنى: دان»[٢].

كما أفاد ابن جنى ـ أيضًا ـ من الخليل بن أحمد الفراهيدى، وقد ورد ذكره كثيراً فى خصائصه، ففى «باب فى العربى يسمع لغة غيره أيراعيها ويعتمدها، أم يلغيها ويطرح حكمها»[٣] يقول ابن جنى: «أخبرنا أبو على عن

---

(١) الخصائص ١/ ٣٩٦ كذا ١/ ٩٩.

(٢) انظر: بحوث ومقالات فى اللغة ٥٩ وما بعدها:

Dillmann: Grammatik der athiopicshensprache, 163 - 165.

حيث رأيه فى الأفعال المعتلة.

(٣) الخصائص ٢/ ١٤ وما بعدها.

أبى بكر عن أبى العباس عن أبى عثمان عن أبى زيد قال: سألت خليلاً عن الذين قالوا: مررت بأخواك، وضربت أخواك، فقال: هؤلاء على قياس الذين قالوا فى: ييأس، ياءس، أبدلوا الياء لانفتاح ما قبلها...»[١] ويقصر ابن جنى هذا الباب بتمامه على الانتصار لقياس الخليل وتأكيد صحته[٢] وعلى هذا النحو من التحليل، نجده ـ أيضًا ـ يحاول تفسير رأى الخليل وتوضيح وجهاته فى «باب فى المثلين كيف حالهما فى الأصلية والزيادة، وإذا كان أحدهما زائدًا، فأيهما هو»[٣] فبعد عرضه لأحوال الأسماء والأفعال، عندما يجتمع فيهما حرف أصل ومعه حرفان مثلان، أو إذا كان فيهما أصلان ومعهما حرفان مثلان، أو إذا كان فيهما ثلاثة أحرف أصول ومعهما: مثلان غير ملتقيين.. وبعدما ينتهى من عرض الصور المختلفة التى يأتى عليها المثلان وحكمهما، ومتى يكونان أصلين ومتى يكون أحدهما زائدًا... يستعرض بالتفصيل مذهب كل من الخليل ويونس، ثم يقول: «فلذلك اعتمدناه وأنشأنا الاحتجاج للخليل عنه..»[٤] وهو يقول: «فهذان أيضًا ـ ما يشهد بصحة قول الخليل»[٥] ونجده فى باب إمساس الألفاظ أشباه المعانى[٦] يقول: اعلم أن هذا موضع شريف لطيف: وقد نبه إليه الخليل وسيبويه، وتلقته الجماعة بالقبول له والاعتراف بصحته[٧] بيد أننا نجده يقول فى موضع آخر فى «باب فى التعبيرين يعترضان فى المثال الواحد بأيهما يبدأ»[٨] وقول الخليل فى تخفيف هذا المثال: أدى، طريف وصعب

(١) الخصائص ٢/ ١٤.
(٢) انظر: الخصائص ٢/ ١٤ - ١٦.
(٣) الخصائص ٢/ ٥٦ - ٦٩.
(٤) الخصائص ٢/ ٦٧.
(٥) الخصائص ٢/ ٦٨.
(٦) الخصائص ٢/ ١٥٢.
(٧) الخصائص ٢/ ١٥٢.
(٨) الخصائص ٣/ ٨.

ومتعب، وذلك أنه قدر الكلمة تقديرين ضدين، لأنه اعتقد صحة الواو المبدلة من الهمزة... فلذلك قلنا إن في مذهبه هذا ضربًا من التناقض..»[١].

وإذا انتقلنا إلى سيبويه، فإننا نجده وقد أفاد من الكتاب ـ أيضًا ـ وهو يستند إلى آرائه في تدعيم ما يرى فيه الصواب، وتتجلى إفادته واضحة في خصائصه منذ بدايته، ففي باب القول على الفصل بين الكلام والقول[٢] يذكر قول سيبويه: «واعلم أن قلت في كلام العرب، إنما وقعت على أن يحكى بها، وإنما يحكى بعد القول ما كان كلامًا لا قولا، ففرق بين الكلام والقول كما ترى...»[٣] ثم يختتم الباب بقوله: «وقد علمت بذلك تعسف المتكلمين في هذا الموضع، وضيق القول فيه عليهم، حتى لم يكادوا يفصلون بينهما، والعجب ذهابهم عن نص سيبويه فيه، وفصله بين الكلام والقول، ولكل قوم سنة وإمامها»[٤].

وعلى هذا النحو من الإفادة والإعجاب بآراء سيبويه نجد ابن جنى يذكر آراءه ويعتمد عليها ويعتد بصحتها وصوابها، حيث نجده يقول: «والذى رواه صاحب الكتاب اختلاس هذه الحركة، لا حذفها البتة، وهو أضبط لهذا الأمر من غيره من القراء الذين رووه ساكنًا»[٥] وذلك كقراءة أبى عمرو فى قوله تعالى: ﴿فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾ (البقرة:٥٤) مختلسًا غير ممكن كسرة الهمزة[٦]

(١) الخصائص ٣/ ١٠ - ١١.
(٢) الخصائص ١/ ٥ - ٣٢.
(٣) الخصائص ١/ ١٨ - ١٩.
(٤) الخصائص ١/ ٣٢.
(٥) الخصائص ١/ ٧٢.
(٦) الخصائص ١/ ٧٢ وانظر: الكتاب ٢/ ٢٩٧ لسيبويه ـ بولاق ١٣١٦ - ١٣١٧هـ.

غير أننا نجده يرجح رأى يونس بن حبيب على رأى سيبويه، فيقول: «فأما رأى يونس: بنتي وأختي. فمردود عند سيبويه، وليس هذا موضوعًا للحكم بينهما، وإن كان لقول يونس أصول تجتذبه وتسوغه»[(١)] بل إنه يرفض رأيه ـ أيضًا ـ ولا يقبله، فهو يقول فى «باب فى نقض المراتب إذا عرض هناك عارض»[(٢)] فى كثرة تقديم المفعول به على الفاعل، وأنه لما استمر وكثر يصير كأنه هو الأصل، وتأخير الفاعل كأنه هو الأصل ـ أيضًا ـ يقول: «فإن قلت إن هذا ليس مرفوعًا إلى العرب، ولا محكيًا عنها أنها رأته مذهبًا، وإنما هو شيء رآه سيبويه واعتقده قولاً، ولسنا نقلد سيبويه ولا غيره في هذه العلة ولا غيرها، فإن الجواب عن هذا حاضر عتيد والخطب فيه أيسر»[(٣)].

غير أنه يعود ثانية في باب غلبة الفروع على الأصول[(٤)] فيقول: «فإن قيل، وما الذى سوغ سيبويه هذا، وليس مما يرويه عن العرب رواية، وإنما هو شيء رآه واعتقده لنفسه وعلل به؟ قيل يدل على صحة ما رآه من هذا من ذهب إليه ما عرفه وعرفناه معه. . .»[(٥)] بل إننا نجده وقد أفرد للثناء عليه قرابة الصفحة الكاملة، ومن ذلك قوله: «جاز لصاحب هذا العلم (أى النحو) الذى جمع شعاعه وشرح أوضاعه ورسم أشكاله ورسم أغفاله وخلج أشطانه وبعج أحضانه وزمّ شوارده وأفاد موارده. . .»[(٦)].

وأما الكسائى، الذى يعد واحدًا من أبرز علماء الكوفة ومؤسسيها، فإنه

(١) الخصائص ١/ ٢٠١.
(٢) الخصائص ١/ ٢٩٣ وما بعدها.
(٣) الخصائص ١/ ٩٨.
(٤) الخصائص ١/ ٣٠٠ وما بعدها.
(٥) الخصائص ١/ ٣٠٤.
(٦) الخصائص ١/ ٣٠٨ - ٣٠٩.

لم ينل نفس المكانة التي نالها معاصره سيبويه عند ابن جني وليس أدل على ذلك من اقتصاره الأخذ عنه في ذكر بعض الروايات عن العرب في قولهم كذا وكذا!! ومن ذلك مثلاً ما ذكره ابن جني بقوله: «وحكى الكسائي أنه سأل بعض الأعراب عن أحد مطايب الجزور، فقال: مطيب، وضحك الأعرابي من نفسه، كيف تكلف لهم ذلك من كلامه...»(١) وكقول الكسائي - أيضًا - وسمعت من أخوين من بني سليم يقولان: نما ينمو، ثم سألت بني سليم عنه فلم يعرفوه»(٢) بيد أننا نجده يثني عليه فيقول: «وقد فعلت العرب ذلك، منه قولهم: أوار النار، وهو وهجها ولفحها، ذهب فيه الكسائي مذهبًا حسنًا، وكان هذا الرجل كثيراً في السداد والثقة عند أصحابنا، قال: هو (فُعال) من وأرت الإرة، أي: احتفرتها لإضرام النار فيها»(٣) بيد أننا نجده يحكم بشذوذ قراءته في قوله تعالى: ﴿بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ (البقرة: ٤) فيقرأه الكسائي: «بما انزليك» فيقول: «وقياسه في تخفيف الهمزة أن تجعل الهمزة بين بين»(٤) ولم ينسب أبو حيان هذه القراءة إلى أحد، وحكم عليها بالشذوذ(٥).

وإذا انتقلنا إلى المبرد، وهو إمام مدرسة البصرة في عصره، فإننا نجد ابن جني، وقد أفاد من آرائه وأقواله، ومن ذلك قوله: «ويدلك على أن الفصيح من العرب قد يتكلم باللغة وغيرها أقوى في القياس عنده منها ما

(١) الخصائص ١/ ٤٦٩.

(٢) الخصائص ١/ ٣٨١.

(٣) الخصائص ٢/ ٨٩، ٣/ ٨٦ وانظر ٣/ ٣١١ حيث تثاؤه عليه كذلك.

(٤) الخصائص ١٣/ ١٤١، ٣/ ١٥٠.

(٥) البحر المحيط ١/ ١٤ لأبي حيان التوحيدي - القاهرة ١٣٢٨ هـ.

حدثنا به أبو علي ـ رحمه الله ـ قال عن أبي بكر عن أبي العباس أن عمارة كان يقرأ: «ولا الليلُ سابقُ النهارَ» بالنصب، قال أبو العباس: فقلت: ما أردت؟ فقال: أردت: (سابق النهار) قال فقلت له فهلا قلته؟ فقلت: لو قلته لكان أوزن»[١].

وهو يعارض المبرد في رفضه للقراءة في قوله تعالى ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامِ﴾ (النساء: ١) وهي قراءة حمزة، يقول ابن جني: «ليست هذه القراءة عندنا من الإبعاد والفحش والشناعة والضعف على ما رآه وذهب إليه أبو العباس، بل الأمر فيها دون ذلك وأقرب وأخف وألطف، وذلك أن لحمزة أن يقول لأبي العباس: إنني لم أحمل (الأرحام) على العطف على المجرور المضمر، بل اعتقدت أن تكون فيه باء ثانية، حتى كأني قلت: (وبالأرحام) ثم حذف الباء، لتقدم ذكرها»[٢]، والحق أن ابن جني قد أحسن وأجاد في تخريجه الإعرابي هذا، فقاعدة الحذف في اللغة العربية الفصحى، واحدة من قواعد التحويل الأساسية، وهي قد وردت كثيراً في القرآن الكريم سواء أكان الحذف إجباريًا أم اختياريًا، كما هو الحال في الآية السابقة، حيث اقتضت ضرورة الإعجاز والبيان فيها استعمال هذا الحذف الاختياري، وعلى قواعد اللغة أن تفسح المجال لمثل هذه الاستعمالات القرآنية المعجزة[٣].

(١) الخصائص ١/ ٢٥.

(٢) الخصائص ١/ ٢٨٥.

(٣) قاعدة الحذف بنوعيها، إحدى القواعد التحويلية، التي ذكرها: باتش: Bach والتي تستخدم في تحويل الأبنية العميقة، التي تمثل الجمل الأصولية، إلى أبنيتها السطحية، انظر: .Bach In Introdction to Transformatimal syntax, p 20 وكذا: قواعد تحويلية للغة =

أما الفراء، فإنه يقدم آراءه وأقواله، ويفيد مما جاء فيها، يقول ابن جنى: «ومن ذلك قول الفراء في نحو: لُغَـةٍ، وثبةٍ، ورئةٍ، ومـئةٍ، إن مـا كان من ذلك المحذوف منه الواو، فـإنه يأتي مضموم الأول، نحو: لُـفةٍ، وبرةٍ، وثُبةٍ، وكُرةٍ، وقُلةٍ، ومـا كان من الياء، فإنه يأتي مكسور الأول، نحـو مئةٍ، ورِئةٍ وهذا يفسده سنة، فيمن قال: سنوات، وهي من الواو كما ترى...»[1] ويذكر ابن جنى أن ما ذهب إليه الفراء في: الجـاه، إلى أنه مقلوب عن الوجه «وروينا عن الفراء، أنه قال: سـمعت أعرابية من غطفان، وزجرها ابنها، فقلت لها: ردى عليه، فقالت: أخاف أن يجوهني بأكثر من هذا، قال: وهو من الوجه، أرادت: يواجهنى، وكان أبو على ـ رحمه الله ـ يرى أن: الجـاه، مقلوب عن الوجه أيضاً[2] وقد نجده ينتصر لرأى الفراء على رأى أستاذه أبي على فيقول: «وقال الفراء، أصلها: هل، زجر وحث، ودخلت على أمَّ، كأنها كانت: هل أمَّ، أي: أعجل واقصد، وأنكر أبو على عليه ذلك وقال: لا مـدخل هنا للاستفهام، وإنما هي عنده زجر وحث»[3] كما اعتمـد ابن جنى على روايات الفراء في باب مطل الحركات[4] فيقول: «وحكى الفراء عنهم: أكلت لحم شـاة، فمطل الفتحة، فأنشـأ عنها ألفًا»[5] كما يذكر ابن جنى أنه وجد بخط أبي أقوالاً للفراء ذكرها وسلم بوجاهتها[6]

= العربية ٣٨ - ٤٩ د. محمد على الخولي ـ الرياض ١٩٨١م، والنحو العربي والدرس الحديث ١٤٠ ـ ١٤١ د. عبده الراجحي ـ الإسكندرية ١٩٧٧م، وعلم اللغة التقابلي ٦٩ - ٧٠ د أحمد سليمان ياقوت ـ الإسكندرية ١٩٨٥م.

(١) الخصائص ١/ ١٧٢.
(٢) الخصائص ٢/ ٧٦.
(٣) الخصائص ٣/ ٣٥ - ٣٦.
(٤) الخصائص ٣/ ١٢١.
(٥) الخصائص ٣/ ١٢٣.
(٦) الخصائص ٣/ ١٩٤ - ٢١٢.

وهو ينتصر فى موضع آخر لأبى عمـرو الجرمى على الفراء فى سؤاله الفراء عن أصل فى: قُم، فيـقول: ويدل على صحة أبى عـمرو إسكانهم إياه وهى مفتوحة. . .»[١].

وأما ثعلب، فإنه قد نال حظًا وافرًا من اعـتماد ابن جنى عليه، فى عديد من مـواضع خـصـائصـه: ومن ذلك مـا ورد فى «باب القـول على الاطراد والشذوذ»[٢] ويقول فيه ابن جنى: «والثالث المطرد فى الاستعمال، الشاذ فى القياس، نحـو قولهم، أخوص الرمث، واستصويت الأمـر، أخبرنا أبو بكر محمـد بن الحسن عن أحمد بن يـحيى قال: يقال: استـصوبت الشىء ولا يقال: اسـتصبت الشىء، ومنه: استـحوذ وأغيلت المرأة واسـتنوق الجمل، واستيست الشاة، وقال زهير: (الطويل):

* هنالك إن يستخـولوا المال يُخْولوا *

ومنه: استفيل الجمل، قال أبو النجم: (الرجز)[٣]:

* يدير عـينى مُـصـعب مـسـتـفـيل *

ونجده يتحفظ على تفسيره قول الشاعر: (الطويل)[٤]:

وما كنـت أخشى الدهر إحلاس مـسلم

من الناس ذنـبًـا جـاءه وهو مـسلـمـا

حيث يقول: «وأخـبرنا محمد بن الحـسن عن أحمد بن يحيى ـ أحـسبه عن ابن الأعرابى ـ بقول الشاعر (البيت السـابق) ثم يقول: وقال فى تفسيره

(١) الخصائص ١/ ٩٦ وما بعدها.

(٢) الخصائص ١/ ٩٦ وما بعدها.

(٣) الخصائص ١/ ٩٨.

(٤) انظر: مجالس ثعلب ٩٦ والأمالى ١/ ٢٠٦ واللسان (حلس) ٦/ ٥٦.

معناه: ما كنت أخشى الدهر إحلاس مسلم مسلمًا ذنبًا جاءه وهو، ثم يعلق على ذلك قائلاً: «ولو وكد الضمير في جاءه هو وهو لكان أحسن، وغير التوكيد أيضًا جائز»[١] وهو يعترض على رأى ثعلب وينتصر لرأيه ورأى أستاذه أبي علي في تفسيره قول الشاعر: (مجزوء الكامل)[٢]:

إن تهبطين بلاد قو
م يرتعون من الطلاح

حيث يقول: «فيجوز أن تكون (أن) هي الناصبة للاسم مخففة غير أنه أولاها الفعل بلا فصل، كما قال الآخر (البسيط):

أن تحملا حاجة لي خف محملها
تستوجبا نعمة عندي بها ويدا
أن تقرآن على أسماء ويحكما
مني السلام وألا تعلما أحدا

سألت عنه أبا علي ـ رحمه الله ـ فقال: هي مخففة من الثقيلة، كأنه قال: أنكما تقرآن، إلا أنه خفف من غير تعويض[٣] ثم يقول: «وحدثنا أبو بكر محمد بن الحسن عن أحمد بن يحيى قال: شبه (إن) بـ (ما) فلم يعملها كما لم يعمل ما «وفي موضع آخر نجد ابن جني، وهو يشتد في نقده لثعلب إلى حد أنه ينعته بالمتعجرف حيث يقول: «وذهب أحمد بن يحيى في قوله: (الرجز)[٤]:

* يرد ملحًا وهديرًا زغدبا *

(١) الخصائص ١/ ٣٣٢.

(٢) انظر: الفهرست ١٠٣، والشاعر هو القاسم بن معين.

(٣) الخصائص ١/ ٣٩٠.

(٤) ديوان العجاج ٧٤.

إلى أن الباء زائدة، وأخذه من زغد البعير يزغد زغداً في هديره، وقوله: إن الباء زائدة كلام تمجه الآذان وتضيق عن احتماله المعاذير وأقوى ما يذهب إليه فيه أن يكون أراد أنهما أصلان مقتربان كسبط سِبَطْر، وإن أراد ذلك ـ أيضًا ـ فإنه قد تعجرف»[١] وهو يعد ذلك من قبيل سقطات العلماء بيد أننا نجده وقد امتدحه وأجزل الثناء له، حيث يقول: «ولله أبو العباس أحمد بن يحيى، وتقدمه في نفوس أصحاب الحديث ثقة، وأمانة وعصمة وحصانة، وهم عيار هذا الشأن، وأساس هذا البنيان»[٢].

كما أفاد ابن جني من آراء الأصمعي، وأكثر من الاعتماد عليها وعلى رواياته، وقد حفلت الخصائص بهذه الآراء وتلك الروايات، ومن ذلك ما ذكره ابن جني من حديث الخيل بن أسد النوشجاني قوله: أنه قرأ على الأصمعي من أرجوزة العجاج قوله:

* يا صاح هل تعرف رسمًا مكرسًا *

ويقول النوشجاني: فلما بلغت:

* تقاعس العز بنا فاقعنسسا *

قال لي الأصمعي: قال الخليل: أنشدنا رجل:

* ترافع العز بنا فارفنععا *

فقلت: هذا لا يكون، فقال: كيف جاز للعجاج أن يقول:

* تقاعس العز بنا فاقعنسسا *

ويعلق ابن جني بعدة احتمالات، تؤكد عدم إدراك الأصمعي للقياس، ولا لحكاية التعليل إلى الحد الذي جعل الخليل يقول للأصمعي، عندما

---

(١) الخصائص ١/ ٤٩، ٣/ ٢١٥، ٣/ ٢٨٤.   (٢) الخصائص ٣/ ٣١٣.

أراد الأخير أن يعلمه الخليل علم العروض، وأن ذلك تعذر على الأصمعي، وبعد عنه، فيأس الخليل منه، فقال له يومًا: يا أبا سعيد، كيف تقطع قول الشاعر[١]:

إذا لم تستطع شيئًا فدعه

وجاوزه إلى ما تستطيع

ففطن الأصمعي إلى ما يريد الخليل أن يبلغه إياه من بعد علم العروض على فهمه وإدراكه، ونجده وقد استشهد في «باب في التطوع بما لا يلزم»[٢] بما أنشده الأصمعي لبعض الرجاز من قصيدة تتألف من ٩ تسعة أشطر، التزم فيها جميعها بالظاء في كل من العروض والضرب إلى جانب ظاء ثانية قبل ظاء الروى[٣]، وقصيدة أخرى رائية طويلة، التزم فيها قائلها تصغير قوافيها، وهي تتألف من سبعة وعشرين بيتًا من بحر مشطور السريع[٤]، وقصيدة أخرى ثالثة، تتألف من خمسة وخمسين بيتًا، التزم فيها صاحبها اللام المشددة من أولها إلى آخرها[٥]، وقصيدة رابعة تتألف من ستة وعشرين بيتًا، لغيلان الربعي، أطردت جميع قوافيها على جر موضعها[٦] فهذه قصائد أربع، تبلغ مجموع أبياتها مائة وسبعة وعشرين بيتًا وشطرًا، التزم فيها أصحابها بأمور صعبة وعسيرة، تدل على مقدرتهم وسلامة

(١) انظر: الخزانة ٣/ ٤٦ والأصمعيات ٤٣ - ٤٥ والأغاني ١٤/ ٣٣ (طبعة بولاق) وأدب الكاتب ٢٣ ومعاهد التنصيص ٢/ ٢٣٦، والبيت لعمرو بن معديكرب، وانظر: الخصائص ١/ ٣٦١ - ٣٦٢.

(٢) الخصائص ٢/ ٢٣٤ وما بعدها.

(٣) الخصائص ٢/ ٢٣٥.

(٤) الخصائص ٢/ ٢٣٥ - ٢٣٨.

(٥) الخصائص ٢/ ٢٣٩ - ٢٤٦.

(٦) الخصائص ٢/ ٢٥٠ - ٢٥٣.

قرائحهم، وأنشدها جميعًا الأصمعي ورواها، وغير العديد من الأمثلة التي ذكرها الأصمعي بروايته عن الأعراب، أو تفسيره لها، ونجده يثني على الأصمعي في تحليله قول المثقب العبدي:

أفاطم قبل بينك نوليني

ومنعك ما سألت كأن تبيني

يقول ابن جني: «فهذه رواية الأصمعي: أي: منعك كبينك، وإن كنت مقيمة.. أي: منعك إياي ماسألتك هو بينك... ورواية الأصمعي أعلى وأذهب في معاني الشعر»[١].

أما أبو بكر السراج فإن ابن جني قد أفاد - أيضًا - من آرائه وأفكاره وإن وجدناه يبدأ خصائصه بقوله: «وذلك أنا لم نر أحدًا من علماء البلدين تعرض لعمل أصول، على مذهب أصول الكلام والفقه، فأما كتاب أصول أبي بكر فلم يلمم فيه بما نحن عليه، إلا حرفًا أو حرفين في أوله، وقد تعلق عليه به»[٢] ونجده يقول في: «باب في العلة وعلة العلة»[٣] يقول: «ذكر أبو بكر في أول أصوله هذا، ومثل منه برفع الفاعل قال: فإذا سئلنا عن علة رفعة قلنا: ارتفع بفعله، فإذا قيل: ولم صار الفاعل مرفوعًا؟ فهذا سؤال عن علة العلة... ويقول ابن جني: «فإنه شرح وتفسير وتتميم للعلة»[٤] ثم ينتهي في هذا الباب بقوله: «فقد ثبت بذلك أن هذا موضع تسمح فيه أبو بكر أو لم ينعم تأمله»[٥] وهو يتحفظ على متابعة أبي بكر السراج، في أن الحاء الثانية في حشحشت بدل من شاء، وأن أصله: حششت، وكذلك قال في نحو: ثرة

(١) الخصائص ٣/ ١٦٧، ٣/ ٢٨٣.

(٢) الخصائص ١/ ٢.

(٣) الخصائص ١/ ١٧٣.

(٤) الخصائص ١/ ١٧٣.

(٥) الخصائص ١/ ١٧٤.

وثرثارة: إن الأصل فيها ثرارة، فأبدل من الراء الثانية ثاء، فقالوا: ثرثارة، وكذلك طرد هذا الطرد، وهذا وإن كان عندنا غلطًا، لإبدال الحرف مما ليس من مخرجه، ولا مقاربًا في المخرج له فإنه شق آخر من القول، ولم يدع أبو بكر فيه تكرير الفاء، وإنما هي عين أبدلت إلى لفظ الفاء، فأما أن يدعى أنها فاء مكررة فلا...»[١] ويرفض ابن جنى كذلك رأى ابن السراج في تفسير كلمة: سُرْسور مالٍ، أى: عارف بأسرار المال، فلا يخفى عنه شيء من أمره، ويقول ابن جنى: «ولست أقول كما يقول الكوفيون وأبو بكر معهم: إن سُرْسورا من لفظ السر، ولكنه قريب من لفظه ومعناه»[٢] ولكننا لانعدم استحسان ابن جنى لرأى ابن السراج في خصائصه، حيث يقول: «وكذلك قولهم: إن قمت قمت، فيجيء بلفظ الماضي والمعنى معنى المضارع... وذلك أنه أراد الاحتياط للمعنى، فجاء بمعنى المضارع المشكوك في وقوعه بلفظ الماضي المقطوع بكونه، حتى كأن هذا قد وقع واستقر: لا أنه متوقع مترقب، وهذا تفسير أبي على عن أبي بكر وما أحسنه»[٣].

ونجده لا يقبل رأيه في أن التاء في كلمة: تُماضر وتُرامز، فيقول: «ولا وجه لذلك عندي، لأنها في موضع عين عذافر: فهذا يقضي بكونها أصلاً»[٤] وكذلك يعلق على رأى ابن السراج بأن كلمة: ينابعات من أحد الفوائت قائلاً: «فما أطرف أبا بكر أن أورده على أنه أحد الفوائت ألا يعلم أن سيبويه قد قال: «ويكون على يَفاعل نحو اليحامِد واليرامع..»[٥].

كذلك نجده ـ أيضًا ـ وقد أفاد من أبي حاتم السجستاني، ومن ذلك

(١) الخصائص ٢/ ٥٤ - ٥٥.
(٢) الخصائص ٢/ ١٣٠.
(٣) الخصائص ٣/ ١٠٥.
(٤) الخصائص ٣/ ١٩٧.
(٥) الخصائص ٣/ ١٩٨.

قوله: «أخبرنا أبو إسحاق بن أحمد القرميسيني عن أبي بكر محمد بن هارون الروياني، عن أبي حاتم سهل بن محمد السجستاني في كتابه الكبير في القراءات قال: قرأ على أعرابي بالحرم: «طيبى لهم وحسن مآب» فقلت: طوبى، فقال: طيبى، فأعدت فقلت: طوبى، فقال: طيبى، فلما طال عليّ قلت: طوطو، قال: طي طي. أفلا ترى إلى هذا الأعرابي: وأنت تعتقده جافيًا كزّا، لا دمثًا ولا طيّعًا، كيف نبا طبعه على ثقل الواو إلى الياء، فلم يؤثر فيه التلقين، ولا ثنى طبعه عن التماس الخفة هز ولا تمرين، وما ظنك به إذا خلى مع سومه وتساند إلى سليقته ونجره»[١] وهو يعلق على نفس الرواية في موضع آخر قائلاً: «أفلا ترى إلى استعصام هذا الأعرابي بلغته وتركه متابعة أبي حاتم»[٢].

أما أبو الحسن الأخفش، فإننا نجد ابن جني يذكر في مستهل خصائصه، أنه صنّف في شيء من المقاييس كتيبًا إذا أنت قرنته بكتابنا هذا، علمت بذاك أننا نبنا عنه فيه، وكفيناه كلفة التعب به، وكافأناه على لطيف ما أولاناه من علومه المسوقة إلينا المفيضة ماء البشر والبشاشة علينا، حتى دعا ذلك أقوامًا نزرت من معرفة حقائق هذا العلم حظوظهم، وتأخرت عن إدراكه أقدامهم، إلى الطعن عليه والقدح في احتجاجاته وعلله»[٣] بيد أننا نجده يذكر بعد عرضه لقول ضغيفم الأسدي[٤] (الوافر).

---

(١) أسلفنا من قبل أن ابن جني لا يرى فرقًا بين الواو والياء، بل هو يسوي بينهما، ويقول بأن بينهما صلة ونسبًا. انظر: سر صناعة الإعراب ١/ ٢٣ الخصائص ١/ ٧٥ – ٤٦.

(٢) الخصائص ١/ ٣٨٤.

(٣) الخصائص ١/ ٢.

(٤) الخصائص ١/ ١٠٤.

إذا هو لم يخفني في ابن عمي
وإن لم ألقه ـ الرجل الظلوم

نجده بعد استعراضه المستفيض يقول: «وفي هذا البيت تقوية لمذهب أبي الحسن في إجازته الرفع بعد إذا الزمانية بالابتداء في نحو قوله تعالى ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ (الانشقاق: ١) و ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ (التكوير: ١) ثم يقول: «ومعناها يشهد لقوله هذا، شيء غير هذا، غير أنه ليس ذلك غرضنا هنا، إنما الغرض إعلامنا أن في البيت دلالة على صحة مذهب أبي الحسن هذا في إجراء واو شنوءة مجرى ياء حنيفة، فكما قالوا: حنفي قياسًا، قالوا: شنئي أيضًا قياسًا، ويعلق قائلا: «وما ألطف هذا القول من أبي الحسن أو تفسيره أن الذي جاء في فَعُوله هو هذا الحرف، والقياس قابلة، ولم يأت فيه شيء ينقصه، فإذا قاس الإنسان على جميع ما جاء، وكان ـ أيضًا ـ صحيحًا في القياس مقبولاً، فلا عزو ولا ملام»[1] وهو يصف رأى الأخفش في أن الكاف في إياك حرف خطاب.. والهاء في إياه حرف للغيبة، مخلوعة عنهما دلالة الاسمية في: رأيته وغلامي وصاحبي، بأنه مذهب هَوِّل، وإن كان كذلك... جارٍ على القوة ومقتاس بالصحة»[2] وقد عرض ابن جني للعديد من آراء الأخفش وتحليلاته، ورأى صوابها ووجاهة تفسيرها أحيانًا، وتحفظ عليها أحيانًا أخرى.

أما المازني، صاحب كتاب: التصريف، الذي حظي بشرح ابن جني له، تحت عنوان: المنصف فإن ابن جني قد أفاد منه ومن مؤلفاته بعامة، ومن آرائه وتفسيراته كذلك، فقد أورد رأيه في قول العرب: أقائم أخوك أم

(١) الخصائص ١/ ١١٦، ١/ ١٣٦. (٢) الخصائص ٢/ ١٨٩.

قاعد؟ هذا كلامها، قال أبو عثمان: والقياس يوجب أن تقول: أقائم أخواك أم قاعدهما؟ إلا أن العرب لا تقول إلا قاعدان، فتصل الضمير، والقياس يوجب فصله ليعادل الجملة الأولى»(١).

وهو يأخذ برأيه في «باب في إسقاط الدليل» وذلك كقول أبي عثمان: لا تكون الصفة غير مفيدة، فلذلك قلت: مررت برجل أفعل، فصرف أفعل هذه لما لم تكن الصفة مفيدة، وإسقاط هذا أن يقال: قد جاءت الصفة غير مفيدة، وذلك كقولك في جواب من قال رأيت زيداً: ألمني يافتي، فألمني صفة وغير مفيدة»(٢) ويرد عليه ابن جني بقوله: «فكما اعتبر أبو عثمان أن كل صفة ينبغي أن تكون مفيدة، فأوجد أن من الصفات مالا يفيد، وكان ذلك كسراً لقوله»(٣) ونجده وهو يعلل لما يراه المازني من تفسير أن: مثل ما في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ (الذاريات: ٢٣) على أنهما اسم واحد، بني الأول على الفتح وهما جميعًا في موضع رفع صفة لكلمة: حق، حيث يقول: «فإن قلت: فما موضع أنكم تنطقون؟ وذلك في باب: خلع الأدلة(٤) قيل: هو جر بإضافة (مثل ما) يقول: «فإن قلت: ألا تعلم أن (ما) على بنائها، لأنها على حرفين، الثاني منهما حرف لين، فكيف تجوز إضافة المبني؟ قيل ليس المضاف (ما) وحدها، إنما المضاف الاسم المضموم إليه (ما) فلم تعد (ما) هذه أن تكون كتاء التأنيث في نحو: هذه جارية زيد، أو كالألف والنون في سرحان عمرو، أو كياءي الإضافة في بصري القوم أو كألفي التأنيث في صحراء زم أو كالألف والتاء في(٥):

* في غائلات الحائر المتوه *

(١) الخصائص ١/ ١٠٠. (٢) الخصائص ١/ ١٩٩. (٣) الخصائص ١/ ١٩٩.
(٤) الخصائص ٢/ ١٨٩ وما بعدها. (٥) ديوان رؤبة ١٦٦.

ثم يقول: هذا وجه، ويقول أيضًا: «وإن شئت قلت: و (ما) فى إضافة المبنى! ألا ترى إلى إضافة (كم) فى الخبر، نحو: كم عبيد ملكت، وهى مبنية... ويقول - أيضًا - معللاً رأى المازنى: «وأيضًا فلو ذهب ذاهب واعتقد معتقد أن الإضافة كان يجب أن تكون داعية إلى البناء من حيث كان المضاف من المضاف إليه، بمنزلة صدر الكلمة من عجزها، وبعض الكلمة صوت والأصوات إلى الضعف والبناء لكان قولاً»[١].

ونجده فى «باب فى تركيب المذاهب»[٢] يقدم لمذهب أبى عثمان المازنى فى انتخابه مذهبًا صرفيًا مركبًا من عدة مذاهب لعلماء آخرين، حيث نجده يعتقد مذهب يونس فى رد المحذوف فى التحقير، مثال ذلك: هوئير، تحقير لكلمة: هار، ويو يضع (اسم رجل) تحقير لكلمة: يضع، وبويلية، تحقير لكلمة: بالة، فى حين لا يرد المحذوف عند سيبويه، فيقال فيما سبق جميعًا: هوير، يضيع، بويلة[٣] كما كان المازنى يرى رأى سيبويه فى صرف نحو، جوارٍ علمًا، وإجراءه بعد العلمية على ما كان عليه قبلها، فيقول فى رجل أو امرأة اسمها: جوارٍ أو غواشٍ بالصرف بعد الرفع والجر على حاله قبل نقله، ويونس لا يصرف ذلك، ونحو علما، ويجريه مجرى الصحيح فى ترك الصرف»[٤].

لم يقتصر ابن جنى فى مصادره فى هذا السفر الجليل، الخصائص، على العلماء العرب فحسب، بل إننا نجده يعتمد على بعض الأعراب الذين لم تفسد لغاتهم، بعد أن يختبرهم ويتأكد من فصاحتهم وصدق نحيزتهم،

(١) الخصائص ٢/ ١٨٢ - ١٨٣.
(٢) الخصائص ٣/ ٧١.
(٣) انظر: الخصائص ٣/ ٧١ - ٧٢.
(٤) الخصائص ٣/ ٧٢.

بل إنه يعقد لذلك بابًا في الخصائص بعنوان: «باب في ترك الأخذ عن أهل المدر، كما أخذ عن أهل الوبر»[١].

ومن هؤلاء الأعراب الذين أخذ عنهم وكان يثق بلغتهم:

١- أبو عبد الله محمد بن العساف العقيلي التميمي، يقول ابن جني: وسألت يومًا أبا عبد الله محمد بن العساف العقيلي الجوثي التميمي - تميم جوثة - فقلت له: كيف تقول: ضربت أخوك؟ فقال أقول: ضربت أخاك فأدرته على الرفع، فأبى، وقال: لا أقول: أخوك أبدًا، قلت: فكيف تقول: ضربني أخوك، فرفع، فقلت ألست زعمت أنك لا تقول: أخوك أبدًا؟ فقال: إيش هذا! اختلفت جهتا الكلام، فهل هذا إلا أدل شيء على تأملهم مواقع الكلام وإعطائهم إياه في كل موضع حقه، وحقه من الإعراب عن ميزة وعلى بصيرة، وأنه ليس استرسالاً ولا ترجيمًا، ولو كان توهمه هذا السائل، لكثر اختلافه، وانتشرت جهاته، ولم تنقد مقاييسه[٢].

٢- أبو صالح السليل أحمد بن عيسى بن الشيخ، يقول ابن جني: «وأخبرنا أبو صالح السليل عن أحمد بن عيسى بن الشيخ قال: حدثنا أبو عبد الله محمد بن العباس اليزيدي، قال: حدثنا الخليل بن أسد النوشجاني، قال: حدثني محمد بن يزيد بن زيان قال: أخبرني رجل عن حماد الراوية، قال أمر النعمان، فنسجت له أشعار العرب في الطنوج، قال: وهي الكراريس، ثم دفنها في قصره الأبيض، فلما كان المختار بن أبي عبيد

(١) الخصائص ٢/ ٥.

(٢) الخصائص ١/ ٧٦ - ٧٧، وكذا: معجم الأدباء ٢/ ١٠٥ وفصول في فقه العربية ٣٩١.

قيل له: إن تحت القصر كنزًا، فاحتفره فأخرج تلك الأشعار، فمن ثم أهل الكوفة أعلم بالشعر من أهل البصرة[١].

ونستطيع أن نقرر أن هذا العالم الفذ، الذى لم يكن يقنع بترديد ما سبق من علم وأدب، دون إعمال فكر ونظر، نقرر بأنه استطاع بما حباه الله من ذكاء متوهج ونباهة وعمق بصيرة، أن يصنع فى العربية أبوابًا لم يسبقه فيها أحد، فقد وضع أصولاً ـ غير مسبوقة ـ فى الاشتقاق ومناسبة الألفاظ للمعانى، وكان فى ذلك إمامًا، ينبغى أن يتبعه تلاميذه، ليستفيدوا من فكره وعلمه، والحق فإن علماء عديدين قد استفادوا من علمه ونقلوا عنه، بيد أننا نجد اللغوى الكبير ابن سيده، قد نقل من تراث ابن جنى وفوائده، وبحوثه، فى كتابه: المخصص، ففى هذا الكتاب، فصل كامل[٢] هو من صنع ابن جنى، لم يعزه ابن سيده إليه، ولقد أوقع هذا الإغفال فى نسبة المنقول لابن جنى أوقع ذلك العالم اللغوى ابن منظور فى خطأ كبير، حيث نجده يعزو أخذه للفصل السابق إلى ابن سيده، وهو فى الحق لابن جنى، ولعل مقارنة بين نص ابن جنى فى الخصائص، ونص ابن سيده فى المخصص تؤكد ذلك، يقول ابن جنى: «واعلم فيما بعد ـ أننى على تقادم الوقت دائم التنقير والبحث عن هذا الموضوع، فأجد الدواعى والخوالج قوية التجاذب لى، مختلفة التغول على فكرى...»[٣] ويقول ابن سيدة: «وقد أدمت التنقير

(١) الخصائص ١/ ٣٧٨.

(٢) المخصص ١/ ٣ وما بعدها.

(٣) الخصائص ١/ ٤٧.

والبحث مع ذلك فى هذا الموضع، فوجدت الدواعى والخوالج قوية التجاذب لى، مختلفة جهات التغول على فكرى...»[١].

وبعد.. فإن هذا البحث قد أراد له صاحبه أن يؤكد أن علماءنا العرب، فى مجال اللغة والنحو وغيرها، ينبغى علينا أن نعيد قراءة أعمالهم ومؤلفاتهم العديدة فى ضوء المناهج اللغوية الحديثة، لنكشف عن معادنها النفسية وجواهرها الثمينة، ونعرف إلى أى حد كان هؤلاء العلماء على درجة من البراعة والذكاء والتوقد، وأنهم تناولوا قضايا عديدة، هى الآن أحدث ما توصلت إليه نظريات البحث اللغوى، وأنه ينبغى أن نضع هؤلاء العلماء فى المكانة العالية والمنزلة الرفيعة التى يستحقونها بكل اقتدار.

---

(١) المخصص ١/ ٦ والحق فإن ابن سيدة من العلماء الذين يلتزمون نسبة النصوص إلى أصحابها، وكتابه المخصص يشهد بذلك! ولعل هذا الإغفال من صنع النساخ بدليل تنويههم عن بياض ومحو فى مواضع عديدة من الكتاب!!.

المراجع العربية والأجنبية

- الخصائص، لابن جني - تحقيق محمد على النجار - القاهرة ١٩٥٢ - ١٩٥٦م.
- دراسات فى نحو اللغة العربية الوظيفى، د/ أحمد المتوكل - المغرب ١٩٨٦م.
- دلائل الإعجاز، لعبد القاهر الجرجانى - تحقيق محمود محمد شاكر - القاهر ١٩٨٤م.
- شرح ابن عقيل على ألفية بن مالك، تحقيق طه محمد الزينى - القاهرة ١٩٦٦ - ١٩٧٠م.
- علم اللغة، نشأته وتطوره، د/ محمود جاد الرب - القاهرة ١٩٨٥م.
- اللسانيات واللغة العربية، د/ عبد القادر الفاس الفهرى - المغرب ١٩٨٢م.
- اللغة العربية معناها ومبناها، د/ تمام حسان - القاهرة ١٩٧٩م.
- اللغة والمسئولية، نوعم تشومشكى - ترجمة وتمهيد وتعليق د/ حسام البهنساوى - القاهرة ١٩٩٧م.
- محاضرات فى علم اللغة العام، دى سوسير - ترجمة د/ أحمد نعيم الكراعين - الإسكندرية ١٩٨٥م.
- مظاهر النظرية النحوية، نوعم تشومسكى - ترجمة مرتضى جواد باقر - العراق ١٩٨٣م.

- المعرفة اللغوية، نوعم تشومسكى - ترجمة د/ محمد فتيح - القاهرة ١٩٩٣م.

- نظرية تشومسكى اللغوية - جون ليونز - ترجمة د/ حلمى خليل - الاسكندرية ١٩٨٥م.

- الوظائف التداولية فى اللغة العربية، د/ أحمد المتوكل - المغرب ١٩٨٥.

1- N, Chomsky: Aspects of the theary of syntax, Cambridge, Mass, MIT press, 1971.

2- N, Chomsky: Lectures on government and binding, dordrech foris, 1981.

3- N, Chomsky: Remarks on core Grammar, Mspisa, Scuola, normal superiore, 1979.

4- N, Chomsky: Some Concepts and consequences of the theory of government and binding, Cambridge, MIT press, 1982.

5- N, Chomsky: syntax structures, the Hague Mouton trad Fr-Ed, seuil 1969.

6- E, Sapir: Langnage, New York, 1921.

المبحث الثالث

الاطراد والعدول في لغة الحديث النبوى الشريف

دراسة أسلوبية في الأصوات والأبنية والتراكيب

تمهيد

إن قضية الاستشهاد بلغة الحديث النبوى الشريف، هى من القضايا اللغوية الهامة التى توجب على الباحثين والدارسين ضرورة البحث والدراسة، فى محاولة للإجابة عن السؤال المطروح، حول امتناع علماء النحو العربى الأوائل عن الاستشهاد بلغة الحديث.

وبعد التقدم الملموس الذى شهدته الدراسات الأسلوبية الحديثة، وبخاصة فى الربع الأخير من القرن العشرين، فإن اختبار مصداقية هذه الدراسات ومناهجها، فى دراسة قضية الاستشهاد بلغة الحديث النبوى الشريف، يعد أمرا ضروريا ومطلبا علميا، ينبغى بعلى الدارسين أن ينهضوا به، من أجل التوصل إلى النتائج الدقيقة والحقائق الأصلية، حيث أثبتت الدراسات التطبيقية لمناهج الأسلوبية جداوها وفاعليتها فى مجالات عديدة سواء فى مجال الدراسات اللغوية أو الدراسات الأدبية وغيرها من الدراسات.

وفى هذا الصدد، ينبغى أن نقدم توضيحا موجزا، حول مناهج الدراسات الأسلوبية واتجاهاتها وأن نتخير منها ما يتوافق ويتوائم مع دراساتنا فى هذا البحث.

تتركز الدراسات الأسلوبية الحديثة على المفاهيم والأسس الآتية:

١- التركيز على العلاقة بين المنشىء والنص، ويتمثل الأسلوب فى اختيار المنشىء فالأسلوب هنا اختيار.

٢- التركيز على العلاقة بين النص والمتلقى، ويتمثل الأسلوب فى هذا الحال فى ردود الأفعال والاستجابات التى يبديها القارئ أو السامع حيال المنبهات الأسلوبية الكامنة فى النص، فالأسلوب قوة ضاغطة على حساسية المتلقى.

٣- التركيز على الموضوعية بعزل كل من المنشىء والمتلقى والتماس الأسلوب فى وصف النص وصفا لغويا، وثمة اتجاهات ثلاثة فى هذا الأساس وهى:

(أ) اتجاه يرى الأسلوب انحرافا على النمط.

(ب) اتجاه يرى الأسلوب إضافة إلى تعبير محايد.

(جـ) اتجاه يرى بأنه خواص متضمنة فى السمات اللغوية تتنوع بتنوع البيئة والسياق[١].

ويجدر بنا بعد هذا العرض الموجز لمفاهيم الأسلوبية واتجاهاتها المختلفة، أن نستضىء بحديثين شريفين لنحدد من خلالهما المفهوم الأسلوبى المناسب الذى ينسجم مع طبيعة الأحاديث النبوية ومنطلقاتها اللغوية.

الحديث الأول:

يقول رسول الله ﷺ : «أنا خير من نطق بالضاد بيد أنى من قريش ونشأت فى بنى سعد فأنى لى اللحن»[٢].

(١) انظر الأسلوب دراسة لغوية إحصائية ط٣ ص ٤٥ والأسلوب والأسلوبية ٥٧ - ١٠٦ والأسلوب، مدخل نظرى ودراسة تطبيقية ١٣ - ٢٢ ومقالات فى الأسلوبية ١٤٧ - ١٦٥.

(٢) المقاصد الحسنة ٩٥ والنشر فى القراءات العشر ١/ ٢٢٠ والمصنوع فى معرفة الحديث الموضوع ٦٠ وكشف الخفاء ١/ ٢٠.

الحديث الثاني:

يقول رسول الله ﷺ: «أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم»[١].

يأتي الحديث الأول: «أنا أفصح من نطق بالضاد...» متفقًا مع ما ورد في الاتجاه الذي يقول بأن الأسلوب إضافة إلى تعبير محايد من جهة، كما يتفق مع القول بأنه اختيار، من جهة أخرى، فأفضلية الرسول ﷺ الذي أدبه ربهُ فأحسن تأديبه، تمكنه من أن يختار النموذج الأمثل من الكلام العربي الفصيح، الذي يفوق في فصاحته وبيانه أرباب الفصاحة والبيان.

أما الحديث الثاني: «أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم» فإنه يتفقُ مع المبدأ القائل بأن الأسلوب عبارة عن خواص متضمنة في السمات اللغوية، تتنوع بتنويع البيئة والسياق، وهذا يعني أن كل سمة لغوية، تتضمن في ذاتها قيمة أسلوبية معينة، وأنها تستمد قيمتها الأسلوبية من بيئة النص أو الموقف، الذي تعبر عنه، وينشأ عن هذا القول، الاعتراف بوجود تعبير محايد، وتعبير متأسلب، إذ كل سمة، هي بالقوة سمة أسلوبية[٢].

كما يتفق الحديث النبوي الثاني في مقصوده، مع مفهوم كون الأسلوب اختيارًا أو انتقاء، يقوم به المنشيء بسمات معينة، بغرض التعبير عن موقف معين، ويدل هذا الاختيار أو الانتقاء على إيثار المنشيء لهذه السمات على أخرى بديلة[٣].

(١) المقاصد الحسنة ٩٣ وكشف الخفاء ١/ ١٩٦.

(٢) انظر الأسلوب دراسة لغوية إحصائية ٤٣.

(٣) انظر: الأسلوب دراسة لُغوية إحصائية ٣٨ وكذا: دليل الدراسات الأسلوبية ٣٦ وما بعدها، وكذا: الأسلوب والأسلوبية ٧١ – ٧٨، ٨٢ – ٣، ٢٤٦ – ٢٥٠ والأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية مدخل نظري ٢١ – ٢٢.

تلك هى الأسس الأسلوبية، التى نراها مناسبة للنظر إلى لغة الحديث النبوى الشريف، باعتباره نصًا أدبيًا، يمثل رسالة موجهة من النبى ﷺ إلى المسلمين أجمعين، باعتبارهم متلقين لهذه الرسالة، ومن الواضح الجلى، أن الرسول ﷺ قد استخدم فى التعبير فى أحاديثه الشريفة، نفس النظام اللغوى المشترك، بينه وبين متلقيه، من المتكلمين باللغة العربية، وأنهم كانوا يتلقون أحاديثه الشريفة بالفهم والاستيعاب، والعمل والاقتداء والسلوك، لأن كلاً من الرسول ﷺ والمستمعين إليه، على علم بمجموعة الأنماط والعلاقات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية، التى تمثل نظام اللغة العربية، وهو النظام الذى يلبى عمليات الاتصال بين أفراد الجماعة اللغوية.

وإذا كان علماء النحو العربى الأوائل الذين أسسوا صرح علم النحو العربى وعلوم العربية وغيرها، قد شمروا عن سواعد الجد والاجتهاد، من أجل النهوض، بهذه العلوم، التى تحفظ للغة العربية سلامتها وفصاحتها وصحتها من براثن اللحن والانحراف، عن مستواها الصوابى، الذى أنزل الله سبحانه وتعالى على سمته القرآن الكريم، وأنشأ الشعراء والخطباء والفصحاء على منوالها إنتاجهم الأدبى.. إذا كان هؤلاء الأوائل قد اعتمدوا فى تقعيدهم وتأسيسهم لعلم النحو على أساس معيارى يطرد معه القياس على الأنماط اللغوية المختلفة، فإن المبدأ الذى اعتمدوا عليه، يتفق مع المبدأ الذى قرره الحديث النبوى الشريف: «أنا أفصح من نطق بالضاد...» ناهيك عن تميز حديث الرسول وأفضليته.

ونحن فى هذا البحث معنيون فى المقام الأول بإلقاء الضوء والبحث

على حدود ومدى اطراد لغة الحديث النبوى الشريف مع القواعد النحوية التى وضعها النحاة العرب مصادر احتجاجهم على القرآن الكريم من جهة وعلى لغة الشعر العربى والنثر من جهة أخرى.

وعلى الرغم من غموض معايير قصرهم الاحتجاج، على هذه المصادر وعدم دقتها وتوحدها، حيث نجد علماء البصرة يتشددون فى القياس، ويحددون البيئة المكانية فى قبائل بعينها، لا يأخذون عمن سواها من سائر قبائلهم، وهى قبائل قيس وتميم وأسد[1] وكانوا يتباهون بأنهم يأخذون اللغة عن حرشة الضباب وأكلة اليرابيع، والكوفيون يأخذون اللغة عن أهل السواد وأصحاب الكواميخ وأكلة الشواريز..[2].

فإننا نجد علماء الكوفة، قد وسعوا دائرة القياس، فقد كانوا يجعلون من البيت الواحد أصلاً، يصلح للتبويب عليه، كما أنهم توسعوا فى الأخذ عن جميع القبائل العربية،و الفصيحة وغيرها[3].

---

(١) انظر: الاقتراح ١٩ والمزهر ١/ ٢١١ والذين عنهم نقلت اللغة العربية وبهم اقتدى، وعنهم أخذ اللسان العربى من بين قبائل العرب عن قيس وتميم وأسد، فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه، وعليهم اتكل فى الإعراب والتصريف، ثم هذيل وبعض كنانة، وبعض الطائيين ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم.

(٢) انظر: أخبار النحويين ٦٨ والفهرست ٩٢ والاقتراح ٨٤.

(٣) يقول أبو زيد الأنصارى: (قدم علينا الكسائى البصرة، فلقى عيسى والخليل وغيرهما، وأخذ منهم نحواً كثيراً، ثم صار إلى بغداد، فلقى أعراب الحطمة، فأخذ عنهم الفساد من الخطأ واللحن، فأفسد بذلك ما كان أخذه بالبصرة كله «مراتب النحويين ٧٤ ومعجم الأدباء ١٣/ ١٩٠ ويقول ابن درستويه: كان الكسائى يسمع الشاذ، الذى لا يجوز إلا فى الضرورة، فيجعله أصلاً فيقيس عليه واختلط بأعراب الأبلة، فأفسد بذلك النحو، معجم الأدباء ١٣/ ١٨٣ وأنباء الرواة ٢/ ٢٧٤.

لقد أخطأ كل من الفريقين فى وجهة نظره، فالبصريون الذين حددوا البيئة المكانية فى قبائل بعينها، و لم يفرقوا بين الفصيح وغير الفصيح، من كلامها ولم يدركوا الفروق بين المستويات اللغوية، فثمة لغة فصيحة، وأخرى عامية، يتكلم بها أفراد البيئة اللغوية الواحدة، بحسب نوعية المتكلمين وثقافاتهم من جهة، وبحسب حالات الكلام وأحواله من جهة أخرى، وكذا كان الحال عند الكوفيين، الذين خلطوا بين الفصيح وغير الفصيح، بأخذهم عن كل العرب.

ولكن هؤلاء النحاة الأوائل، مع هذا التداخل والغموض فى معاييرهم، فإنهم لم يأخذوا بلغة الحديث النبوى الشريف فى الاحتجاج على اللغة العربية الفصيحة، ومن العجيب أن هؤلاء العلماء، على قدرهم وثقافتهم، كانوا يعتدون بلغة هؤلاء البدو، وكانوا يعتقدون أن اللغة العربية تجرى فى دمائهم، غير مدركين حقيقة أن اللغة أمر مكتسب، يمكن أن يتقنها غير أهلها، إذا مارسوها طويلاً منذ المولد[١] ويقول نولدكه: «ويصلح كل بدو الجزيرة العربية باستثناء الأماكن المتطرفة، لأن يُعدُّوا أصحاب هذه اللغة العربية الصافية، حتى بعد محمد ﷺ بمائتى عام، وإن أعلم علماء النحو، ليجعل من أول شخص قادم بإبله وذلك البدوى الذى لم يتعلم ولا يحفظ عشرين آية كاملة من القرآن الكريم، ولا يعرف شيئًا عن مفاهيم النحو النظرية، ذلك البدوى يجعل منه النحاة حكمًا فاصلاً، فى هل يجوز أن يقال كذا أو كذا فى اللغة العربية[٢]».

(١) انظر: فصول فى فقه العربية ١٠٦.

(٢) اللغات السامية ٨٦ وكذا، فصول فى فقه العربية ١٠٦.

وفي عجيب أمر هؤلاء النحاة الأوائل أن ينصرفوا عن لغة الحديث النبوي الشريف، على الرغم من أنهم يعلمون يقينا أن الذين تلقوا الأحاديث مباشرة عن الرسول ﷺ وقاموا بروايته، هم صحابته الكرام ﷺ، وهم كانوا من العرب الخلص، ويتمتعون بالفصاحة والبيان، فلو أن واحدا منهم خانته ذاكرته في خصوص اللفظ لأدى المعنى بألفاظ فصيحة من عنده. . . وأما التابعون، الذين جاءوا بعد ذلك، ورووا الأحاديث عن الصحابة الكرام، فهم إما عرب أقحاح يتمتعون بالفصاحة والبيان، وإما أعاجم، علماء بالعربية، درسوها وحذقوها، وأصبحوا من أربابها وحماتها(١)، لقد كان هؤلاء الرواة من التابعين، وتابعي التابعين، يعضون على ما تلقوه من الأحاديث بالنواجذ، وأنه كان لهم من البصر بنقد ما تلقونه من أحاديث، سندًا ومتنًا إلى الدرجة التي تدعونا إلى الاطمئنان عليهم وإليهم من حيث المحافظة على النص، ولا سيما أن الاعتماد على التدوين من شأنه، أن يعينهم على عدم النسيان، ولم يكن هؤلاء الرواة التابعون من الأعاجم، يروون الأحاديث، في عالم غير عالم النحاة، الذين بدءوا جهودهم النحوية، في مجتمع فصيح، أي إن هؤلاء المحدثين من الأعاجم كانوا يروون ما معهم من أحاديث في وسط فصيح، ولم نسمع أن الأحاديث التي

---

(١) والقول بأن رواة الحديث أعاجم ليس بشيء، لأن ذلك يقال في رواة الشعر والنثر الذين يحتج بهما، فإن منهم الكثير من الأعاجم وهل في وسعهم أن يذكروا لنا محدثا، ممن يعتد به يمكن أن يوضع في صف حماد الراوية، والذي كان يكذب ويكسر ومع ذلك لم يتورع الكوفيون ومن نهج منهجهم عن الاحتجاج بروايته، ولكنهم تحرجوا من الاحتجاج بالحديث، نظرة في النحو العربي مجلة المجمع العلمي بدمشق ١٤، ٣٢ - ٣٢٧.

كانوا يرونها، خالفت القواعد، أكثر مما خـالفها الشعر العربى، والمشتمل على الضرائر والرّخص(١).

على الرغم من ذلك، نرى النحاة يقيمون نحوهم على الشعر، وهو لغة خاصـة وغير النثر، ويـتركون الأحاديث، وهى أقل مـخالفة لقـواعدهم من الشعر.

وقد يتعلل هؤلاء النحاة، أن الرواية فى الحديث النبـوى، قد سمح فيها بأن تكون بالمعنـى، وعلى فرض وقوع ذلك، فالـمغير لفظـا بلفظ فى معناه عربى فصـيح، يحتج بكلامه فى اللغة، ولم يكن هناك أكثـر دقة وتحريًا من هؤلاء فى ضبطهم لألفـاظ الحديث... ثم إن كثيـراً من رواة الحديث من الصحابة والتابعين، كانوا قـد دونوه فى عهد النبى ﷺ منهم: عبد الله بن عمرو بن العاص، الذى كان يكتب الحديث فى حياة رسول الله ﷺ وهو الذى يروى عن عبد الله بن عمر وأنس بن مـالك وسهل بن سعد الساعدى من الصحـابى الكرام(٢) فـالرواية بالمـعنى، هو مـذهب جمـهـور السلف والخلف، وهو المذهب الذى تشـهد به أحوال الصحابـة، وقال به الحسن البصرى والشعبى والنخعى وعمـرو بن دينار وسفيان الثورى وحماد بن زيد، وهو مذهب الأئمة الأربعة(٣).

كما يقول الرامـهرمزى: «قد دلّ قول الشافعى فى صـفة المحدث، مع رعاية اتبـاع اللفظ على أنه يجوز للمحـدث أن يأتى بالمعنى دون اللفظ، إذا

(١) أصول النحو، للأفغانى ٣٠.

(٢) انظر: فى أصول النحو ٥٠ - ٥٥.

(٣) انظر: تحرير الرواية فى تقرير الكفاية ٩٩.

كان عالما بلغـات العرب، ووجوه خطابها، بصيرا بالمعانى والفـقه، عالمًا بمـا يحيل المـعنى وما لا يحـيله، فإنه إذا كـان بهذه الصـفة، جـاز له نقل اللفظ، فإنه يحترز بالفهم عن تغيير المعانى، وإزالة أحكامها، ومن لم يكن بهـذه الصفـة، كان أداء اللفظ لازمًـا، والعدول عن هيـئة مـا يسمـعه علـيه محظورًا[١] وقـال قتـادة عن زرارة بن أوفى: لقيت عـدة من أصحـاب النبى ﷺ فاختلفوا فى اللفظ واجتمعوا على المعنى[٢].

كمـا يروى الخطيب عن على بن خشرم قـوله: كان ابن عيـينه يحدثنا، فإذا سئل بعد ذلك حدثنا بغير لفظ الأول، والمعنى واحد[٣].

نقول: إنه على الرغم من الشروط التى ذكرها علماء الحديث، فى صفة الراوى، وما ينبغى أن يكون عليه من علم وفصاحة وفقه وسلوك...[٤]. فإننا نجد علماء النحو، من الرعيل الأول يستـشهدون بالشعر العربى، الذى جاء معظمه عن طريق الروايـة ـ أيضًا ـ حيث كانت الرواية شائعـة فى الكثير من الشواهد الشـعرية، يشهـد لنا بذلك، تعدد الروايات فى الشـاهد الواحد[٥] لقـد كان هذا شـأن الرعـيل الأول من النحـاة العرب، الذيـن امتنعـوا عن الاستشهاد بلغة الحديث النبوى الشريف، والحق أن أحدًا من هؤلاء العلماء

(١) الرسـالة، للشافعى ٧٤٤، ٧٥٧ ومواضع اخرى.

(٢) المحدث الفاصل.

(٣) تحرير الرواية فى تقرير الكفاية ٣١٦.

(٤) أجمع العلماء على أن الراوى إذا لم يكن عالمًـا عارفًا بالألفاظ ومدلولاتها ومقـاصـدها، خبيرًا بما يحيل معانيـها، بصيرا بمقادير التفاوت بينها فإنه لا يـجوز له الرواية بالمعنى، بل يتعين عليه أن يؤدى اللفظ نفـسه، الذى سمعه، لا يخرم منه شيئًا، لا يبدل لفظًا بلفظ.

(٥) أصول النحو ٣٠.

لم يصرح ـ في حدود علمنا ـ برفضه المعلن، عن عدم الاستشهاد بلغة الحديث النبوى وإنما يشهد امتناعهم عن ذلك دليلاً على موقفهم غير المعلن.

وإذا كان هذا هو شأن النحاة الأوائل، فلم يكن ذلك، هو شأن أقرانهم من علماء اللغة، فليس فيهم من منع الاستشهاد بلغة الحديث النبوى الشريف.

فقد ورد ذكر عديد من هؤلاء العلماء اللغويين، نذكر منهم، أبا عمرو ابن العلاء والخليل والكسائي والفراء والأصمعي وأبا عبيد وابن الأعرابي وابن السكيت وأبا حاتم وابن قتيبة والمبرد وابن دريد وأبا جعفر النحاس وابن خالوية والأزهرى والفارابي والصاحب بن عباد وابن فارس والجوهرى وابن برى وابن سيده وابن منظور والفيروزا بادي وغيرهم[١].

ثم تأتى بعد ذلك مرحلة لاحقة ينقسم فيها النحاة إلى اتجاهات ثلاثة، حول الأخذ والاستشهاد بلغة الحديث النبوى الشريف.

الاتجاه الأول:

ويرى علماء هذا الاتجاه الاحتجاج بلغة الحديث النبوى الشريف، ويقول ابن الطيب: «وذهب إلى الاحتجاج به، والاستدلال بألفاظه وتراكيبه: جمع من الأئمة، منهم: شيخا هذه الصناعة وأمامهما الجمالان ابن مالك وهشام، والجوهري وصاحب البديع والحريرى وابن سيدة وابن فارس وابن خروف وابن جنى والسهيلي وغيرهم وقد أكثر السهيلي (ت ٥٨١ هـ) الاستشهاد بالحديث في كتابه: أمالي السهيلي في النحو واللغة والحديث

(١) محاضر الجلسات ٣٠١.

والفقـه، وفاقـهم فى ذلك كله ابن مالك، وبـلغ الذروة فى كتابـه: شواهد التـوضيح والتـصحيح لـمشكلات الجـامع الصحـيح، فقـد عقد الكـتاب للأحاديث التى يـشكل إعرابها وذكـر لها وجوهًا يـستبين بـها أنها من قـبيل العربى الفصيح[1] كما أكثر ابن مالك (ت ٦٧٢ هـ) بما وقع فى الأحاديث، على اثبات القواعد الكليـة فى لسان العرب، ولا سيما فى كتـابه: التسهيل، إكثارًا ضاق به أبو حيان، شارح التسـهيل غير مرة، حتى غلا فى بعض هذه المرات فقال: والمصنف أكثر من الاستدلال بما ورد فى الأثر، متعقبًا بزعمه على النحويين، وما أمعن النظر فى ذلك، ولا صحب من له التمييز[2].

كما أكثـر ابن هشام (ت ٧٦١هـ) تلميذ أبى حيان الاستـشهاد بالحديث النبوى الشـريف فى كتبه، حـتى قيل: لقد كـان كثير المـخالفة لشيـخه أبى حيان، شديد الانحراف عنه[3] كمـا أقر هذا الاتجاه وأيده: البدر الدمـامينى (ت ٨٢٨هـ) فى شـرحه للتسـهيل، المسـمى: تعليق الـفرائد على تسـهيل الفوائد[4].

الاتجاه الثانى:

يرفض علمـاء هذا الاتجـاه الاستـشـهاد بـلغة الحـديث النبـوى، وهم يصرحون بهذا الرفـض علانية على غير ما كان من النحـاة الذين امتنعوا عن ذلك دون تصريح بالرفض.

ويأتى فى مقدمة هؤلاء العلماء المانعين للاستشهاد بلغة الحديث النبوى كل من أبى حيان فى شرح التسهيل وأبى الحسن بن الضائع فى شرح الجمل

(١) انظر: تحرير الرواية فى تقرير الكفاية ٩٩.
(٢) الاقتراح ٥٣.
(٣) بغية الوعاة ٢/ ٦٩.
(٤) انظر خزانة الأدب ١/ ٧.

وتابعهما في ذلك: السيوطي، وأكد ابن الطيب أنه لا يعلم أحدًا من علماء العربية خالف العلماء في الاحتجاج بالحديث النبوي سوى هؤلاء العلماء[١] كما يقول البغدادي: «قال أبو الحسن بن الضائع، في شرح الجمل: تجويز الرواية بالمعنى، هو السبب عندي في ترك الأئمة، كسيبويه وغيره الاستشهاد على إثبات اللغة بالحديث، واعتمدوا في ذلك على القرآن الكريم، وصريح النقل عن العرب، وقد جرى الكلام في ذلك، مع بعض المتأخرين الأذكياء، فقال: إنما ترك العلماء ذلك، لعدم وثوقهم أن ذلك لفظ رسول الله ﷺ إذ لو وثقوا بذلك لجرى مجرى القرآن الكريم، في إثبات القواعد الكلية ـ وإنما كان ذلك لأمرين:

إحداهما:

أن الرواة جوزوا النقل بالمعنى، نحو ما روي من قوله: «زوجتكها بما معك من القرآن، «وملكتكها بما معك من القرآن»[٢].

والثاني:

أنه وقع اللحن كثيراً فيما روي من الحديث، لأن كثيراً من الرواة، كانوا من غير العرب، ونعلم قطعًا من غير شك، أن رسول الله ﷺ كان أفصح العرب، فلم يكن يتكلم إلا بأفصح اللغات، وأحسن التراكيب وأشهرها وأجزلها، وإذا تكلم بلغة غير لغته، فإنما يتكلم بذلك مع أهل تلك اللغة على طريقة الإعجاز[٣].

(١) انظر: تحرير الرواية في تقرير الكفاية ٩٦ – ٩٧.

(٢) صحيح البخاري ٦/ ١٢١ وصحيح مسلم ٤/ ١٤٤ وسنن النسائي ١/ ١١٣.

(٣) الخزانة ١/ ٥.

الاتجاه الثالث:

ويرى علماء هذا الاتجاه التوسط بين منع الاستشهاد وجوازه، ويأتى فى مقدمة هؤلاء: أبو إسحاق الشاطبى (ت ٧٩٠ هـ) فى شرحه للألفية: «المقاصد الشافية فى شرح الخلاصة الكافية» حيث يقول «لم نجد أحداً من النحويين، استشهد بحديث رسول الله ﷺ وهم يستشهدون بكلام أجلاف العرب وسفهائهم الذين يبولون على أعقابهم، وأشعارهم التى فيها الفحش والخنى، ويتركون الأحاديث الصحيحة... وأما الحديث فعلى قسمين:

قسم يعتنى ناقله بمعناه دون لفظه، فهذا لم يقع به استشهاد أهل اللسان.

وقسم عرف اعتناء ناقله بلفظه، لمقصود خاص، كالأحاديث التى قصد بها بيان فصاحته ﷺ ككتابه لهمذان وكتابه لوائل بن حجر والأمثال النبوية فهذا يصح الاستشهاد به فى العربية، وابن مالك لم يفصل هذا التفصيل الضرورى الذى لابد منه، وبنى الكلام على الحديث مطلقا، ولا أعرف له سلفًا، إلا ابن خروف، فإنه أتى بأحاديث فى بعض المسائل[١].

كما صنف الشيخ محمد الخضر حسين الأحاديث النبوية الشريفة التى يرى أنه لا خلاف فى قبولها وصلاحيتها للاحتجاج والاستشهاد بها فى اللغة والنحو، فى الأنواع الستة الآتية[٢].

الأول:

ما يروى بقصد الاستدلال على كمال فصاحته ـ عليه السلام ـ كقوله: ﷺ: «حمى الوطيس»[٣] قوله: «مات حتف أنفه» وقوله: «الظلم ظلمات

(١) خزانة الأدب ١/ ٦.　　(٢) انظر: فى أصول النحو ٥٥.

(٣) قطعة من حديث، أخرجه مسلم فى صحيحه ٥/ ١٦٧ ومسند أحمد ١/ ٢٠٧.

يوم القيامة»[١] إلى نحو هذا من الأحاديث القصار المشتملة على شيء من محاسن البيان، كقوله: «فارجعن مأزورات غير مأجورات»[٢] وقوله: «إن الله لا يمل حتى تملوا»[٣].

الثاني:

ما يروى من الأقوال التي يتعبد بها أو أمر بالتعبد بها كألفاظ القنوت، والتحيات، وكثير من الأذكار والأدعية، التي كان يدعو بها في أوقات خاصة[٤].

الثالث:

ما يروى على أنه كان يخاطب كل قوم من العرب بلغاتهم، ومما هو ظاهر أن الرواة يقصدون في الأنواع الثلاثة إلى رواية الحديث بلفظه ﷺ.

الرابع:

الأحاديث التي وردت من طرق متعددة، واتحدت ألفاظها، والمراد أن تعدد طرقها إلى النبي ﷺ أو إلى الصحابة أو إلى التابعين، الذين ينطقون الكلام العربي الفصيح.

(١) صحيح البخاري ٣/ ٩٩ وفتح الباري ٥/ ١٠٠ وصحيح مسلم بشرح النووي ١٦/ ١٣٤ والجامع الصغير ١/ ٩.

(٢) سنن ابن ماجه ١/ ٥٠٣.

(٣) قطعة من حديث في صحيح البخاري ٧/ ٥٠ وصحيح مسلم ٢/ ١٨٩ وفتح الباري ١٠/ ٣٤٠.

(٤) يقول ابن حجر: الأقوال المنصوصة، إذا تعبد بلفظها، لا يجوز تغيرها، ولو وافق المعنى.. انظر فتح الباري ٨/ ٣٠٨.

الخامس:

الأحاديث التي دونها من نـشأ في بيئة عربيـة، لم ينتشر فيهـا شاذ اللغة كمالك بن أنس وعبد الملك بن جريج والشافعي.

السادس:

ما عرف من حال رواته أنهم لا يجيـزون رواية الحديث بالمعنى، مثل: ابن سيرين والقاسم بن محمد ورجاء بن حيوة وعلي بن المديني.

نماذج تحليلية للغة الحديث النبوي الشريف

لعله من المفيد أن نذكر أن اللغة العربية أوسع من النحو العربى، لأن قواعد النحو، أنيط بها تنظيم ما أطرد من اللغة، ثم يبقى بعد ذلك جزء من اللغة لا يخضع لقواعد النحو، بسبب عدم اطراده، وهو جزء من اللغة، يتساوى مع المطرد فى الفصاحة.

فمن قواعد الأصول عند النحاة قاعدة تقول «الشذوذ لا ينافى الفصاحة».

لقد جاءت أحاديث النبى ﷺ بلسان عربى فصيح وامتدت تراكيبه على رحاب اللغة، ولم تنحبس فى بوتقة القواعد النحوية أو الصرفية أو الصوتية، فلغة الحديث النبوى الثابت بلفظه الكريم، أو المروية بالمعنى، بألفاظ الصحابة والتابعين من العرب الفصحاء والأعاجم المشهود لهم بالفصاحة تهيمن على اللغة العربية كلها، ما اطرد منها، وما لم يطرد(١).

ويرى العلماء أن الأسلوب العدولى، هو الخارج عن الأصل، أو المخالف للقواعد، ولكن هذا الخروج، أو تلك المخالفة اكتسبا فى الاستعمال الأسلوبى قدراً من الاطراد، فإنهما من الأصول التى يقاس عليها(٢).

أولا: المستوى الصوتى:

ذكرت كتب الحديث مجموعة من الأحاديث النبوية، التى تمثل ظواهر

---

(١) انظر البيان فى روائع القرآن، بتصرف فى العبارة ٣٨٣.

(٢) انظر: البيان فى روائع القرآن ٣٤٧.

صوتية للهجـات القبائل العربية، التى عدها العلمـاء، من الظواهر الصوتية اللهجية التى لا يعتد بها فى التقعيد الصوتى للغة العربية الفصحى كما ذكرها العلماء، على أنهـا من العيوب النطقـية، التى ارتفعت عليـها اللغة العـربية الفصيحة.

ذكرنا آنفًا أن الرسول ﷺ كان يخاطب الوفود القادمة عليه من القبائل العربية من شتى أنحـاء الجزيرة العربية، كان يخاطبهـم بلسانهم ولهجاتهم، وأنه ﷺ يقول فى ذلك: «أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم»[١]، وليس من شك أن مخاطبـة الناس على قدر عقولهم، ميزة وقـدرة، لا يتمتع بها إلا الفصحاء والبلغاء، فليس ذلك انحرافًا أو بعداً عن المستوى الصوابى لقواعد اللغة[٢].

---

(١) المقاصد الحسنة ٩٣ وكشف الخفاء ١/ ١٩٦.

(٢) يقول بشر بن المعتمر: والمعنى ليس بأن يكون من معانى الخاصـة وكذلك ليس يضع بأن يكون من معاني العامة، وإنما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة، مع موافقة الحال وما يجب لكل مقام من المقال وكذلك اللفظ العامي والخاصي.

بعض الظواهر اللهجية التى وردت فى لغة الحديث النبوى

١- ظاهرة الطمطمانية:

وهى عبارة عن إبدال لام التعريف ميما، وينسب هذا اللقب إلى قبائل طيىء والأزد، وإلى قبائل حمير من اليمن، وقد قصر بعضهم هذا القلب فى اللام الشمسية دون القمرية.

ومما ورد من ذلك فى الحديث، ما رواه النمر بن تولب من قوله ﷺ «ليس من امبر امصيام فى امسفر»(١) وقوله ﷺ «من زنى من امبكر، فاصفعوه مائه جلدة»(٢) ومن شواهد ذلك، قول بجير بن غنمة الطائى، أحد شعراء بنى بولان: (المنسرح)(٣).

ذاك خليلى وذو يعاوننى

يرمى ورائى بأمسهم وامسلمه

كما وردت أمثلة عديدة لهذه الظاهرة، ذكرها العلماء، منها ما ذكره شمر أنه سمع حميرية فصيحة، سألها عن بلادها، فقالت: النخل قل، ولكن عيشتنا امقمح امفرسك امعنب امحماط طوب(٤) ويرى الخليل أن أداة التعريف فى اليمنية القديمة، هى نون نهائية فى آخر الكلمة(٥)، أما فى

(١) درة الغواص ١٠٤ ومغنى اللبيب ١/ ٤٨ ومحاضرات الأدباء ١/ ٦٢.

(٢) اللسان ١٠/ ٦٨.

(٣) مغنى اللبيب ١/ ٤٨ والصاهل والشاحج ٤٨٥ واللسان ٢٠/ ٣٤٧ وشمس العلوم ٣٩ وشعر فى الجاهلية والإسلام ٤/ ٣٤٤.

(٤) اللسان ١٢/ ٣٦٣.

(٥) تاريخ العرب ٧/ ٣٣.

اللحيانية والصوفية فأداة التعريف فيها هي: الهاء، إلا أن اللحيانية تستخدم: هن، وهل بجانب الهاء، ويلاحظ أن النون في: هن تدغم في الحروف الأولى من الأسماء، شريطة ألا تكون من حروف الحلق[١]، وقلب اللام ميما أمر تسوغه القوانين الصوتية، حيث تعد اللام والميم من الأصوات المائعة، التي تتبادل مواقعها، وهذه الأصوات هي: اللام والراء والميم والنون.

٢- ظاهرة الاستنطاء:

وهي عبارة عن نطق العين الساكنة، إذا تلتها الطاء نونا وتنسب هذه الظاهرة إلى قبيلة سعد بن بكر وهذيل والأزد والأنصار[٢] وقد وردت هذه في أحاديث نبوية، نذكر منها قوله ﷺ «لا مانع لما أنطيت ولا منطى لما منعت» وقوله «اليد المنطية خير من اليد السفلى[٣]، وكذا ما ورد في كتابه لتميم الداري: «وهذا ما أنطى محمد رسول الله لتميم الداري وإخوته: حبرون والمرطوم وبيت عينون وبيت إبراهيم، وما فيهن نطية بتذمتهم»[٤] وفي كتابه ﷺ لوائل «وانطوا الثبجة»[٥].

وقد وردت هذه الظاهرة في قراءة: الحسن وطلحة بن مصرف: في قوله

(١) انظر: اللهجات العربية في التراث ١/ ٤٠٠ واللهجات العربية ١٠٤ - ١٠٥.

(٢) البداية والنهاية ٥/ ٧٦ والفائق للزمخشري ١/ ٨ واللسان ٢٠/ ٢٦٠.

(٣) البداية والنهاية ٥/ ٧٦ والبحر المحيط ٨/ ٥٠٩.

(٤) مسالك الأبصار ١/ ١٤٧ وجمهرة رسائل العرب ١/ ٧٢ - ٧٣ ومجموعة الوثائق السياسية ٩٦.

(٥) مجموعة الوثائق السياسية ١٠٧.

تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ (الكوثر: ١) حيث قرئت: إنا انطيناك الكوثر، كما قرأ ابن مسعود والأعمش: ﴿وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ (وانطاهم تقواهم).

قد وجدت هذه الصفة فى المصاحف القديمة، كمصحف ابن مسعود ومصحف أبى بن كعب، ومصحف الربيع بن خيثم[1].

ومن شواهد الاستنطاء قول الأعشى: (المتقارب)[2]:

جيادك فى القيظ فى نعمة

تصان الجلال وتنطى الشعيرا

وكذلك ما أنشده ثعلب: (الطويل)[3]:

من المنطيات المركب المعج بعدما

يرى فى فروع المقلتين تضوب

والحقيقة، فإن هذه الظاهرة، لا يمكن تفسيرها فى ضوء القوانين الصوتية بأى حال من الأحوال، فإن قلب العين نونا أمر لا تسوغه القوانين الصوتية فليس بين الصوتين أية قرابة، لا من حيث المخرج، ولا من الصفات، فالعين صوت حلقى احتكاكى مجهور، والنون صوت لثوى أنفى مجهور.

ويذكر (رابين) بعد مقارنة بين اللغات السامية، كالعبرية والآرامية والأمهرية واللهجات الحبشية القديمة، واللهجات العربية القديمة، كلهجة عمان وجنوب اليمن، بأن صيغة «نطى» هى الصيغة القديمة للفعل المتعدى

(١) مختصر شواذ القرآن ١٤١.

(٢) ديوان الأعشى ق ١٢/ ٤٩ ص ٩٩ والإبدال لأبى الطيب ٢/ ٣١٨.

(٣) اللسان ٢٠/ ٢٦٠.

بالهمزة «أنطى» وأن هذه الصيغة القديمة «أنطى» تعد الصيغة المرادفة للفعل «أعطى» حيث يقول: «ويدل الوضع العام في العربية، على أن «أنطى» كان الصيغة المعداه بالهمزة من الفعل: «نطى» وهو الفعل الأقدم، الذى استبدل به في الشرق الفعل: «عطى» الذى صار مرادفا للفعل: «نطى» بعد أن تخصص معنى الأخير[١].

وهكذا ينتهى (رابين) إلى وجود علاقة بين الفعلين: «أنطى» و «أعطى» وليس هذا تطورا تاريخيًا، قد طرأ على الفعل: «أنطى» فتحول إلى فعل «أعطى» وليس هذا يعنى أن العين يمكن قلبها نونا فى غير هذا الفعل.

ويرى بعض العلماء المحدثين بأن الظاهرة، ليست مقصورة على الفعل: «أعطى» فحسب، بل يتعلق بكل عين وليتها طاء، أو صوت آخر، فلعل من القبائل من كان ينطق بهذا الصوت، بصفة خاصة نطقا أنفميا، وذلك بأن يجعلوا مجرى النفس معه من الفم والأنف، فتسمع العين ممتزجة بصوت النون، وليست فى الحقيقة نونا، بل هى: «عين أنفمية» ولعل الرواة قد سمعوا هذه الصفة فى الفعل: «أعطى» وأشكلت عليهم، ولم يصفوها لنا على حقيقتها[٢].

٢- قلب تاء جمع المؤنث هاء عند الوقف:

ومن ذلك قول الرسول ﷺ: «دفن البناه من المكرماه»[٣].

ويعلق بعض العلماء على هذا الحديث بقوله: «حاشاه أن يقول

(١) انظر: اللهجات العربية القديمة ٧١.

(٢) فى اللهجات العربية ١٠٤ - ١٠٥ والأصوات اللغوية ٦٣.

(٣) فيض القدير ٣/ ٥٣٣ وكشف الخفاء ١/ ٤٠٧ وكنز العمال ١٦/ ٤٤٩.

ذلك كـراهة للبنات بل خـرج مـخـرج التـقرب للنفـس، لما عـزى بابنتـه رقية»(١).

ومما ورد بهذا القلب، ما ذكره قطرب، بأنـه سمع من يقـول: «كيف الإخوة والأخواه» يريد كيف الأخوة والأخوات، ومن ذلك قولهم: «هيهاه» و «أولاه» في: «هيهات» و «أولات»(٢).

ويذكر (رابين) بأن هذه الظاهرة توجد في بعض لهجات البدو في سوريا ونجد، ويـعلل لحدوث هذه الظاهرة بأن الطبـيعـة الصوتيـة الخالصـة لهذا التغيـير يؤيدها وضع لهجة نعيم في شرق سـوريا، وفيها تكون التاء ضـعيفة وإن كانت تسمع، كما يؤيد ذلك، ما فـي لهجة شمر، الذي يقال إنهم من أنساب طيئ، وفيهـا نجد الفتحة الطويلة قد وليتهـا ياء خفيفة(٣)، ويبدو أن بعض طيئ هؤلاء الذين يقـفون بـالهاء على المـجمـوع بالألف والتاء، قـد قاسوا هذا الجـمع بالمفرد المؤنث، وبخـاصة تلك الصيغ المسـبوقة بألف مد، بما يشبهه تلك الصيغ بصيغ الجـمع، كما في صلاة وزكاة وحياة، وقد ذكر ذلـك الشيخ الأزهري، إذ يقـول عن الحديث السـابق: «دفن البناه من المكرمـاه» بإبـدال تاء الجـمع هاء في الوقف، تشـبـيـهـا بتـاء التـأنيث الخالصة(٤).

---

(١) تمييز الطيب من الخبيث.

(٢) انظر: اللهجات العربية الغربية القديمة ٣٦١.

(٣) انظر: اللهجات العربية الغربية القديمة ٣٦١.

(٤) شرح التصريح ٢/ ٣٤٣.

٤- قلب الياء تاء، ثم إدغامها في صيغة: افتعل:

يقول ابن هشام في القول في صيغة: افتعل من الإزار، وايتزر، ولا يجوز إبدال الياء تاء وإدغامها في التاء، أن هذه الياء بدل من همزة، وليست أصلية، وشذ قولهم في «افتعل من الأكل: اتكل، وقول الجوهري في: اتخذ أنه: افتعل من الأخذ وهم، وإنما التاء أصل، وهو من: تخذ، كاتبع من: تبع.

وقد أجاز البغداديون الإبدال من ذي الهمزة، وذكروا لذلك أمثلة وألفاظا منها: اتّزروا تّمن، من: الإزار والأمان، واتّهل من الأهل، واتّخذ من الأخذ[١] وعلى هذا النحو الذي أجازه الكوفيون، وردت أحاديث نبوية، روتها كتب الحديث، نذكر منها قوله ﷺ: وإن كان قصيرا فليتزر به»[٢] بالإبدال والإدغام، وكما رواه جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «من لم يجد ثوبين، فليصل في ثوب واحد ملتحفا، فإن كان الثوب قصيرا فليتّزر به» وقوله ﷺ في حديث عائشة رضي الله عنها: «كان رسول الله ﷺ يأمرني إذا حضت أن اتّزر[٣]، بالإدغام».

---

(١) انظر شرح المرادي ٦/ ٧٨ واوضح المسالك ٣/ ٣٣٩ يقول ابن جني: «وإنما كتبت الهمزة واو مرة وياء أخرى على مذهب أهل الحجاز في التخفيف، سر صناعة الإعراب ١/ ٤٦ ويقول أحمد بن محمد الرازي: وأما الهمزة المحققة فأصلها أن تكتب على صورة الألف اللينة، وإنما تكتب مرة أخرى واواً وأخرى ياء، على مذهب التخفيف، وانظر ثلاثة كتب في الحروف ١٥٦ فصيغة افتعل من الإزار، سهلت فيها الهمزة، فقلبت ياء، وليس ثمة ما يمنع من قلب الياء في صورتها المخففة هذه إلى تاء، ثم تدغم في تاء افتعل فبنية الكلمة في صورتها المخففة على لغة الحجازيين في التخفيف، تسمح بتحويل الياء تاء من صيغة: افتعل طردا للباب على وتيرة واحدة، انظر مشكلة الهمزة العربية ٢١ وما بعدها.

(٢) الموطأ ١/ ١٤٦.

(٣) سنن الترمذي ١/ ٨٨.

والحقُّ، فإن منع ابن هشــام قلب الياء تاء، ثم إدغامهــا في تاء: افتعل أمر لا مبــرر له، فليس هناك ما يمنع هذا القلب، من الناحيــة الصوتية، بل على العكس، فإن قلب الياء تاء، يتفق مع قوانين السهــولة والتيسير العضلى فى النطق من جهة، وطردا للبــاب على وتيرة واحدة فى صيغــة: افتعل، من جهة أخرى، حيث تقلب الياء والواو فى الأفعال واوية الفاء ويائية الفاء تاء، ثم تدغم فى تاء افتعل، مثل: اتصل، اتعد، من: وصل ومن: وعد، واتسر من: يسر.

٥- فى تركيب: أو مخرجى هم:

وردت هذه العــبارة فى حــديث برواية عائشــة رضي الله عنها: قال له ورقــة: هذا الناموس، الذى أنزل الله على موسى، يا ليتنى فيها جذعا، ليتنى أكون حيا، إذ يخرجك قومك، فقال رســول الله ﷺ أو مخرجى هم؟ قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عــودى، وإن يدركنى يومك أنصرك نصرا مؤزرا[١]، أو مخرجونى هم، أى بعد إسقاط النون للإضافة، فاجتمعت واو ساكنة وياء، فأبدلت وأدغمت فى الياء، وأبدلت الضمة التى كانت قبل الواو كسرة تكميلا للتخفيف وقال القــاضى أبو محمد بن حوط الله، ويجوز تثنيته وجمــعه، وجــعل من ذلك: «أو مــخرجى هم» ويحــتمل أن يكون لغــة بنى الحارث[٢].

ونحن نرى أن بناء عــبــارة: أو مــخــرجى هم؟ جــاءت عــلى هذا البناء الصرفى لعلة صوتيــة أخرى، غير ما ذكره العلمــاء العرب من قولهم: لمنع

(١) صحيح البخارى ١/ ٣.

(٢) صحيح البخارى ١/ ٤ وارتشاف الضرب ١٠٨٢.

التقاء الساكنين، واو الجماعة وياء المتكلم، بعد حذف النون للإضافة، فليست واو الجمع صوتا ساكنا وإنما هو حركة طويلة خالصة، وإنما حذفت الواو، بسبب التخلص من حدوث المقطع الصوتى المديد «ص ح ح ص» الذي لا يرد فى اللغة العربية الفصحى إلا فى أحوال خاصة، وهذه الأحوال هى:

١- أن يكون الصامت الأخير من المقطع ص ح ح ص، هو نفسه بداية للمقطع التالى له:

مثل: وللضالّين، فالمقطع: ضال: ص ح ح ص، الصامت الأخير فيه، هو نفسه بداية للمقطع التالى، لين ص ح ح ص.

(٢) عند الوقف: مثل كلمة: دابّه، التى تتكون من مقطعين هما:

ص ح ح ص + ص ح ص[١].

٦- التخفيف فى الفعل: ودع:

يقول أبو حيان: وقرأ أبو بحرية: ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ ﴾ (الضحى: ٣) ما وَدَعَك، بالتخفيف[٢].

وفى الحديث: «ذروا الحبشة ما وَذَرتكم» ومنه «لينتهين أقوام عن ودَعهم الجمعة»[٣].

والتخفيف هنا ناتج عن سبب صوتى، يتمثل فى انتقال موضع النبر من المقطع قبل الأخير فى كلمة: وَدّع، إلى المقطع الأول فى وَدَع، حيث يتغير

---

(١) انظر تفصيلات ذلك فى فصول فى فقه العربية ١٩٣ وما بعدها.

(٢) إرتشاف الضرب ٤/ ٢٠٤٠.

(٣) سنن النسائى ٣/ ٨٨.

التنظيم المقطعى من: ص ح ص + ص ح١ + ص ح إلى التنظيم: ص ح١ + ص ح + ص ح.

وتأتى أحاديث الرسول ﷺ فى هذا المستوى الصوتى متفقة مع المبدأ الأسلوبى الذى يرى أن الأسلوب عبارة عن خواص متضمنة فى السمات اللغوية، تتنوع بتنوع البيئة والسياق[١] وأن السمات اللغوية التى وردت فيها تتضمن قيمة أسلوبية فى حد ذاتها فالأحاديث التى كانت موجهة بالخطاب إلى القبائل اليمنية، جاءت منسجمة مع الصفات والخصائص الصوتية لهذه القبائل، من قلب لام أل التعريف ميما، أو قلب عين الفعل أعطى، نونا فى الخطاب الموجه إلى قبائل سعد بن بكر وهذيل والأزد والأنصار، وكقلب تاء المجموع بالألف والتاء هاء عند الوقف، وغيرها من النماذج التى أسلفناها.

تتفق هذه الأحاديث النبوية الشريفة - أيضًا - مع المفهوم الذى يرى بأن الأسلوب اختيار أو انتقاء، يقوم به المنشئ بسمات معينة، بغرض التعبير عن موقف معين[٢] وأن الرسول ﷺ قد آثر هذا الاختيار والانتقاء اللهجى دون سواه، ليخاطب به أمما وقبائل مختلفة على قدر فهمها وإدراكها، ولم يشأ أن يختار الأسلوب العربى الفصيح، لتصل رسالته إلى سامعيها ومتلقيها بالفهم والقبول، وأنه كان ينبغى على العلماء العرب الأوائل، أن يفسحوا المجال لمثل هذه الاختيارات النبوية الشريفة وأن يصنعوا لها من القواعد ما يتلاءم ويتناسب مع قواعدهم.

(١) انظر: الأسلوب، دراسة لغوية ٤٣.

(٢) انظر: الأسلوب، دراسة لغوية ٤٣.

ثانيا: المستوى الصرفي

ينبغي في هذا الصدد أن نفرق بين صيغة البنية الصرفية ووظيفتها.

البنية الصرفية:

وهي عبارة عن الشكل أو القالب أو البناء، الذي تظهر فيه الكلمة داخل التركيب، وقد تعددت صيغ الكلمة في الحديث النبوي الشريف، فجاءت في قالب الاسم والفعل والوصف والظرف والأداة والحرف.

الوظيفة الصرفية:

وهي المحصلة من استخدام الكلمة في جمل، سواء على المستوى التحليلي أم على المستوى التركيبي[١]، وقد وردت صيغ الكلمة الصرفية، من حيث البناء القالبي، في الحديث النبوي الشريف على صور ثلاث:

الكلمة البسيطة:

وهي التي تمثل الأصل في تكوين مباني الكلمات على شتى أنواعها فهي اللفظ الذي يدل على معنى مفرد، لا علاقة فيه بين جزئه، وجزء لفظه[٢] فإذا كانت الكلمة البسيطة اسما، فإن الأصل فيه أن يكون مفردا مذكرا نكرة عربي الوضع، غير وصف، ولا مزيد ولا معدل، ولا خارج عن أوزان الآحاد، ولا مواطىء للفعل في وزنه الغالب عليه، ولا المختص به، وأن يكون معربا صحيح الأصول، دالا على ما وضع له[٣].

(١) أقسام الكلام العربي ٢٠٣.

(٢) المدخل إلى دراسة النحو العربي ٣٥٧.

(٣) الأصول رقم الجزء ١٣٥.

ومن صيغ القالب الاسمى الذى ورد فى الحديث النبوى الشريف ما يلى[١].

١- الاسم الذى تسمى به طائفة من المسميات، كالأعلام والأجسام والأعراض، ومن ذلك قوله: ﷺ : «اللهم اجعلها عليهم سنين كسنى يوسف» وقوله ﷺ «أرسلوا إلى أصدقاء خديجة».

وغيرها من الأحاديث.

٢- اسم الحدث: الذى يدل على المصدرية، ويطلق عليه اسم المعنى، ومن ذلك قوله ﷺ : «الظلم ظلمات يوم القيامة».

٣- اسم الجنس: الذى يحتوى جنس مسماه، ومن ذلك قوله ﷺ : «إن لله أهلين من الناس».

٤- أسماء المشتقات: وصورها العديدة، ويطلق عليها الميميات، ومن ذلك قوله ﷺ : «اتقوا الملاعن واعدوا النبل».

٥- الأسماء المبهمة: التى لا تدل على معين، وهى التى تدل على الجهات والأوقات والموازين والمكاييل والمقاييس والأعداد، وهذا النوع الأخير يحتاج عند إرادة تعيين المقصود به إلى وصف أو إضافة أو تمييز ومن ذلك قوله ﷺ : «الإيمان بضع وسبعون شعبة» وقوله: «ثم أتبعه بست من شوال».

أما إذا كانت فعلا: فأصله أن يكون ثلاثيا معربا مجردا صحيحا مبنيا متصرفا عربى الوضع، موضوعا للمعلوم، مسندا إلى مفرد غائب، دالا على

(١) انظر: اللغة العربية معناها ومبناها ٩٠.

الحدث باشتقاقه، وعلى الزمن بصيغته، وقد وردت صورة الفعل بجميع قوالبه في الحديث النبوي الشريف.

أما إذا كانت وصفا: فالأصل في الوصف أن يكون مفردًا مذكرًا معربًا مشتقًا عربي الوضع، دالاً على موصوف بالحدث، موافقًا لإحدى صيغ الأوصاف[(١)].

ومن قوالب الوصف في الحديث النبوي الشريف ما يلي:

(أ) صفة الفاعل: وقد وردت في الحديث النبوي، في قوله ﷺ: «يا رب كاسية في الدنيا عارية يوم القيامة»، وقوله: «آمن من أمن الله».

(ب) صفة المفعول: ومنها قوله ﷺ: «كل أمتي معافى إلا المجاهرون».

(جـ) صفة المبالغة: ومنها قوله ﷺ: «سوداء ولود خير من حسناء عقيم»، وقوله: «إن الله يبغض البخيل في حياته والسخي بعد موته.

(د) الصفة المشبهة: ومنها قوله ﷺ: «مسكين رجل لا زوج له».

(هـ) صفة التفضيل: ومنها قوله ﷺ: «لخُلُوف فم الصائم أحبُّ من ريح المسك».

٣- الكلمة المركبة:

وهي اللفظ الذي يدل على معنى غير مفرد وغير تام[(٢)]، والكلمات المركبة تنحصر دائما في عدد محدد من الحروف والأسماء.

والكلمة المركبة من الحرف يختلف معناها عن معنى مفرداتها التي

---

(١) انظر: الأصول رقم الجزء ١٣٥.

(٢) أسس علم اللغة ١٥٦.

تركيب منها، وأمثلتها فى الحديث النبوى لا تقع تحت حصر، حيث تمثلها الأدوات المركبة والحروف والظروف والأسماء وغيرها.

الكلمة التركيبية:

وهى التى تتكون عن طريق وضع جذرين (مورفيمين حرين) جنبا إلى جنب، ويجب أن يكون الجذران الحران المتجاوران متصلين اتصالا وثيقا، بحيث يمتنع الفصل بينهما، عن طريق إدخال أى شكل أو أصل لغوى آخر[1].

أما أصول الكلمات التركيبية، فهو صورتها المجردة، غير المنطوقة، التى تتحقق بالأمثلة عند النطق[2] وقد وردت أمثلة عديدة لها فى الحديث النبوى، ويعد النحت أحد الوسائل التى تتكون عن طريقها الكلمات المركبة أو التركيبية، حيث يتم ذلك بأن تعمد إلى كلمتين أو جملة، فتنزع من مجموع كلماتها، كلمة فذة، تدل على ما كانت عليه الجملة نفسها[3].

---

(١) أسس علم اللغة ١٥٦.

(٢) الأصول ١٤٥.

(٣) الاشتقاق والتعريب ١٣ والمزهر ١/ ٤٨٣ - ٤٨٨ انظر تفصيلات حول النحت فى: دور الكلمة فى اللغة ١٤٣، وكذا: المقاييس لابن فارس حيث يرجع الصيغ الرباعية والخماسية فى الأبنية العربية إلى النحت.

نماذج تحليلية للصيغ الصرفية في الحديث النبوي الشريف

١- من الألفاظ الملحقة بجمع المذكر السالم:

من الألفاظ الملحقة بجمع المذكر السالم كلمة: أهلون، جمع أهل، وليست الكلمة علما ولا صفة، وهي اسم جنس جامد، وقد وردت في حديث رسول الله ﷺ في قوله: «إن لله أهلين من الناس»[(١)].

وفي ذلك يقول الشاعر: (الطويل)[(٢)]:

وما المال والأهلون إلا ودائع
ولابد يوما أن ترد الودائع

وكذلك كلمة: سنون، جمع سنة، وقد وردت في بعض روايات الحديث في قوله ﷺ: «اللهم اجعلهم عليهم سنينًا كسنين يوسف»[(٣)].

٢- التضمين:

وردت أحاديث نبوية شريفة تضمنت فيه حروف الجر معاني وظيفة أخرى، غير معناها، الذي تدل عليه في أصل الاستعمال اللغوي، ومن ذلك:

١- تضمين الباء معنى: بدل[(٤)]:

ومن أمثلة تضمين الباء معنى البدلية، قول رسول الله ﷺ: «ما يسرني

(١) سنن ابن ماجه ١/ ٧٨ وسنن الدارمي ٢/ ٤٣٣، والمقاصد الحسنة ١٢٧.

(٢) انظر: شرح ابن الناظم ١٦ وشرح الأشموني ١/ ٨٦ وشرح المرادي ١/ ٩٧.

(٣) صحيح البخاري ٧/ ١٦٥ وورد الحديث «سنين كسني يوسف» وسنن ابن ماجه ١/ ٣٩٤.

(٤) انظر شرح الأشموني ٢/ ٢٢٠ وشرح ابن عقيل ٣/ ١٩ وقد حفل كتاب الخصائص لابن جني بتدعيم هذه الفكرة وتأسيسها وقد ذكر لها كل من سيبويه والكسائي وأبي علي الفارسي أمثلة، غير أن ابن جني هو الذي ثبت أركانها وذكر لها أمثلة عديدة من ذلك قوله تعالى: =

بها حمر النعم» ومن شواهد هذا التضمين قول الشاعر قريط بن أنيف[١]: (البسيط):

فليت لي بهم قومًا إذا ركبوا
شنوا الإغارة فرسانًا وركبانا

(ب) تضمين «في» معنى: التعليل[٢]:

ومن ذلك قول رسول الله ﷺ: «دخلت امرأة النار في هرة حبستها فلا هي أطعمتها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض»[٣].

يقول ابن مالك، تضمن هذا الحديث استعمال في دالة على التعليل، وهو ما خفي على أكثر النحويين، مع وروده في القرآن العزيز، والحديث النبوي والشعر القديم، فمن الوارد في القرآن العظيم، قوله تعالى: ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (الأنفال: ٦٨).

ومن الوارد في الشعر العربي القديم، قول جميل: (الطويل)[٤]:

فليت رجالا فيك قد نذروا دمي
وهموا بقتلي يا بثين لقوني

= ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ﴾ (البقرة: ١٨٧) يقول ابن جني: الرفث يتعدى بالباء غير أنه ضمن في الآية معنى الإفضاء وذلك يتعدى بإلى كما يتعدى بها في الإفضاء، انظر: الخصائص ٢/ ٣٠٨ وما بعدها.

(١) انظر: شرح شواهد المغني للسيوطي ١/ ٣١٦، ٦٩٠ والخزانة ٦/ ٢٥٣ والمغني ١/ ٤-١ وجواهر الأدب ٤٠ والدرر اللوامع ١/ ١٦٧، ٢/ ١٤ وبلا نسبة في شرح التسهيل لابن مالك ٣/ ١٥١ وشرح الشافية ٢/ ٨٠١ وشرح ابن عقيل ١/ ٥٧٧ وشرح الأشموني ٢/ ٢٢٠.

(٢) انظر شواهد التوضيح ٦٧ وشرح ابن عقيل ٢/ ٢١ وشرح الأشموني ٢/ ٢١٨ ومغني اللبيب رقم الجزء ٢٢٤ وارتشاف الضرب/ ١٧٢٦.

(٣) صحيح البخاري ٢/ ٧٧ وصحيح مسلم ٧/ ٤٣ وسنن ابن ماجه ٢/ ١٤٢١.

(٤) ديوانه ٤٢ وشواهد التوضيح ٦٧ وشرح ابن عقيل ٣/ ٢١ وشرح الأشموني ٢/ ٢١٨ ومغني اللبيب رقم الجزء ٢٢٤.

وقول أبي ذؤيب: (الطويل)[١]:

لوى رأســـــه عنــي ومـــــــال بوده
أغـــانيـــه خـــود كـــان قنيـــا يزورها

(جـ) تضمين عن معنى: البدل[٢]:

وقد ورد في ذلك قـول رسول الله ﷺ: «فصومي عن أمك»[٣] ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا ﴾ (البقرة: ٤٨).

(د) تضمين حرف الجر الشبيه بالزائد «رب» معنى: التكثير[٤]:

ومن ذلك ما ورد في حديث رسول الله ﷺ في قـوله: «يا رب كاسية في الدنيا عارية يوم القيامة».

ومن ذلك قول بعض العرب، بعد انقضاء شـهر رمضان: «يا رب صائمه لن يصومه، وقائمه لن يقومه».

٤- كلمة أصدقاء جمع: صديق للمذكر وصديقة للمؤنث:

ومن أمثلة جمعها للمؤنث قوله ﷺ: «أرسلوا إلى أصدقاء خديجة»[٥] ويقول أبو حيـان: جمع صديقة، ويجوز أن يكون جمـعا لصديق، إذ يطلق على المذكر والمؤنث، تقول: هي صديقي[٦].

٥- من أبنية الأسماء والأفعال: فيعل:

وقد ورد مثال ذلك في الحديث النبوي الشريف «أقدم حيزم»[٧].

(١) ديوان الهذليين ١/ ٥٥ واللسان ٢/ ٣٣٧.
(٢) انظر: شرح الأشموني ٢/ ٢٢٤، مغني اللبيب ١٩٦.
(٣) صحيح مسلم ٣/ ١٥٦ وسنن الترمذي ٢/ ٨٩.
(٤) انظر شرح الأشموني ٢/ ٢٢٩ وأوضح المسالك ١٢/ ١٤٥ وشواهد التوضيح ١٠٤ وإعراب الحديث النبوي ٢٠٣ وأمالي السهيلي ٤٨ ومغني اللبيب ١٨٠/ ٤٨.
(٥) كنز العمال ٧/ ١٣٠ رقم ١٨٣٣٩.
(٦) ارتشاف الضرب ١/ ٤٤٥.
(٧) انظر: أبنية الأسماء والأفعال ١٦٨ والروض الأنف ٣/ ٤١.

٦- بناء: مفعله من الاسم الثلاثي اللفظ أو الأصل[١]:

ومن ذلك ما ورد في حديث رسول الله ﷺ: «الولد مبخلة مجبنة»[٢].

٧- مجيء لفظة: ست بدون التاء مع المعدود المذكر:

يقول أبو حيان: وتضاف في النقل (أي التاء) في الحديث: «ثم أتبعه بست من شوال»[٣] بحذف التاء يريد: ستة[٤].

٨- دلالة لفظه جمعا. على معنى: مجتمعه[٥]:

ومن ذلك ما ورد في حديث رسول الله ﷺ «كما تنائج الإبل من بهيمة جمعاء»[٦] أي: مجتمعه الخلق.

---

(١) ارتشاف الضرب ١/ ٥٠٥.

(٢) سنن ابن ماجه ٢/ ١٢٠٩.

(٣) صحيح مسلم ٨/ ٥٦ ورياض الصالحين ٤٣٧ وسنن ابن ماجه ٥٤٧ والحديث بتمامه: «من صام رمضان ثم أتبعه ستا من شوال كان كصيام الدهر».

(٤) ارتشاف الضرف ٢/ ٧٥٠ وورود لفظة ست، بدون التاء هنا، ليست مع المعدود المذكر كما ذكر أبو حيان وإنما المعدود هنا مؤنث، وهو لفظة: ليالي مفرد ليلة وكلمة: ست، كانت في الأصل: سدس، بدليل الترتيب العددي: السادس، والكسر سدس، وقد مرت الكلمة بالتطورات الآتية: تأثرت الدال المجهورة بالسين المهموسة، فقلبت إلى النظير المهموس: وهو التاء فصارت الكلمة: ستس، أثرت التاء في السين فقلبت تاء فصارت الكلمة: ست وقد حدث ذلك في اللغة الآرامية، ولم يبق الأصل القديم إلا في الحبشية، في صيغة العدد المؤنث دون المذكر، وكذلك الحال في اللغتين الأكادية والعبرية، انظر: التطور اللغوى مظاهره وعلله وقوانينه ٥٠ وكذا انظر: الفاضل للمبرد ١٩ والجمل في النحو للزجاجي رقم الجزء ٤١٧.

(٥) ارتشاف الضرب ٤/ ١٩٥٢.

(٦) صحيح البخاري ٦/ ١٤٣.

٩- التشاكل في صيغة: فعلن، في موقع فعلوا:

وقد ورد في ذلك الحديث الشريف في قوله ﷺ «ورب الشياطين ومن أضللن»[١] أي: ضلوا، أو أضلت، فلا تتعين فيه الواو كما قال.

وقال ابن عقيل في شرحه للتسهيل: وقد يقع فعلن موقع فعلوا، طلبا للتشاكل، كما روى في بعض الأدعية: «اللهم رب السموات وما أظللن، ورب الأرضين وما أقللن، ورب الشياطين ومن اضللن، أي: ومن أضلت، فقال: أضللن، مشاكلة لأضللن وأقللن[٢].

١٠- دام التامة بمعنى: سكن:

ومنه قول رسول الله ﷺ «لا يبولن أحدكم في الماء الراكد الدائم[٣].

١١- إثبات ميم كلمة: فم عند الإضافة:

ومن ذلك ما ورد في حديث الله ﷺ «لخُلُوفٌ فم الصائم أطيب من ريح المسك[٤].

وقد تثبت الميم عند الإضافة خلافا لأبي علي الفارسي، الذي قال:

لا تثبت الميم في الفم عند الإضافة إلا في ضرورة الشعر[٥].

---

(١) ارتشاف الضرب ٢/ ٩١٦ والتسهيل ٢٤ وشفاء العليل ١/ ١٨٢ وشرح التسهيل ١/ ١٣٠ والحديث في مجمع الزوائد ١٠/ ١٢٦.

(٢) انظر المساعد ١/ ٩٠.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ٢/ ١٨٧ ونيل الأوطار ١/ ٣١ وسنن ابن ماجه ١/ ١٢٤ وكذا ارتشاف الضرب ٣/ ١١٥٨.

(٤) صحيح البخاري ٢/ ٢٦٦ وصحيح مسلم ٣/ ١٥٨ ومسند أحمد ٦/ ٢٤٠.

(٥) انظر: شرح الأشموني ١/ ٧٣ والتصريح ١/ ٦٤.

يقول الراجز(١)

* صبح ظمآن وفى البحر فمه *

وتعد الميم فى كلمة. فم، من بقايا التميم فى اللغة العربية، تلك الظاهرة الشائعة فى اللغة الأكادية (فى الدلالة على التفخيم والتعظيم) وكذلك فى العربية الجنوبية، فى مقابل التنوين، فى اللغة العربية الفصحى(٢) ولا يقتصر التميم على كلمة: فم وحدها ولكنه موجود فى كلمة: ابنم فى مثل قول المتملس: الطويل(٣):

وهل لى أم غيرها إن هجوتها

أبى الله إلا أن أكون لها ابنما

حيث تجد الإعراب فى كلمة: ابنما موجودا فى الحرفين النون والميم(٤)، وقد جاءت الأحاديث النبوية الشريفة: التى وردت فى كتب النحو العربى للاستشهاد بها على صحة الأبنية والقوالب العربية، متفقة مع القواعد والأسس البنائية التى اشترطها النحاة العرب.

وتتفق هذه النماذج ـ أيضًا ـ مع ما ارتضيناه من معايير المناهج الأسلوبية للتطبيق على لغة الحديث النبوى الشريف فالنماذج السابقة تتفق مع الاتجاه الأسلوبى القائل بأن الأسلوب إضافة إلى تعبير محايد، وهو اتجاه منبثق من

---

(١) البيت لرؤبة فى النهاية لابن الخباز ٢/ ٢٩٤ والخزانة ٤/ ٤٥١، ٤٦٠ والدرر اللوامع ١/ ١٤ وبلا نسبة فى الهمع ١/ ٤٠ والتصريح ١/ ٦٤ وتسهيل الفوائد ٩ وشفاء العليل ١/ ١٢٣ وشرح الكافية للرضى ٢/ ٢٦٩ وشرح التسهيل لابن مالك ١/ ٤.

(٢) انظر: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث ٢٤٦ – ٢٤٧.

(٣) ديوان المتلمس ق١/ ١٠ ص ٣٠.

(٤) انظر الخصائص ١/ ١٨٣ وديوان المتلمس ٣٠ – ٣١.

المفهوم الأسلوبي الذي يرى بأن الأسلوب يتركز على الموضوعية، بعزل كل من المنشئ والمتلقي، كما وردت الأمثلة من الأول إلى الثالث.

والرسول ﷺ وهو أفصح من نطق بالضاد، تعد إضافاته اللغوية إثراء للغة ومفرداتها، وتوظيفا جديدا للأبنية العربية، في ضوء ما تسمح به قواعدها وقوانينها.

كما تتفق بعض هذه النماذج مع المفهوم الأسلوبي الذي يرى بأن الأسلوب اختيار المنشئ كالأمثلة من الرابع إلى الثامن.

ولسنا هنا في حاجة إلى إثبات صفاء قريحة الرسول ﷺ ونقائها، فهي قريحة مصنوعة بعناية الخالق العظيم.

ومن ثم: فالنماذج السالفة تطرد قواعدها والقوانين التي تحكم هذه اللغة العربية الفصيحة.

ثالثا: المستوى التركيبي

تنوعت مفاهيم الجملة وحدودها، عند العلماء قديما وحديثًا سواء عند العلماء العرب أم عند العلماء الغربيين.

ثمة اتجاهان لتعريف الجملة عند العلماء العرب القدامى وهما:

الأول: ويمثله ابن جني والزمخشري والجملة عند هؤلاء تأتي مرادفة لمفهوم الكلام، يقول ابن جني: «أما الكلام، فكل لفظ مستقل بنفسه، مفيد معناه وهو الذي يسميه النحويون الجمل... فكل لفظ استقل بنفسه وجنيت منه ثمرة معناه فهو كلام[(١)].

أما الزمخشري: فبعد فراغه من ذكر حد الكلام، فهو يقول ويسمى جملة[(٢)].

الثاني: ويمثله كل من الرضي وابن هشام.

يقول الرضي: والفرق بين الجملة والكلام، أن الجملة: ما تضمن الإسناد الأصلي سواء كانت مقصودة لذاتها أو لا، كالجملة التي هي خبر المبتدأ، وسائر ما ذكر من الجمل، فيخرج المصدر واسما الفاعل والمفعول والصفة المشبهة والظروف وما أسندت إليه، والكلام: ما تضمن الإسناد الأصلي، وكان مقصودا لذاته فكل كلام جملة ولا ينعكس[(٣)].

ويقول ابن هشام: الكلام: هو القول المفيد بالقصد والمراد بالمفيد هو ما دل على معنى يحسن السكوت عليه.

---

(١) الخصائص ١/ ٧.

(٢) مغني اللبيب ٢/ ٤٢.

(٣) الكافية ١/ ٨.

والجملة: عبارة عن الفعل وفاعله، بهذا يظهر لك أنهما ليسا بمترادفين[١] ويعرفها من علمائنا المعاصرين الدكتور/ إبراهيم أنيس بقوله: «بأن الجملة في أقصر صورها هي أقل قدر من الكلام يفيد السامع معنى مستقلا بنفسه سواء تركب هذا القدر من كلمة واحدة أو أكثر كل الذى يجب أن يشترط فى الكلام لئلا يكون لغوا، هو حصول الفائدة وتمامها[٢].

كما يعرفها الدكتور/ تمام حسان بقوله: «بأن النمط التركيبي يقصد به بناء الجملة من ركنيها، وما عسى أن يكون ضروريا لعنصر الإفادة منها.

والجملة العربية، تتكون من ركنين اثنين هما المسند إليه والمسند، وقد يدخل فى تكوينها الحرف ليربط بين أحد الركنين، ما قد يرتبط به من تكملة، وثمة جمل عربية، لا يتضح تركيبها من ركنين إلا على تأويلات بعيدة كجملة القسم، وبعض صور الدعاء، وبعض أسماء الأفعال والأصوات، والجملة العربية لا يتضح من تركيبها إلا أنها اسمية أو فعلية، أما ما وراء ذلك فهو معلق بالقرائن المختلفة التى تتراوح بين الأداة والإعراب والربط والرتبة والتضام والسياق[٣].

(١) مغنى اللبيب ٢/ ٤٢.

(٢) من أسرار اللغة ٢٦٠ - ٢٦١، وهو لا يفرق بين مفهوم الكلام ومفهوم الجملة، إذ المهم عنده هو إفادة المعنى.

(٣) انظر البيان فى روائع القرآن ٥٦ وما بعدها حيث وردت أنماط عديدة للجملة من حيث قبولها للأداة من جهة وما تقوم بها قرينة الإعراب والرتبة والتضام والسياق من جهة أخرى، وانظر: مفاتيح الألسنة ١٠١ وما بعدها وأسس علم اللغة ١١٢ وأضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ١٨٨ - ٢٩٧ ومظاهر النظرية النحوية ١١ - ٣٩ وغيرها حيث وردت تعريفات عديدة للجملة عند العلماء الغربيين فى الاتجاه التقليدى والاتجاه الوصفى البنيوى والاتجاه التوليدى التحويلى.

مستويات الجمل فى الحديث النبوى الشريف وأنواعها

يمكننا تقسيم مستويات الجمل فى الحديث النبوى الشريف وفقًا للدراسات اللغوية والأسلوبية الحديثة إلى ما يلى:

١- الجمل الكبرى

٢- الجمل الصغرى

أولا: الجمل الكبرى: وتنقسم إلى ثلاثة أنواع وهى:

١- الجملة البسيطة: وهى التى تتألف من تركيب مستقل واحد، وهى المكونة من المسند إليه والمسند، ويعرفها (برجشتراسر) بأنها الجملة الاسمية والفعلية.. والمسند إليه يقدم فى الجملة الاسمية ويؤخر فى الفعلية[1]، ويعرفها ابن هشام: بأنها الجملة الصغرى وهى المبنية على المبتدأ كالجملة المخبر عنها[2].

وقد وردت أمثلة عديدة لها فى الأحاديث النبوية الشريفة كقوله ﷺ «الصلاة عماد الدين..» وغيرها من الأحاديث، التى لا تقع تحت حصر.

٢- الجملة المركبة: وهى الجملة التى تتألف من تركيبين مستقلين على الأقل، تربط بينهما أداة ربط، وقد يكتفى بالربط السياقى، وذلك عندما لا تكون هناك حاجة لظهور أداة الربط[3].

ويعرفها ليونز بأنها الجملة التى تحتوى على جملتين إحداهما تابعة للأخرى وهى تتولد بطرق العطف التى تتخذ من سلسلتين عميقتين مدخلاً لها وتربط بينهما[4].

---

(١) التطور النحوى ١٣٢. (٢) مغنى اللبيب ٢/ ٤٨.

(3) Qurik: Agrammar of comtemarary English 0 p 561.

(٤) نظرية تشومسكى اللغوية ١٥٣.

ويطلق عليهـا ابن هشام مصطلح الجملة الكـبرى، ويقسمهـا من حيث الشكل إلى قسمـين اثنين، فيقول: «انقسام الجـملة الكبرى إلى ذات وجه، وإلى ذات وجهين، ذات الوجهين: هي اسميـة الصدر، فعلية العجز، نحو: زيد يقوم أبوه، كـذا قالوا: ينبغي أن يراد عكس ذلـك في نحو: ظننت زيداً أبوه قائم، بناء عـلى ما قدمنا، وذات الوجـه، نحو، زيد أبوه قـائم، ومثله على ما قدمنا: ظننت زيدا يقوم أبوه[1].

وقد وردت أمـثلة عديدة لهـذا النمط من الجملة، في الأحـاديث النبوية الشريفـة ومن ذلك قوله ﷺ «إنما الأعمـال بالنيات وإنما لكل امـرىء ما نوى» وكقوله: «... اتـق الله ثم استقم» وكقوله: «تجـوع الحرة ولا تأكل بثدييها» وغيرها من الأحاديث العديدة التي لا تقع تحت الحصر.

١- الجملة التركيبية: وهي الجملة التي تتكون من تركيب مستقل واحد، وتركيب غير مسـتقل واحد أو أكثر[2]، ومن أمثلة التركيب غـير المستقل في اللغـة العربيـة، تركـيب الصلة وتركيب الحـال وتركـيب الشرط وتركـيب التعليل... إلخ، ويعرفها (جون ليونز بأنها) الجملة التي تتركب من جملتين من الجمل الصغرى، عن طريق الاندماج، حيث تتخذ من سلسلتين عميقتين مدخلا لها، وتربط بينهما[3]، وقد وردت أمثلة عديدة لهذا النمط من الجملة في الأحاديث النبوية الشريفة نذكر منها قوله ﷺ: «من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليـه بالصوم..» وغيرها من الأحاديث العديدة، التي لا تقع تحت حصر.

(١) مغني اللبيب ٢/ ٤٦.

(2) Gerson: Aglossary of grammatical language p 16.

(3) Lyons. An Introduction theoretical linguistics. p. 223.

ثانياً: الجملة الصغرى:

وهي الجملة التى فقدت أحد مكونى الجملة الكبرى أو الجملة التامة[1].

وتأتي على صورتين:

١- الجملة الصغرى التكميلية: ويأتي بناؤها تكميليا، حيث إن أصل تكوينها قبل أن تفقد معه أحد مكوناته، كان جملة كبرى بصورها الثلاث: البسيطة والمركبة والتركيبية، ومن ثم تأتي المكونات البنائية لها على النحو الآتي:

(أ) الجملة الصغرى التكميلية للجملة البسيطة: وتكون كذلك إذ فقدت ركن المسند إليه، الذى يمثل العبارة الاسمية، وتصبح مؤلفة من ركن واحد، وهو ركن المسند فقط.

ومن أمثلتها في الحديث النبوى الشريف قوله ﷺ: «من أحق الناس بحسن صحابتي، قال: أمك...» حيث حذف ركن المسند إليه وهو: أحق الناس بحسن الصحابة...».

(ب) الجملة الصغرى التكميلية لجملة مركبة: وذلك إذا فقدت الجملة المركبة الطرف الأول، وتصبح الجملة مؤلفة من طرف واحد، وهو الطرف الثاني المسبوق بأداة العطف، ومن ذلك قوله ﷺ «.. وعلى جمع الحطب».

(جـ) الجملة الصغرى التكميلية لجملة تركيبية: وذلك إذا فقدت الجملة التركيبية أحد طرفيها، بحيث يلتقى الطرف المسبوق بأداة الربط الاتباعية فى

(1) Dictionary of language. p. 83.

الجملة، ومن ذلك قـوله ﷺ: «اتقل خيرا أو لتصـمت» بحذف الطرف الأول، إذا أردت القول!! وغيرها من الأحاديث النبوية العديدة.

الجملة الصغرى غـير التكميلية: وذلك عندمـا لا تكون طرفا بنائيـا فى مكونات جمـلة كبرى، وإنمـا تعد ركنا زائدا، ومن أمـثلتها: جـملة النداء، وجملة الدعاء وغيرها، ومن أمثلة ذلك قوله ﷺ «يا أعور عينك والحجر» قوله ﷺ: «فبها ونعمت» وغيرها من الأحاديث النبوية العديدة.

نماذج تحليلية لمستوى التركيب فى الأحاديث النبوية الشريفة:

١- فى اجتماع الضميرين مع الفعل، من باب كان هل الأولى اتصالهما أو انفصالهمـا، يقول ابن مالك: إن كان الفعل من باب كان واتـصل بضمير رفع، جاز فى الضمير الذى يليه الاتصـال، نحو: صديقى كنته، والانفصال نحو: صـديقى كنت إياه، والاتصال عندى أجـود، لأنه الأصل، وقد أمكن لشبه: كنتـه، بفعلته، فمقـتضى هذا الشبه، أن يمتنع: كنت إياه كـما يمتنع: فعلت إياه، فإذا لم يمتنع فلا أقل أن يكون مرجـوحًا، وجعله أكثر النحويين راجحًا، وخالفوا القياس والسماع[(١)].

٢- أما مخالـفة السماع، فمن قبـيل أن الاتصال ثابت فى أفصح الكلام المنثور، كـقول النبى ﷺ لعمر ﷺ: «إن يكنه فـلا تسلط عليه، وإن لم يكنه، فلا خير لك فى قتله»[(٢)].

---

(١) شواهد التوضيح ٢٧، ٣٠ وشرح ابن الناظم ٢٤ وشرح الأشمونى ١/ ١٨١ وأوضح المسالك ١/ ٧٣ وشرح شذور الذهب ١٨٨.

(٢) صحيح البخارى ٢/ ٩٦ وصحيح مسلم ٨/ ١٩٢ وفتح البارى ٣/ ٢١٨.

وورد ذلك في قول أبي الأسود الدؤلي: (الطويل)(١):

فـإن لا يكنها أو تكنه فـإنه

أخـوها غـذته أمه بلبـانهـا

٢- تعلق الفعل بضميرين:

يذكر ابن مـالك: أنه إذا تعلق بالفعل ضميـران، فإذا اختلف الضـميران بالرتبة وقدم أقربـهما، جاز اتصال الثاني وانفصـاله، وذلك نحو: أعطيتكه، وأعطيتك أياه، والاتصال أجود لمـوافقة الأصل، ولأن القرآن الكريم نزل به دون الانفصال، كقوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيراً ﴾ (الأنفال: ٤٣) وقوله ـ عـز وجل ـ: ﴿ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴾ (هود: ٢٨) ويرى سيبويه الاتصال هنا واجبًا، والانفصال ممتنعًا(٢).

ومن أمثلة تـجويزه، وقول النبي ﷺ: «فـإن الله ملككم وإياهم، ولو شاء لملكهم إياكم»(٣).

٣- الجملة الواقعة خبراً:

وهي نفس المبتدأ في الـمعنى، لا تحتاج إلى رابط(٤)، ومن ذلك قوله ﷺ: «أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله»(٥).

(١) البيت منسـوب لأبي الأسود الدولي في الكتـاب ١/ ٤٦ والرد على النحاة، لابن مـضاء ١١٥ وشرح الكافية للرضي ٢/ ٤٤٣ والأصـول ١/ ٩١، ٢٩٠ والخزانة ٥/ ٢٣٧ والاقتضاب ٣/ ٢٥٢ وأدب الكاتب ٣١٥ ولا نسبة له في الإنصاف ٢/ ٨٢٣ وشواهد التوضيح لابن مالك ٢٨ والمقتضب ٣/ ٩٨.

(٢) انظر الكتاب ١/ ٣٨٤.

(٣) كتاب الكبائر، للذهبي ٢٢٣ وشرح ابن الناظم ٢٤.

(٤) انظر: شرح الأشموني ١/ ١٩٧ وشرح الكافية ٢/ ٣٥٠ وشرح قطر الندى ١٦٥.

(٥) الموطأ ١/ ٢١٥ وسنن الترمذي ٥/ ٢٣١.

ومثال ذلك في القرآن الكريم، قوله تعالى: ﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (يونس: ١٠) وقوله تعالى: ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ﴾.

٤- مسوغات الابتداء بالنكرة:

ذكر النحاة لمسوغات الابتداء بالنكرة أربعين موضعا، وترجع هذه المسوغات إلى كون النكرة مفيدة.

وقد وردت مجموعة من أحاديث الرسول ﷺ تمثل بعض هذه المسوغات، نذكر منها ما يلي:

(أ) حذف الموصوفات وبقاء الصفة:

ومثال ذلك قول رسول الله ﷺ «سوداء ولود خير من حسناء عقيم» أي[١]: امرأة سوداء.

(ب) النكرة المتعلق بها معمول، وهو المجرور[٢]:

ومثل ذلك: رغبة في الخير، ومثله - أيضًا - أن تكون النكرة عاملة عمل الفعل النصب في معمول، ومثل ذلك قول رسول الله ﷺ: «أمر بمعروف صدقة، ونهي عن منكر صدقة»[٣].

(جـ) النكرة المضافة إلى نكرة[٤]:

ومن ذلك قول رسول الله ﷺ: «خمس صلوات كتبهن الله على العباد»[٥].

(١) انظر: فيض القدير ٤/ ١١٥ وكشف الخفاء ١/ ١٥٧.

(٢) انظر: ارتشاف الضرب ٣/ ١١٠٠.

(٣) صحيح مسلم ٣/ ٨٢ ومسند أحمد ٥/ ١٦٧، ١٦٨، ١٨٧.

(٤) انظر: ارتشاف الضرب ٣/ ١١٠٠.

(٥) الموطأ ١/ ٢٣ وسنن ابن ماجه ١/ ٤٤٨ والجامع الصغير ١/ ٤٥ ونيل الأوطار ١/ ٢٩٤ وسنن أبي داود ١٤٤ وسنن النسائي ١/ ٢٢٧.

(د) كون الظرف والمجرور غير مختص:

ومن ذلك قوله ﷺ : «في أربعين شاة شاة»[١].

(هـ) تأخر المبتدأ النكرة على الخبر المقدم النكرة لوجود البيان:

ومن ذلك قوله ﷺ «مسكين مسكين رجل لا زوج له» رجل: مبتدأ مؤخر، عند ابن مالك لبيانه، ومسكين خبر».

٥- خبر المبتدأ بعد لولا:

يرى جمهور النحاة وجوب حذف الخبر بعد لولا، لأنه لا يكون بعدها إلا كونا مطلقًا، ولحنوا قول المعري: (الوافر).

يذب الرعب منه كل عضب

فلولا الغمد يمسكه لسالا

وذهب الكوفيون إلى أن الاسم المرفوع بعد لولا فاعل لفعل محذوف، وقيل هو مرفوع بلولا، وقد ورد الخبر مثبوتا بعد لولا في حديث عائشة رضي الله عنها، أنه ﷺ قال: «لولا قومك حديثو عهد بكفر، لأسست البيت على قواعد إبرهيم»[٢].

ويقول ابن مالك[٣]: «وتضمن هذا الحديث ثبوت خبر المبتدأ بعد لولا، وهو ما خفي على النحويين إلا الرماني والشجري، وقد يسرت لي

(١) سنن ابن ماجه ١/ ٥٧٧ ومسند أحمد ٣/ ٣٥.

(٢) صحيح البخاري ١/ ٤٠، حيث وردت الرواية: «يا عائشة، لولا قومك حديث عهدهم بكفر، لنقضت الكعبة، فجعلت لها بابين» وكذا ٢/ ١٥٦ برواية: «لولا حدثان قومك بالكفر» ورواية: «لولا أن قومك حديث عهدهم بالجاهلية».. وغيرها، وسنن الترمذي ٢/ ١٨١ وسنن النسائي ٥/ ٢١٤ ومسند أحمد ٦/ ١٠٢، ١٧٦، ١٨٠ وفتح الباري ١/ ٢٢٤.

(٣) شواهد التوضيح ٦٥.

من هذه المسألة زيادة على ما ذكراه، فأقول وبالله أستعين: إن الخبر المذكور بعد لولا على ثلاثة أضرب:

(أ) مخبر عنه بكون غير مقيد.

(ب) مخبر عنه بكون مقيد، لا يدرك معناه عند حذفه.

(جـ) ومخبر عنه بكون مقيد يدرك معناه عند حذفه.

الأول: نحو لولا زيد لزارنا عمرو، فمثل هذا يلزم حذف خبره.

الثاني: وهو المخبر عنه بكون مقيد، ولا يدرك معناه إلا بذكره، نحو، لولا زيد غائب لم أزرك، فخبر هذا النوع واجب الثبوت، لأن معناه يجهل عند حذفه ومنه الحديث: «لولا قومك حديثو عهد..» ومنه قول الشاعر: (البسيط)[١]:

لولا زهير جفاني كنت منتصراً
ولم أكن جانحًا للسلم إن جنحوا

ومثله: (البسيط)[٢]:

لولا ابن أوس نأى ما ضيم صاحبه
يومًا ولا نابه وهن ولا حذر

وأما ما ورد من حديث رسول الله ﷺ: «إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده[٣]»، ومنه قولهم: قضية ولا أبا حسن لها «والتقدير في الحديث الشريف بإفادة النفي العام والتقدير في العبارة، ولا مسمى بهذا الاسم لها[٤]».

(١) والبيت بلا نسبة في شواهد التوضيح ٦٦ وشرح الأشموني ٤/ ٥٠.

(٢) والبيت بلا نسبة في شواهد التوضيح ٦٦ وشرح الأشموني ١/ ٥٠ وأوضح المسالك ١/ ٥٦ والتصريح على التوضيح ١/ ١٧٩.

(٣) صحيح البخاري ٤/ ١٨٢ وصحيح مسلم ٨/ ١٨٦ وفتح الباري ٦/ ٦٢٥.

(٤) انظر: شرح ابن عقيل ٢/ ٥ وحاشية الخضري ١/ ١٤١.

٧- حذف خبر لا النافية للجنس:

الأغلب حذف خبر لا النافية للجنس إن علم في لغة الحجاز، وواجب الحذف في لغة تميم وطيء ومن ذلك قوله ﷺ: «لا ضرر ولا ضرار»[١] وقوله ﷺ: «لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر»[٢] ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ (الشعراء: ٥٠) وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ (سبأ: ٥١).

٨- الاستثناء بالأداة «بيد»:

يقول الصبان: بيد تخالف إلا في أربع.

١- أنها لا تقع صفة.

٢- ولا يستثنى بها إلا في الانقطاع.

٣- وتضاف إلى أن وصلتها فقط.

٤- ولا تنقطع عن الإضافة، ويقال فيها:

ميد بالميم[٣] ويقول ابن هشام: تأتي بيد بمعنى: من أجل[٤] ومن ذلك قول رسول الله ﷺ: «أنا أفصح من نطق بالضاد، بيد أني من قريش، واسترضعت في بني سعد»[٥].

---

(١) سنن ابن ماجه ٢/ ٧٨٤ والموطأ ٢/ ٧٤٥ ومسند أحمد ١/ ٣١٣.

(٢) صحيح البخاري ٧/ ٢٧ وصحيح مسلم ٧/ ٣١ وسنن أبي داود ٤/ ١٧ وسنن ابن ماجه ٢/ ١١٧١ وشرح صحيح مسلم للنووي ١٤/ ٢١٣ وانظر: ارتشاف الضرب ١/ ١٣٠.

(٣) حاشية الصبان ٢/ ١٥٤ وقلب الباء ميمًا تسوغه القوانين الصوتية، فكلاهما صوت شفوي.

(٤) حاشية الصبان ٢/ ١٥٤.

(٥) انظر: المقاصد الحسنة ٩٥ وكشف الخفاء ١/ ٢٠ والنشر في القراءات العشر ١/ ٢٢٠.

٩- استعمال سوى مجرورة:

يرى ابن مالك أن سوى تعامل بما تعامل به غير من الرفع والنصب والجر[١] ومن استعمالها مجرورة، قول رسول الله ﷺ : «وما أنتم في سواكم من الأمم إلا كالشعرة البيضاء في الثور الأسود، أو كالشعرة السوداء في الثور الأبيض»[٢]، كما ورد عن عثمان بن عفان أن النبي ﷺ قال: «ليس في ابن آدم في سوى هذه الخصال بيت يسكنه وثوب يواري عورته، وجلف الخبز والماء»[٣] وقوله ﷺ : «دعوت ربي الا يسلط على أمتي عدواً من سوى أنفسها»[٤].

ومن شواهد ذلك قول المرار بن سلامة العقيلي: (الطويل)[٥]:

ولا ينطق الفحشاء من كان منهم

إذا جلسوا منا ولا من سوائنا

١٠- إعمال اسم المصدر

يجوز إعمال اسم المصدر عمل المصدر عند الكوفيين وابن مالك، لأن معناه معنى المصدر، ومنعه البصريون، وقال بعضهم: إلا في الضرورة، ومن ذلك قوله ﷺ : «من قُبلة الرجل امرأته الوضوء»[٦].

---

(١) انظر: شرح ابن عقيل ٢/ ٢٤٦.

(٢) صحيح البخاري ٥/ ٢٤١، ٧/ ١١٠ وسنن الترمذي ٤/ ٨٩ وسنن ابن ماجه ٢/ ١٤٣٢ ومسند أحمد ٣/ ٣٢ ولم ترد في الروايات السابقة عبارة في سواكم.

(٣) سنن الترمذي ٤/ ٣ وقال هذا صحيح ٤/ ٣.

(٤) صحيح مسلم ٨/ ١٧١ وسنن أبي داود ٤/ ٩٨ وسنن الترمذي ٣/ ٣١٩ ومسند احمد ٥/ ٢٧٨، ٢٨٤.

(٥) شواهد العيني ٣/ ١٢٦ والكتاب ١/ ٢٠٣ والمقتضب ٤/ ٣٠٥ والمخصص ١٤/ ٨٥ وشرح ابن عقيل ٢/ ٥٧ والإنصاف ١٦٧ وشرح الأشموني ٢/ ١٥٨.

(٦) انظر: شرح عقيل ٣/ ١٠٠.

قبلة: اسم مصدر، مضاف لفاعله، وامرأته: مفعول، والجار والمجرور خبر مقدم عن الوضوء، ومن ذلك قول القطامي: (الوافر)[١]:

أكفرًا بعد رد الموت عني
وبعد عطائك المائة الرتاعا

فالمائة: منصوب بعطائك

وقول الآخر: (الطويل)[٢]:

إذا صح عَوْنُ الخالق المرءَ لم يجد
عسيرًا من الآمال إلا مُتيسَّرا

وقول الشاعر: (الوافر)[٣]:

بعشرتك الكرام تعد منهم
فلا ترين لغيرهُم الوفا

١١- العطف على ضمير الجر بغير إعادة الخافض:

يذهب الكوفيون إلى أنه لا يجب إعادة الجار في العطف على ضمير الجر، ومنعها يونس وقطرب والأخفش من البصريين[٤].

ومما ورد بغير إعادة الخافض قوله ﷺ: «إنما مثلكم واليهود والنصارى كرجل استعمل عمالاً» بجر اليهود[٥]، ومن قوله ـ تعالى ـ:

---

(١) ديوانه ٣٧ والتصريح ٢/ ٦٤ وشواهد المغني ٢/ ٨٤٩ وشرح التسهيل لابن مالك ٣/ ١٢٣ والخزانة ٨/ ١٣٦، ١٣٧ ومنسوب لعمر بن شيم في البحر المحيط ١/ ١٢٧ وبلا نسبة في الهمع ١/ ١٨٨.

(٢) في العيني ٣/ ٥٢٥ وشرح ابن عقيل ٢/ ١٨٧.

(٣) شرح ابن عقيل ٣/ ١٠٠ وحاشية الصبان وشرح الأشموني ٢/ ٢٨٨.

(٤) شواهد التوضيح ٥٣ وفتح الباري ٤/ ١٤٧ وهمع الهوامع ٢/ ١٣٩.

(٥) صحيح البخاري ٣/ ٥٠٠.

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ ﴾ (النساء: ١) على قراءة حمزة، وقرأ بها السبعة، والأرحام نصبا(١) ومن ذلك قول الشاعر: (البسيط)(٢):

اليــوم قــدبت تهــجــونــا وتشــتــمنا

فــاذهب فــمــا بــك والأيام من عــجب

١٢- حذف العاطف وحده:

يجوز حذف واو العطف دون المعطوف بها فى الأصح، من ذلك قول الرسول ﷺ : «تصــدق رجل من ديناره، من درهمه، مــن صاع بره، من صاع تمره».

ومن ذلك قول الشاعر: (الخفيف)(٣):

كـيف أصـبـحت كيـف أمسيت مـمـا

يغــــرس الــود فى فــــؤاد الكــريم

ودفع ذلك ابن جنى والســهيلى وابن الضــائع، لأن الحــروف دالة على معانٍ فى نفس المتكلم، وإضمارها لا يفيد معناها(٤).

١٣- بدل الإضراب:

ومن ذلك قول رسول الله ﷺ : «إن العبــد ليصلى الصلاة، وما يكتب له منها إلا عشرها، تسعُها ثمنُها، سبعُها، سدسُها، خمسُها، ربعُها، ثلثُها، نصفَها(٥).

(١) حجة القراءات ١٨٨ واتحاف فضلاء البشر ١٨٥.

(٢) انظر: الكتاب ١/ ٣٩٢ الإتقان ٢٥١ وشرح ابن عقيل ٢/ ٢٤٠.

(٣) والبيت بلا نسبة فى الدرر اللوامع ٢/ ١٩٣ والهمع ٢/ ١٤٠ وشرح الأشمونى ٣/ ١١٦ والخصائص ١/ ٢٩٠، ٢٨٠.

(٤) شرح الأشمونى ٣/ ١١٧.

(٥) مسند أحمد ٤/ ٣٢١ وإحياء علوم الدين ٢/ ٩٦.

وقوله ﷺ : «تصدق رجل من ديناره، من درهمه، من صاع بره، من صاع تمره»(١).

١٤- مجيء الشرط مضارعاً والجواب ماضياً:

ومن ذلك قول رسول الله ﷺ : «من يقمْ ليلة القدر إيماناً واحتساباً، غفر له ما تقدم من ذنبه»(٢) ويضعف النحاة ذلك، ويراه بعضهم مخصوصاً بالضرورة، ومن ذلك قول نهشل بن جرى: (البسيط)(٣):

يا فارس الحى يوم الروع قد علموا

ومدره الخصم لانكسا ولا ورعا

ومدرك التبل فى الأعداء يطلبه

وما يشأ عندهم من تبلهم منعا

وقول أعشى قيس: (البسيط)(٤):

وما يرد من جميع بعد فرقته

وما يرد بعد من ذى فرقة جمعا

وقول حاتم الطائى: (الطويل)(٥):

وإنك مهما تعط بطنك سؤله

وفرجك نالا منتهى الذم أجمعا

(١) صحيح مسلم ٣/ ٧٨ وسنن النسائى ٥/ ٨٦ ومسند أحمد ٤/ ٣٥٩ وشرح شذور الذهب ١٤٠.

(٢) صحيح البخارى ١/ ١٤ وسنن النسائى ٨/ ١١٨.

(٣) ورد البيت فى شرح المرادى ٢٧٣ وشرح الأشمونى ٤/ ١٧ وشواهد التوضيح ١١٦ وأوضح المسالك ٣/ ١٩٠.

(٤) ديوانه ١١٠ وشرح الأشمونى ٤/ ١٧ وشواهد التوضيح ١٦.

(٥) ديوانه ١٧٤ وشرح الأشمونى ٤/ ١٧ وشواهد التوضيح ١٦.

وقول رؤبة: (الرجز)[١]:

مــا يــلق فى أشــداقــه تلهـــمــا

إذا أعـــاد الــزأر أو تــهـــمـــا

وقول قعنب بن ضمرة: (البسيط)[٢]:

إن يســمعــوا ريبــة طاروا بهــا فــرحــا

عنى ومــا ســمــعــوا مــن صــالح دفنوا

١٥- إلحاق نون الوقاية بأفعل التفضيل:

وقد استدل ابن مالك على ذلك بقـول رسول الله ﷺ: «غير الدجال أخوفنــى عليكم» ويعقب أبو حـيان على ذلك بقـوله: على عادته فـى إثبات القواعد الكلية بما روى فى الحديث[٣].

١٦- الاستغناء عن أي بمعنى الإضافة إن علم ما تضاف إليه:

إن علم ما تضـاف إليه فى الشرط والاستـفهام، يقول أبو حـيان: «وإذا كانت شرطًـا أو استفهامًـا، فقد يستـغنى بمعنى الإضافة إن علـم ما تضاف إليـه.. وفى الحديث: «من أبر يا رســول الله؟ قال: أمك، قـال: ثم أى؟ قال: أمك...» أى: ثم من أبر؟ وهى فى الاستفـهام أو الشرط بمنزلة: كل مع النكرة، وبمنزلة بعض مع المعرفة[٤].

(١) الرجز فى شرح المرادى ٧٣ وشرح الأشمونى ٤/ ١٧ وشواهد التوضيح ١٦.

(٢) قعنب بن ضـمرة بن عبد الله بن غطفان شاعـر أموى، ويقال له: ابن أم صـاحب الفزارى، راجع مخـتارات ابن الشـجرى ١/ ٧ وسمط اللآلىء ٣٦٥ وشواهد التـوضيح ١٦، ومعجم الشعراء المخضرمين والأمويين ٣٧٧ ومراجعه.

(٣) انظر التسهيل ٢٥ وشفاء العليل ١/ ١٨٧ وشرح التسـهيل لابن مالك ١/ ١٣٩ والمساعد ١/ ٩٧.

(٤) ارتشاف الضرب ٢/ ١٠٣٨ ووردت صيغة الحديث: «ثم من» وفى صحيح مسلم ١٦/ ١٠٢، ١٠٣ وسنن ابن ماجه ٢/ ١٢٦ ورياض الصالحين ١٣٨ ولم ترد: أى.

١٧- مجئ الآن مبتدأ:

يقول أبو حيان، وزعم ابن مالك، أنه جاء مبتدأ في الحديث، أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ سمع وَجْبَةً فقال: «هذا حجر رمى به في النار منذ أربعين خريفًا فهو يهوى في النار الآن، حين انتهى إلى قعرها[١]، فاعرب الآن: مبتدأ، وحين انتهى: خبره، وقال في الآن: معرفة ويصحبها الحضور[٢].

ويقول أبو إسحاق: «تعرف بالإشارة فتضمنها، ولذلك بنيت، فأصل الآن معناه أصل في هذا الوقت»[٣].

١٨- لزوم أداة النداء في اسم الإشارة واسم الجنس إلا في شذوذ أو ضرورة:

ويؤكد البصريون لزوم أداة النداء مع اسم الإشارة واسم الجنس إلا في شذوذ أو ضرورة وجاءت ألفاظ منها «اعور عينك والحجر».

قال الميداني: «يا أعور احفظ عينك واحذر الحجر»[٤].

ومن ذلك قول رسول الله ﷺ: «... اشتدى أزمة تنفرجى»[٥].

وقوله ﷺ: «وثوبى حجرُ»[٦].

١٩- ورد لفظ: نعمت، للمدح بدون فاعل:

يقول أبو حيان، وقال بعض أصحابنا: «فبها ونعمت[٧] شاذ، وخرجه

(١) مسند أحمد ٣/ ٣٧١.

(٢) ارتشاف الضرب ٣/ ١٤٢١.

(٣) معانى القرآن للزجاج ١/ ١٥٢ - ١٥٣.

(٤) مجمع الامثال ٢/ ٢٢٣ وجمهرة الأنساب ١/ ٧٥ وارتشاف الضرب ٤/ ٢١٨٠.

(٥) الجامع الصغير ٣٨.

(٦) صحيح مسلم ٤/ ٣٢ - ٣٣ وشرح التسهيل ٣/ ٣٨٧ والمساعد ٤٨٥.

(٧) والحديث بتمامة: «من توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت» جامع الترمذى ٢/ ٤.

ابن عصفور، على تقدير فبالرخصة أخذ، ونعمت رخصة الوضوء، وابن هشام على تقدير: ونعمت الفعلة الآخذ بالسنة[١].

٢٠- لزوم اللام إذا أسند الفعل إلى غير الفاعل المخاطب:

يذكر أبو حيان، أنه يلزم الفعل اللام: إذا أسند إلى غير الفاعل المخاطب، وذلك نحو: ليقم زيد، وليضرب خالد، ولتعن بحاجتي، ولاعن بها[٢]، وقال تعالى: ﴿وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ﴾ (العنكبوت: ١٢) وفي الحديث: «قوموا فلأصل لكم»[٣].

٢١- ضرورة الإتيان بمن وإلى، حين الابتداء بالزمان والانتهاء في المكان:

ويقول أبو حيان: وذهب ابن الطراوة إلى أنك إذا أردت الابتداء في المكان والانتهاء في المكان أتيت بـ: منْ، و: إلى، كما تكون في المكان ولابد من: مِنْ، أردتهما[٤]، وفي الحديث: «من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم»[٥].

وتمثل هذه الأحاديث النبوية الشريفة أنماطًا متنوعة من صور البناء التركيبي في اللغة العربية، وقد جاءت متفقة مع ما تسمح به قواعد التركيب، التي صنعها العلماء العرب، ويمكن القول بأنها تطرد في طرائق بنائها وتركيبها مع هذه القواعد كما تتفق مع المبدأ الأسلوبي، الذي يتركز على الموضوعية، وذلك بعزل كل من المنشئ والمتلقي.

(١) ارتشاف الضرب ٤/ ٢٠٥٠.
(٢) ارتشاف الضرب ٤/ ١٨٥٥.
(٣) صحيح مسلم ١٥/ ١٦٢ - ١٦٣.
(٤) ارتشاف الضرب ٤/ ١٧١٨.
(٥) صحيح مسلم ١٢/ ١٠٣.

وعلى وجه التحديد مع الاتجاه الذى يرى بأن الأسلوب عبارة عن خواص متضمنة من السمات اللغوية، تتنوع بتنوع البيئة والسياق[١] وقد وردت النماذج من: الأول إلى السابع فى إطار هذا الاتجاه.

كما وردت النماذج من: الثامن إلى: العشرين، فى إطار الاتجاه الأسلوبى الذى يقول بأن الأسلوب إضافة إلى تعبير محايد، فقد وردت مثلا - أداة الاستثناء «بيد» وهى ليست من الأدوات الشائعة فى الاستثناء وكذلك إعمال اسم المصدر عمل المصدر والعطف على ضمير المجرور بغير إعادة الخافض وحذف وحده، وغيرها من القواعد التى لا تمثل إجماعا عند النحاة.

وعلى الرغم من ذلك نجد أمثال أبى حيان، وهو من أشد الرافضين الاستشهاد بالحديث النبوى الشريف! وهو يستشهد بها فى بعض المسائل اليسيرة أو يعرض لبعضها باعتبارها من أراء كل من ابن مالك وابن عصفور وغيرهما! سواء بالموافقة أم بالرفض![٢].

(١) الاسلوب، دراسة لغوية ٤٥.

(٢) انظر المسائل رقم ٧، ١٦، ١٩، ٢٠، ٢١.

بعض الأحاديث التي تمثل عدولا في القاعدة

ذكرت كتب النحو بعض الأحاديث النبوية، التي وردت مخالفة لقواعدهم النحوية، التي وضعوها لضبط اللغة العربية، لتكون معيارًا صوابيًا على الصحة النحوية، التي يجب أن تقاس عليها جميع التراكيب اللغوية العربية، ومن هذه الأحاديث، ما يلي:

١- ما رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «إن قعر جهنم سبعين خريفًا»(١).

ويرى النحاة: أن لفظ: سبعين بالنصب، جاءت متفقة مع ما يراه الكوفيون من جواز نصب اسم إن وخبرها، ومن ذلك ما ورد في قول عمر بن أبي ربيعة: (الطويل)(٢):

إذا اسود جنح الليل فلتأت ولتكن
خطاك خفافا إن حراسنا أسدا

٢- ما رواه عبد الله بن مسعود ﷺ، عن النبي ﷺ: «إن من أشد الناس عذابا يوم القيامة المصورون»(٣).

(١) شرح مسلم للنووي ٣/ ٧٢ حيث ذكر بأنه في معظم الأصول والروايات: «لسبعين» بالياء، وهو صحيح، إما على مذهب من يحذف المضاف، ويبقى المضاف إليه على جره، فيكون: سير سبعين، وإما على أن قعر جهنم: مصدر، يقال: قعرت الشيء، إذا بلغت قعره، ويكون: سبعين: ظرف زمان، وفيه: خبر إن، التقدير: إن بلوغ قعر جهنم لكائن سبعين خريفًا، والخريف: السنة، وصحيح مسلم ١/ ١٣٠ بلفظ: «إن قعر جهنم لسبعون خريفا».

(٢) الدرر اللوامع ١/ ١١١ والاقتراح ٤٥ وجامع الشواهد ١/ ١٨ وبلا نسبة في الخزانة ٤/ ٢٩٤ وشرح الأشموني ١/ ٢٦٩ ولم يرد بديوانه نشرة دار صادر ولا نشرة محي الدين وذكر ابن هشام إعراب كلمة: أسدا، على أنها: حال على التأويل: إن حراسنا تلقاهم أسدا، أي: كالأسد، انظر مغني اللبيب رقم الجزء ٥٥، ٥٦.

(٣) صحيح مسلم ٦/ ١٦١ وصحيح البخاري ٧/ ٦٤، بحذف: من، ووردت في بعض نسخ فتح الباري: المصورين وفي بعضها: المصورون ١٠/ ٣٨٣.

ووجهت الرواية على: إنه. والهاء: ضمير الشأن، وأشد: اسم إن، ومن زائدة[١] ومن قول الأخطل: (الخفيف)[٢]:

إن من يدخل الكنيسة يوما

يلق فيها جاذرا وظباء

٣- وفي الحديث أن النبي ﷺ قال «كل أمتي معافى إلا المجاهرون»[٣].

ويرى ابن مالك أن إلا بمعنى: لكن، وما بعدها مبتدأ، خبره محذوف، ومن ذلك ما ورد على قراءة عبد الله بن مسعود وأبي والأعمش، في قوله تعالى: ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ (البقرة: ٢٤٩)[٤] بالرفع وقراءة ابن كثير وأبي عمرو قوله تعالى: ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ امْرَأَتُكَ﴾ (هود: ٨١) بالرفع[٥] أي لكن امرأتك.

٤- لغة من يلزم المثنى الألف:

وقد ورد على هذه اللغة حديث الرسول ﷺ: «لا وتران في ليلة»[٦]

(١) انظر: مغني اللبيب رقم الجزء ٥٦.

(٢) وليس في ديوانه ومنسوب للأخطل في شرح شواهد المغني ١٢٢، ٩١٨ والدرر اللوامع ١/ ١١٥ وبلا نسبة في المغني ١/ ٣٧، ٢/ ٥٨٩ والهمع ١/ ١٣٦ والجمل للزجاجي ٢١٥ وشرح الكافية للرضي ١/ ٢٧١، ٢/ ٤٦٨.

(٣) انظر: مغني اللبيب ٥٨٨ ويقول الفراء: قليل مبتدأ، حذف خبره، أي: لم يشربوا، والبحر المحيط ٢/ ٢٦٦.

(٤) مغني اللبيب رقم الجزء ٥٨٨ وقال ابن جماعة: امرأتك بالرفع مبتدأ، والجملة بعده خبره وانظر: حجة القراءات ٣٤٧.

(٥) انظر: شرح الأشموني ١/ ٨٩.

(٦) انظر: شرح الأشموني ١/ ٨٩ وانظر: فصول في فقه العربية ٨٦ حيث يرى د/ رمضان عبد التواب، بأن ما ورد من شواهد على هذا النمط، إما أن تكون من بقايا الأدب الشعبي، التي تسربت إلى الأدب الرفيع، وإما أن تكون من الأدب الفصيح، لكنها تغيرت على ألسنة الناس وبخاصة العامة منهم.

ومن ذلك قول الحق ـ تعالى ـ: ﴿إنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾ (طه: ٦٣) ومن شواهدها قول الشاعر: (الطويل):

فأطرق إطراق الشجاع ولو رأى
مساغا لناباه الشجاع لصمما[1]

وقوله الشاعر: (الطويل[2]):

تزود منا بين أذناه طعنة
دعته إلى هابى التراب عقيم

وقول الشاعر: (الزجر)[3]:

إن أباها وأبا أباها
قد بلغا فى المجد غايتاها

٢- لغة أكلونى البراغيث:

ينسب العلماء هذه الظاهرة إلى قبيلة طيىء، وقد ذكرها سيبويه فى كتابه فى قوله: فى قول من قال: أكلونى البراغيث[4] كما ينسب النحاة هذه الظاهرة إلى قبيلة الحارث بن كعب[5] وإلى قبيلة أزد شنوءة[6] وهما من القبائل التي لها صلة بقبيلة طيىء وقد ورد على منوال هذه اللغة قول الرسول ﷺ : «يتعاقبون فيكم ملائكة فى الليل والنهار»[7] ومن ذلك أيضًا قول الله

(١) الشاهد للمتلمس الضبعى، ديوانه ٣٤.

(٢) انظر الدرر اللوامع للشنقيطى ١/ ١٤ والشاهد لهوبر الحارثى فى اللسان ١٠/ ٦٤.

(٣) انظر شواهد المغنى، للسيوطى ٤٧ والشاهد فى زيادات ديوان رؤبة ١٦٨.

(٤) الكتاب ١/ ٥.

(٥) انظر: بصائر ذوى التمييز ٥/ ١٤٩ وشرح التصريح ١/ ٢٧٦ ومغنى اللبيب ٢/ ٣٦٥.

(٦) انظر: بصائر ذوى التميز ٥/ ١٤٩ وشرح التصريح ١/ ٢٧٦ ومغنى اللبيب ٢/ ٣٦٥.

(٧) الكتاب ٢/ ٤٠ وشرح الكافية الشافية لابن مالك ٢/ ٥٨١.

ـ تعالى ـ ﴿ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ (الأنبياء: ٣). وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ﴾ (المائدة: ٧١).

ومن شواهد ذلك قول أبي تمام: (الطويل)(١):

شجى في الحشى ترداده ليس يفتر

به صمن آمالي وإني لمفطر

ويعلق على ذلك أبو العلاء المعري: يبين من كلام الطائي أنه يختار إظهار علامة الجمع في الفعل في مثل: صمن آمالي، ولو قال: صام آمالي، لاستقام الوزن، وقد جاء مثل ذلك في غير هذا الموضع.

ومن ذلك أيضًا قول أبي تمام: (الكامل)(٢):

وغدًا تبيَّن كيف غبُّ مدائحي

وإن مِلْنَ بي همي إلى بغداد

كما وردت في شعر المتنبي في قوله: (الكامل)(٣):

ورمى وما رمت يداه فصابني

سهم يعذب والسهام تريح

وتعد هذه الظاهرة هي الأصل في اللغات السامية، ففي اللغة العبرية (فماتا كلاهما محلون وكليون)(٤) وكذلك «لا يقومون الأشرار بالعدل»(٥) وفي الأرامية: «لئلا يزنوا الآخرون بامرأتك»(٦) وفي الحبشة: «فعادوا

(١) شرح الديوان للخطيب التبريزي ٢/ ٢١٤.
(٢) شرح الديوان للخطيب التبريزي ٢/ ٢١٤.
(٣) شرح الديوان للخطيب التبريزي ١/ ١٣١ ديوانه ١٦٥ وأمالي الشجري ١/ ١٣٣.
(٤) سفر روث ١/ ٥.
(٥) سفر المزامير ١/ ٥.
(٦) أحيقار حكيم الشرق الأدنى القديم ٢٣/ ١.

الشعوب»[١] وفيها كذلك «وكثروا أطفالهم»[٢] وتعد هذه الظاهرة من الركام اللغوى، أى: من بقايا الظواهر اللغوية المندثرة، حيث لا تمحى الظاهرة القديمة دفعة واحدة، بل يتبقى منها بعض الأمثلة التى تبرهن على وجودها على الرغم من اندثارها.

وتمثل الأحاديث الثلاثة الأولى عدولا صريحا عن قواعد التركيب العربى، على الرغم من تخريجات العلماء لها بالتأويل أو بالافتراض، أو بإيرادها فى روايات أخرى، متسقة مع القواعد.

وأما القول، بأن هذه الأحاديث، تمثل الاتجاه الأسلوبى الذى يقول بأن الأسلوب انحراف على النمط، فلسنا نوافق ذلك، فهذه الأحاديث النبوية الشريفة، لو ثبتت أسانيد رواياتها منسوبة إلى الرسول ﷺ فإنها من وجهة نظرنا قد جاءت وفقا لمستوى لغوى آخر، وهو مستوى الخطاب العادى الذى يتخفف فيه المتكلم من أعباء التقيد والالتزام بقوانين المستوى الفصيح وبخاصة عندما يخاطب الرسول ﷺ العامة والبسطاء من الناس ويأتى منسجما مع قوله ﷺ: «أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم»[٣].

وتكون قواعد التركيب لهذه الأحاديث النبوية الشريفة ـ حينئذ ـ صحيحة، إذا ما قيست على مستواها اللغوى، الممثل فى الخطاب إلى طائفة من الناس، ألا وهم البسطاء والعامة[٤].

(١) انظر: بحوث ومقالات فى اللغة ٦٩.

(٢) انظر: بحوث ومقالات فى اللغة ٥٨ وما بعدها.

(٣) المقاصد الحسنة ٩٣ وكشف الخفاء ١/ ١٩٦.

(٤) وقد ذكر أبو العيناء، ما يؤكد استعمال بعض العلماء المشهود لهم الفصاحة، لهذه المستويات العامية فى كلامهم، فى قطاعات تستوجب ذلك، قال أبو العيناء: ما رأيت مثل الأصمعى =

أما الحديث الرابع والخامس، فهما يمثلان مستوى لهجيًا سواء أكان قليل الشيوع كما فى الحديث الرابع أم كان شائعا فى معظم الاستعمال اللهجى، فى خطاب القبائل العربية، كما فى الحديث الخامس[١].

ويتفق الحديثان مع الاتجاه الأسلوبى الذى يقول بأن الأسلوب عبارة عن خواص متضمنة فى السمات اللغوية، بتنوع البيئة والسياق وهذا يعنى أن بكل سمة لغوية، تتضمن فى ذاتها قيمة أسلوبية معينة وإنها تستمد قيمتها الأسلوبية من بيئة النص أو الموقف الذى تعبر عنه[٢].

* قط، أنشد بيتا من الشعر، فاختلس الإعراب، ثم قال: سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول: كلام العرب الدرج حدثنى عبد الله بن سوار أن أباه قال: العرب تجتاز الإعراب اجتيازا، وحدثنى عيسى بن عمر، أن ابن إسحاق قال: العرب ترفرف على الإعراب ولا تتفيهق فيه وسمعت يونس يقول: العرب تشام الإعراب ولا تحققه وسمعت الخشاش يقول: العرب تقع بالإعراب وكأنها لم ترد، وسمعت أبا الخطاب يقول إعراب العرب الخطف والحذف قال: فتعجب كل من حضر منا، مخطوطة كوبريللى ٧/ ٧٦٥ وكذلك ورد مختصرا فى ربيع الابرار ونصوص الأخيار للزمخشرى ـ مخطوط ـ دمشق ٣٢٢٦ ص ٤٥.

(١) انظر: الكتاب ١/ ٥ وبصائر ذوى التمييز ٥/ ١٤٩ وشرح التصريح ١/ ٢٧٦.

(٢) انظر: الأسلوب، دراسة لغوية ٩٣.

أهم نتائج البحث:

١- اطراد لغة الحديث النبوى الشريف فى مستوياتها المختلفة، وهى فى حدود البحث (الأصوات والأبنية والتراكيب) مع قواعد اللغة العربية الفصحى وقوانينها.

٢- توافقت لغة الحديث النبوى الشريف، مع معطيات المناهج الأسلوبية الحديثة واتجاهاتها، وبخاصة مع الاتجاه القائل بأن الأسلوب اختيار المنشىء والاتجاه القائل بأن الأسلوب إضافة إلى النمط المعيارى للغة.

٣- بعض الأحاديث النبوية الشريفة، خرجت على قواعد الفصحى ولكنها اتفقت مع قواعد البناء اللهجى، فى مستوياته المختلفة الصوتية والصرفية والتركيبية.

٤- امتناع الرعيل الأول من النحاة العرب عن الاستشهاد بلغة الحديث النبوى الشريف، ليس له ما يبرره، والأسباب التى ذكروها حول هذا الامتناع ليست كافية أو مقنعة.

٥- ثمة أسباب أخرى لم نقف عليها، ربما ترجع إلى خشية العلماء العرب فى أن تزل أقدامهم فى موضع تكثر فيه الشبهات، بسبب كثرة انتشار الوضع فى الأحاديث فى زمانهم فينسبوق إلى الرسول ﷺ أحاديث ربما لم يقلها، فيقعون فى الخطأ والخطيئة. حيث حذر الرسول ﷺ من يتقول عليه، بأن يتبوأ مقعده من النار.

والله ولى التوفيق

فهرست المراجع

١- الإبدال، لأبى الطيب اللغوى ـ تحقيق عز الدين التنوخى ـ دمشق ١٩٦٠م

٢- أبنية الأسماء والأفعال والمصادر، لابن القطاع الصقلى ـ تحقيق د/ أحمد عبد الدايم مخطوط ـ رسالة دكتوراه ـ دار العلوم ـ القاهرة ١٩٨٠م

٣- إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربع عشر، لأحمد الدمياطى المشهور بالبنا ـ مصر ١٣٥٩ هـ

٤- أخبار النحويين البغداديين للسيرافى ـ تحقيق عبد المنعم خفاجى وطه الزينى ـ القاهرة ١٩٥٥م

٥- ارتشاف الضرب من لسان العرب، لأبى حيان الأندلسى، تحقيق د/ رجب عثمان ـ القاهرة ١٩٩٨م

٦- أسس علم اللغة، لماريو باى ـ ترجمة د/ أحمد مختار عمر ـ منشورات ـ جامعة طرابلس ـ ليبيا ١٩٧٣م

٧- الأسلوب والأسلوبية، د/ عبد السلام المسدى ـ ط م ـ تونس ١٩٨٢م

٨- الأسلوب، مدخل نظرى ودراسة تطبيقية، د/ فتح الله أحمد سليمان ١٩٩٠م

٩- الأسلوبية ـ دراسة لغوية إحصائية د/ سعد مصلوح ط٣ ـ القاهرة ١٩٩٢م

١٠- الاشتقاق والتعريب، لعبد القادر المغربي - القاهرة ١٩٤٧م.
١١- الأصول، دراسة ايبستيمولوجية لأصول الفكر اللغوى عند العرب - د/ تمام حسان - المغرب ١٩٨١م.
١٢- أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة د/ نايف خرما - عالم المعرفة - الكويت ١٩٧٨م.
١٣- إعراب الحديث النبوى، تحقيق عبد الإله نبهان - دمشق ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧م.
١٤- الاقتراح فى علم أصول النحو، للسيوطى - تحقيق د/ أحمد محمد قاسم - القاهرة ١٩٧٦م.
١٥- أقسام الكلام العربى، د/ فاضل مصطفى - القاهرة ١٩٧٧م.
١٦- أمالى السهيلى، لأبى القاسم عبد الرحمن الأندلسى - تحقيق محمد إبراهيم البنا - مطبعة السعادة - القاهرة.
١٧- الأمالى لابن الشجرى - حيدر أباد الدكن - الهند ١٣٤٩هـ.
١٨- إنباه الرواة على أنباء النحاة، للقفطى - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - القاهرة ١٩٥٠ - ١٩٧٣م.
١٩- أوضح المسالك إلى ألفيه ابن مالك، لابن هشام - تحقيق محيى الدين عبد الحميد ط ٥ - بيروت ١٩٦٦م.
٢٠- البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى - مطبعة السعادة - القاهرة ١٣٢٨م.
٢١- بحوث ومقالات فى اللغة د/ رمضان عبد التواب - القاهرة ١٩٨٢م.

٢٢- البداية والنهاية، لابن الأثير ـ مطبعة السعادة ـ القاهرة ١٩٣٢م.
٢٣- بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز، للفيروز ابادى ـ القاهرة ١٩٦٣ - ١٩٧٣م.
٢٤- بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة، للسيوطى ـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ـ القاهرة ١٩٦٤ - ١٩٦٥م.
٢٥- البيان فى روائع القرآن، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآنى د/ تمام حسان ـ القاهرة ١٩٩٣م.
٢٦- تاريخ آداب العرب، للرافعى ـ ط٢ ـ بيروت ١٣٩٤ هـ ١٩٧٤م.
٢٧- تحرير الرواية فى تقرير الكفاية، لابن الطيب الفاسى ـ تحقيق/ على حسين البواب ـ الرياض ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م.
٢٨- تدريب الراوى فى شرح تقريب النووى، للسيوطى ـ تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف ط٢ ـ بيروت ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م.
٢٩- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، لابن مالك، تحقيق محمد كامل بركات ـ القاهرة ١٣٨٨ هـ ١٩٦٨م.
٣٠- التطور النحوى للغة العربية، لبرجشتراسر ـ أخرجه وصححه وعلق عليه د/ رمضان عبد التواب ـ القاهرة ١٩٨٢م.
٣١- تهذيب التهذيب، لابن حجر ـ الهند ١٣٢٥هـ.
٣٢- جمهرة أنساب العرب، لابن حزم ـ تحقيق عبد السلام هارون القاهرة ١٩٦٢م.
٣٣- حاشية الخضرى على شرح ابن عقيل، مطبعة البابى الحلبى القاهرة ١٣٥٩ هـ ١٩٤٠م.

٣٤- الحجة في علل القراءات السبع، لأبي على الفارسي
تحقيق على النجدى ناصف وآخرين ـ القاهرة ١٩٦٥م.
٣٥- خزانة الأدب ولب لباب العرب، للبغدادي ـ بولاق ١٢٩٩هـ.
٣٦- الخصائص، لابن جنى، تحقيق محمد على النجار ـ القاهرة
١٩٥٢ - ١٩٥٦م.
٣٧- دليل الدراسات الأسلوبية، د/ جوزيف ميشال شريم ـ بيروت
١٩٨٤م.
٣٨- درة الغواص في أوهام الخواص، للحريري ـ
مطبعة الجوائب استانبول ٢٩٩هـ.
٣٩- الدر اللوامع على همع الهوامع، للشنقيطي ـ القاهرة ١٣٢٨.
٤٠- دور الكلمة في اللغة، لاستيفن أولمان ترجمة د/ كمال بشر
القاهرة ١٩٦٢م
٤١- ديوان الأخطل، تحقيق أنطوان صالحاني ـ بيروت ١٨٩١م.
٤٢- ديوان جميل بثينة، نشرة دار صابر ـ بيروت. بلا تاريخ.
٤٣- ديوان عمر بن أبي ربيعة، و نشر باول شفارتش ـ
ليترج ١٩٠١ - ١٩٠٩م.
٤٤- ديوان المتلمس الضبعي تحقيق حسن كامل الصيرافي،
مجلة معهد المخطوطات ـ القاهرة ١٩٦٨.
٤٥- ديوان المتنبي، وضع عبد الرحمن البرقوقي ـ القاهرة ١٩٣٨م.
٤٦- ديوان الهذليين، شرح ديوان الهذليين ـ تحقيق
عبد الستار فراج ـ القاهرة ١٩٦٥م.

٤٧- الرسالة للشافعي ـ تحقيق أحمد محمد شاكر
ـ ط١ ـ القاهرة ١٣٥٨ هـ ـ ١٩٤٠م.
٤٨- الروض الأنف في شرح سيرة ابن هشام، للسهيلي
ـ تحقيق عبد الرحمن الوكيل ـ القاهرة ١٩٦٧م.
٤٩- سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ـ القاهرة
١٣٧٢ هـ ١٩٥٢م.
٥٠- سنن الترمذي، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف ـ القاهرة.
٥١- سنن الدارمي، طبع بعناية محمد الدين عبد الحميد ـ القاهرة.
٥٢- سنن النسائي، بشرح السيوطي وحاشية السندي ـ
القاهرة ١٣٤٨ هـ ـ ١٩٣٠م.
٥٣- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ـ تحقيق محمد محيي الدين
عبد الحميد ـ القاهرة ١٩٤٥م.
٥٤- شرح الأشموني على ألفية بن مالك، تحقيق محمد محيي الدين
عبد الحميد ـ القاهرة ١٣٧٥م.
٥٥- شرح التصريح بمضمون التوضيح، للأزهري وحاشية
يس بن زيد العليمي الحمصي ـ القاهرة بلا تاريخ.
٥٦- شرح ديوان أبي تمام، للخطيب التبريزي ـ تحقيق محمد عبده
عزام ـ القاهرة ١٩٥١ وما بعدها.
٥٧- شرح الشافية، الاستراباذي ـ تحقيق الزفزاف وآخرين
القاهرة ١٣٥٦ هـ.

٥٨- شرح الكافية، للرضى ـ استانبول ١٣١٠هـ.

٥٩- شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح لابن مالك، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ـ القاهرة ١٩٥٧م.

٦٠- الصاهل والشاحج، لأبى بعلاء المعرى، تحقيق د/ بنت الشاطىء ـ القاهرة ١٩٧٥م.

٦١- صحيح البخارى ـ دار الشعب ـ القاهرة.

٦٢- صحيح مسلم، البابى الحلبى ـ القاهرة.

٦٣- صحيح مسلم بشرح النووى ـ المطبعة المصرية ـ القاهرة ١٣٤٩م.

٦٤- الفائق فى غريب الحديث، للزمخشرى ـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم القاهرة ١٩٤٥ - ١٩٤٨م.

٦٥- فتح البارى بشرح صحيح البخارى، لابن حجر ـ المطبعة السلفية القاهرة.

٦٦- فصول فى فقه العربية د/ رمضان عبد التواب ـ القاهرة ١٩٨٣م.

٦٧- الفهرست، لابن النديم ـ القاهرة ١٣٤٨م.

٦٨- فى أصول اللغة والنحو، لفؤاد ترزى ـ بيروت ١٩٦٩م.

٦٩- فيض القدير، لعبد الرءوف المناوى ـ ط٢ ـ بيروت ١٣٩١هـ ١٩٨٢م.

٧٠- الكتاب، لسيبويه بولاق ١٣١٦ - ١٣١٧م.

٧١- الكتاب، لسيبويه ـ تحقيق عبد السلام هارون القاهرة ١٩٦٦ - ١٩٧٧م.

٧٢- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من أحاديث
على ألسنة الناس، لإسماعيل العجلوني طبعة مصورة - بيروت١٣٥١هـ.
٧٣- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، للمتقي الكندي -
حيدر أباد الدكن - الهند ١٣١٢ هـ - ١٣١٧ هـ.
٧٤- لسان العرب، لابن منظور الإفريقي - بولاق ١٣٠٠هـ - ١٣٠٧هـ.
٧٥- اللغات السامية لنولدكه - ترجمة د/ رمضان عبد التواب -
القاهرة ١٩٦٣م.
٧٦- اللغة العربية معناها ومبناها د/ تمام حسان - القاهرة ١٩٧٩م.
٧٧- اللهجات العربية الغربية القديمة، لرابين - ترجمة
د/ عبد الرحمن أيوب - الكويت ١٩٨٦م.
٧٨- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لنور الدين الهيثمي -
القاهرة ١٣٥٣م.
٧٩- المدخل إلى دراسة النحو العربي د/ علي أبو المكارم -
القاهرة ١٩٨٠م.
٨٠- مراتب النحويين، لأبي الطيب اللغوي - تحقيق محمد
أبو الفضل إبراهيم - القاهرة ١٩٥٥م.
٨١- المزهر في علوم اللغة، للسيوطي - تحقيق محمد
أبو الفضل إبراهيم وآخرين - القاهرة ١٩٥٨م.
٨٢- مسند أحمد - ط٢ - بيروت ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م.
٨٣- المصنوع في معرفة الحديث الموضوع، لعلي القاري -
تحقيق عبد الفتاح أبو غدة ط٢ - بيروت ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م.

٨٤- مظاهر النظرية النحوية، لتشومسكى - ترجمة مرتضى
جواد باقر بغداد ١٩٨٣م.

٨٥- معانى القرآن، للفراء - تحقيق محمد على النجار -
القاهرة ١٩٥٥ - ١٩٧٢م.

٨٦- معانى القرآن وإعرابه، للزجاج - تحقيق
عبد الجليل شلبى - بيروت ١٩٧٣م.

٨٧- معجم الأدباء، لياقوت الحموى - نشر أحمد
فريد رفاعى - القاهرة ١٩٣٦م.

٨٨- معجم الشعراء المخضرمين والأمويين للدكتورة عزيزة
فوال، دار صادر بيروت ١٩٩٨م

٨٩- مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام المصرى - تحقيق
محمد محيى الدين عبد الحميد.

٩٠- المقاصد الحسنة فى بيان كثير من الأحاديث
المشتهرة على الألسنة، للسخاوى - تصحيح عبد الله محمد
الصديق القاهرة ١٣٧٥ هـ ١٩٥٦م

٩١- مقالات فى الأسلوبية د/ منذر عياشى - منشورات اتحاد الكتاب
العرب

٩٢- مقاييس اللغة، لابن فارس - تحقيق عبد السلام
هارون القاهرة ١٣٦٦ هـ ١٣٧١ هـ

٩٣- من أسرار اللغة د/ إبراهيم أنيس القاهرة ١٩٦٦م

٩٤- الموطأ، لابن مالك ـ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى
القاهرة ١٣٧٠ هـ

٩٥- النشـر فى القراءات العـشر، لابن الجـزرى ـ نشر على مـحمـد الضباع القاهرة

٩٦- نظرة فى النحو العـربى ـ مجلة المـجمع العلمى ١٤ ص ٣٢٥ ـ ٣٢٧ دمشق

٩٧- نظرية تشومسكى اللغوية، لجون ليونز ـ ترجمة
د/ حلمى خليل الاسكندرية ١٩٨٥م

٩٨- نيل الأوطار فى شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخـيار، للشوكانى القاهرة ط ٢

٩٩- همع الهوامع على شرح جمع الجوامع، للسيوطى
القاهرة ١٣٢٧ هـ

١٠٠- النهاية فى غريب الحديث والأثر، لابن الأثير ـ
تحقيق د/ محمود الطناحى وآخرين القاهرة ١٩٦٣ - ١٩٥٦م

المبحث الرابع

المجازات المنسية في العربية

في ضوء نظرية العلاقات الدلالية

المجازات المنسية فى اللغة العربية
دراسة دلالية تطبيقية فى ضوء قوانين التطور الدلالى

تمهيد

يعد الاستعمال المجازى - منذ القديم - هو القسيم الثانى والملازم للاستعمال الحقيقى لألفاظ اللغة ومفرداتها.

وكانت ألفاظ أعضاء الجسم من أسبق الألفاظ التى استعملها الإنسان ونطق بها، حيث يعرفها وينطق بها منذ بدايات انطلاق لسانه بالكلام.

انتقلت دلالات هذه الألفاظ، التى تمثل بدايات الثروة اللفظية عند الإنسان، فى أية لغة من اللغات، إلى جمادات أخرى، فى استعمالات مجازية، كما هو الحال فى قولنا: رجل الكرسى، أو إيد الكرسى، أو فى قولنا: أسنان المشط والمنشار، وإيد السكين، وعين الإبرة، وأذن الإبريق، وفم الخليج، وعنق الزجاجة، ولسان الحذاء، وغيرها من الجمادات!.

لقد كانت النشأة الأولى للمجازات، من خلال هذه العلاقة الواضحة بين الألفاظ، وتقبلها الناس، دونما غرابة أو دهشة، ولم يخف عليهم إدراك العلاقة بين الاستعمال الجديد، الذى يشترك فى المظهر الخارجى مع القديم، ولا يتطلب مثل هذا الانتقال الدلالى فى تلك المجازات العامة، التى تنشأ بين أفراد البيئة اللغوية، رغبة فى توضيح الحديث وإبرازه، ولا

يتطلب من المتكلمين مهارة خاصة أو حذقا للاهتداء إليها، فهى ليست كتلك المجازات، التى يبتكرها الشعراء والكتاب ويجهدون قرائحهم فى الغوص عنها[١].

وليس الأمر مقصوراً على أعضاء جسم الإنسان فحسب، بل يمتد إلى إضافة أعضاء الحيوانات والنباتات لجمادات أخرى، وذلك فى مثل قولنا: جناح الطائر، وذيل الطائرة، وجذور الأسنان، وقرن الشمس، وغيرها.

وتعد تلك المجازات، من أقدم أنواع المجاز، فهى لم تعد تثير فى الأذهان غرابة أو طرافة، بل أصبحت بعد شيوعها من الألفاظ الحقيقية فى اللغة[٢].

ودلالة الألفاظ فى أية لغة من اللغات، تتأثر فى نموها وتطورها بمؤثرات كثيرة تختلف باختلاف التجارب، التى تمر بها، وباختلاف الظروف المحيطة بهذه التجارب ولا يجوز الحكم على أن دلالات ألفاظ معينة، هى على وجه الحقيقة، أو على وجه المجاز، إلا إذا كان ذلك مقصوراً على بيئة معينة، وفى جيل محدد.

فالمجازات القديمة، مصيرها إلى الاستعمال الحقيقى، والحقيقة القديمة قد يكون مصيرها إلى الزوال والاندثار.

وهكذا، فإن كثيراً من الدلالات، التى كانت شائعة فى عصور قديمة، قد أصابها التغير، ولم تعد تمثل واقعًا دلاليًا حاليًا، وأصبحت أشبه بالقطع الأثرية، التى لم تعد صالحة للاستعمال أو تكاد[٣].

(١) انظر: دلالة الألفاظ ٩٧.　　(٢) انظر: دلالة الألفاظ ٩٧.

(٣) انظر: دلالة الألفاظ ١٣٠ - ١٣٢.

ويمكننا القول، بأن أسمى درجات الجدة والطرافة في الاستعمال، هو ما يسمى: بالمجاز الذى أصبح بكثرة شيوعه وانتشاره أمراً حقيقياً، هذه المجازات التى تحولت إلى حقيقية، هى ما نطلق عليها: «المجازات المنسية» ولعل من هذا القبيل ما أورده الزمخشرى فى كتابه: «أساس البلاغة» من ألفاظ وكلمات، شاعت دلالتها على وجه الحقيقة، بأنها من المجاز أصلاً، مثال ذلك الكلمات: (خلق ـ هجا).

يذكر الزمخشرى أن الدلالة الحقيقية للفعل: خلق، هى من: خلق الحذاء الأديم والخياط الثوب: قدره قبل القطع، ومن المجاز: خلق الله الخَلق[1].

وأن معنى: هجا الحروف يهجوها: عددها، ومنها عن طريق المجاز: الهجاء بمعنى تعدد المعايب![2].

ويذكر ابن جنى فى خصائصه أنماطًا من هذه المجازات المنسية بقوله: «فهم يقولون: بنى فلان بأهله» وذلك أن الرجل إذا أراد الدخول بأهله: «قد بنى بيتًا من آدم أو قبة أو نحو ذلك من الحجر، ثم يدخل بها فيه، فقيل لكل داخل بأهله[3].

فالدلالة المجازية، فى العبارة السابقة، وهى: دخول الرجل بأهله، انتقلت من دلالة حسية حقيقية، وهى عملية بناء بيت الزوجية، ثم تنوسيت الدلالة المجازية فى عبارة: بنى فلان بأهله، وأصبحت دلالة على الحقيقة!.

(١) انظر: أساس البلاغة ١١٩.

(٢) أساس البلاغة ٤٨٠.

(٣) الخصائص ١/ ٣٩ - ٤٠.

ومن ذلك أيضًا قول الشاعر: (الرجز):

* ليلى قضيب تحته كثيب *

* وفى القلاد رشأ ربيب *

وقول أبى تمام: (البسيط):

وكم أحرزت قضيب الهندى مصلته

تهتز من قضب تهتز فى كثب

ويرى ابن جنى أن أصل الحقيقة، هو الكثيب المستعار فى صورة غزلية متداولة، وفرع المجاز: هو المرأة الحسناء مشبهة به، ويعلق على ذلك ابن جنى قائلاً: «لما كثر استعمالهم إياه، وهو مجاز استعمال الحقيقة، استمر واتلأب، تجاوزوا به ذلك، إلى أن أصاروه، كأنه هو الأصل والحقيقة»(١).

ولكن هذه المرحلة من تطور الاستخدام، لا يعوقها انحسار الجانب التصورى، بسبب من اعتياده، والعودة إلى ما يقرب من الحقائق اللغوية. وذلك أنهم عادوا فاستعاروا منه لأصله، فقال طرفة: (الطويل):

ورمل كأوراك العذارى قطعته

إذا ألبسته المظلمات الحنادس

وبذا جعل الأصل فرعًا، والفرع أصلاً، وهذا من باب تدرج اللغة(٢).

ويقول أبو هلال العسكرى: «فكثرة الاستعمال، جعلت تسمية المزادة: راوية كالحقيقة، وكان الراوية حامل المزادة، وهو البعير، وما يجرى مجراه ولهذا سمى حامل الشعر براوية، ومثل هذا كثير ملبس»(٣).

(١) الخصائص ٢/ ١٧٧.   (٢) انظر: الخصائص ٢/ ١٧٦ - ١٧٧.

(٣) انظر: الصناعتين ٦ - ٧ وانظر: إصلاح المنطق ٢٨٤، ٢٨٧ وكذا: كتاب المعتمد ١/ ٢٦ - ٢٨.

وبذلك تكون كلمة: راوية راوى الشـعر أو غيره من ضروب الـلغة، نثراً أو شعراً، من الدلالات المجازية المنسية، التـى انتقلت عن الدلالة الحقيقية الأصلية، وهى: البعـير، ثم انتقلت الدلالة الحسيـة الحقيقة، وهى البـعير، إلى دلالة حسيـة أخرى، وهى: الوعاء الذى يوضع فيـه الماء تارة فى إطار العلاقة: (المنفذ بالأداة) وإلى دلالـة أخرى وهى: الراوى للغة تارة أخرى، فى إطار العلاقـة: (المنفذ بالأداة) أيضًـا، فالبعـير يحمل الوعـاء وينقله من مكان إلى آخـر، والراوى ينقل اللغة، شـعراً ونثـراً إلى الناس من مكان إلى مكان آخر أيضًا، ثم تنوسيت الدلالة المجـازية الأخيرة، وأصبحت تدل فى الواقع اللغوى على الدلالة الحقيقة!.

مفهوم المجاز عند العلماء العرب القدامى:

يتركز مفهـوم المجاز عند العلماء العرب القدامى، في استـعمال الكلمة في غير ما هي موضوعة له بالتحقيق، باسـتعمالها في غيره، بالنسبة إلى نوع حقيقتها[(١)].

كما يحدد علماء البيان مفـهوم المجاز في الدلالات العقلية، وما تشمل عليه من تعلق المفاهيم بعضها ببعض[(٢)].

فـقد يكون المـفهـوم الآخر، داخـلاً في المـفهـوم الأصلي في علاقـة تضمن، كدلالة اللفظ: الحائط، بالنسبة للسقف[(٣)].

تلك العلاقات المـجازية التي ذكرها العلماء العـرب القدامى، قد ظلت على مـستوى المـلاحظة، لا تظهر قـيمـتهـا الإجرائيـة في رصد العـلاقات المعجـمية، وآليات التوليـد الدلالي بكيفية واضـحة، ويرجع ذلك بالدرجة الأولى، إلى عدم صياغـتها في نظرية الدلالة المعجمـية، وهو ما ترتب عنه غيـاب تصور نسقي للمـعجم، يمكنه أن يعطي لمـثل هذه العلاقـات معناها داخل بنية نظرية محددة[(٤)].

كمـا تركزت دراسات هؤلاء العلمـاء على الدلالات المجـازية للألفاظ المفـردة بمعزل عن السـياق، ولا تخفى أهـمية السـياق في تحديد التـوليد الدلالي وتعيينه.

---

(١) انظر: مفتاح العلوم ١٥٢ - ١٥٣.

(٢) انظر: التوليد الدلالي في البلاغة والمعجم: ٢.

(٣) علوم البلاغة ٢١٦ وأسرار البلاغة ٤٦٢.

(٤) انظر التوليد الدلالي ٢٣.

مفهوم المجاز فى الدرس اللغوى الحديث:

تركزت الدراسات الدلالية الحديثة فى ربط قدرة توسيع دلالة الوحدات اللغوية للمتكلمين، عن طريق عملية التحويل المجازى، باعتبارها جزءاً لا يتجزأ من المقدرة اللغوية للمتكلمين، حيث تعد الإبداعية المجازية نتيجة للتعدد الدلالى ـ حينئذ ـ خاصية جوهرية من خصائص عمل اللغات باعتبارها أنساقًا سيميائية مرنة وفعالة(١).

ومعنى ذلك أن أية نظرية للمجاز، باعتبارها جزءاً من نظرية لغوية هامة، يجب أن تفترض أن المتكلم يستخدم حين يستخدم المجاز، يستخدم نفس الأدوات اللغوية، التى يعتمدها حين يستخدم استعمالات غير مجازية.

ويرى بعضهم أن الفصل الحاد بين لغة أدبية أو شعرية، ولغة عادية، قد يؤدى إلى نتائج نظرية ومنهجية، لا تخطر على بال، ويرى هؤلاء أن هناك قدرتين لغويتين، قدرة شعرية وقدرة عادية، ويمعن هؤلاء إلى حد القول بأن الطفل ينبغى أن يكتسب قدرتين لغويتين، فى مقابل قدرة واحدة!.

والحق.. فإن هؤلاء القائلين بالفصل الحاد، بين امتلاك الإنسان للغتين إحداهما: أدبية راقية، والأخرى: عادية عامية! ليسوا على صواب، فالقدرة اللغوية لدى الإنسان واحدة، لكنها تنمو وتسمو وتتعمق عن طريق التدعيم، بحيث يمكن لصاحبها أن ينميها، وأن يرتقى بها، ويمكن لهذه القدرة ـ حينئذ ـ أن تنتج أدبًا رفيعًا راقيًا، لكن ذلك لوقت محدود، فى حالات نفسية مهيئة لذلك، ثم لا يلبث صاحب القدرة اللغوية بعدها، أن يعود إلى توظيفها فى الاستعمال اللغوى العادى!.

لقد برز اهتمام العلماء بهذا الفصل، على أساس أن العلاقات المجازية

(1) Lyons J: Language Meaning and context, P, P 193 - 194, 1980

تمتلك مكونًا أساسيًا للأبنية الدلالية فى اللغات الطبيعية، وأن ثمة نظرية دلالية يمكنها القيام برصد هذه العلاقات، برز هذا الاهتمام فى أواخر هذا القرن، عند أمثال كل من: ليفين (S.R.Levin) وارطونى (Artony) وليكوف (Lakoff) وجونسون (Johnson) ونوريك (N.R. Norrick) وفوكونيه (G.Fauconnier) وغيرهم، جاء اهتمام هؤلاء العلماء، على مستوى معالجة التراكيب الدلالية المولدة، والترابطات بين المداخل المعجمية، واستناداً إلى مبادىء دلالية عامة.

لقد أكدت هذه الدراسات والأعمال أن المجاز، ليس واقعة مكونة للغة فحسب، وإنما يلعب دوراً أساسيًا فى بنية الإنسان التصورية بوجه عام(١).

ومن ثم، فإن أية نظرية يمكن طرحها فى التوليد الدلالى، ينبغى أن تجد حلاً لمشكلتين هما:

١- رصد العلاقات الدلالية القائمة بين الوحدات داخل المعجم.

٢- تأويل الوحدات المعجمية على مستوى التركيب الدلالى، أى تأويل التراكيب المجازية المولدة.

فالقواعد التى تربط المكونات التركيبية للجمل، بالمداخل المعجمية، غالبًا ما تكون قواعد مباشرة، إلا أن المشاكل تظهر عندما تستوجب الحالة قراءة دلالية سياقية، لأحد المكونات التركيبية، بصورة مختلفة عن القراءة المعجمية.

وعلى الرغم من اختلاف القراءتين: السياقية والمعجمية، إلا أنهما دائمًا متعالقتان(٢).

(1) R. Matthews: Apropose d,une a theorie Linguistique, P, P 52 - 53, 1971.

(2) R, Matthews: Apropose d, une a theorie Linguistique, p, 66, 1971.

النظريات اللغوية الحديثة التي اهتمت بدراسة الدلالات المجازية

أولا: النظرية التوليدية التحويلية*

لقد أولى علماء هذه النظرية اهتمامًا كبيرًا، بدراسة الدلالات المجازية، وبخاصة عند رائد النظرية: نوعم تشومسكي (N, Chomsky) وعند علمائها الآخرين من أمثال: ماثيوس (Matthews) وجاكندوف (Jachendoff) وميللر (Miller) وليتش (Leech) وغيرهم.

يرى تشومسكي (N, Chomsky) أن التراكيب المجازية من مظاهر الانحراف اللغوى، وذلك بتحديد العلاقات، بين التراكيب السليمة والتراكيب المنحرفة، مع الوقوف على الكيفية التى تم عن طريقها الانحراف، على كافة مستويات الانحراف، سواء أكان انحرافًا للقيود الانتقائية أو لقواعد بنية العبارة أو لقواعد التفريع.

ويرى تشومسكي أن تأويل الجمل المنحرفة، يعد تأويلا مشتقًا، وليس مباشرًا، وذلك يحدث في الجمل السليمة، التى يحدث فيها خرق لقواعد التصنيف الجزئى (التركيب النحوى الأساسى)(١).

كما يرى تشومسكي أن ثمة اختلافًا بين كمية الانحراف الناتجة عن خرق القواعد المقولية، والقواعد التفريعية والقواعد الانتقائية.

وأن الجمل الناتجة عن خرق القواعد الانتقائية، يمكن تأويلها استعاريًا، وذلك عن طريق قياسها مباشرة، بالجمل السليمة، التى تلتزم قواعد الانتقاء(٢).

(1) See: N, Chomsky: Aspects of the theory of Syntax, p 110, 1965.

(2) See: N: Chomsky, Aspects of the theory of Syntax,p, 203, 1965.

ويقسم تشومسكى الجمل المنحرفة إلى ثلاثة أنماط وهى:

(أ) خرق لمقولة معجمية:

١- الانتقال من الصفة إلى الاسم فى مثل:

ـ المظهر السياسى تعبير مباشر عن المظهر الاقتصادى التى تصبح:

ـ السياسى تعبير مباشر عن الاقتصادى.

٢- الانتقال من الاسم إلى الصفة: فى مثل:

إنهم يتحدثون عن جمهور شبح، لتصبح: ـ إنهم يتحدثون عن شبح.

(ب) خرق لسمة تفريعية: (كالانتقال من الفعل اللازم إلى المتعدى) فى مثل:

ـ اكتشفت المرأة، تصبح: ـ اكتشفت المرأة طفلها.

(جـ) خرق لسمة انتقائية: (كالانتقال من المحسوس إلى المجرد) فى مثل.

ـ لوثت النظريات الخاطئة فكر زيد.

ـ عالج عمرو الأزمة الثقافية.

أو كالانتقال من + إنسان إلى ـ إنسان، كما فى الأمثلة:

ـ كلمنى ثعلب ـ تزوج عمرو قمراً ـ أحب الرسوم الصامتة ـ ضحك الشلال.

فالتراكيب السابقة، تراكيب هامشية منحرفة على مستوى القدرة اللغوية، لا يمكن تأويلها إلا بقياسها بالجمل السليمة[١].

والحق، فإن وجهة نظر تشومسكى، التى تعتمد فى بناء التراكيب المجازية على خرق القيود الانتقائية أو الانحراف عنها، أمر لا يكفى للتنبؤ

---

(١) انظر: التوليد الدلالى ٦١.

بالتأويلات المجازيــة، أو للتمييز بين التأويل المجــازى الممكن والشذوذ أو الانحراف المتمثل فى التناقض المنطقى.

كمــا أن القول بأن التراكـيب المجازية، تــراكيب منحرفــة، يدعونا إلى التقليل من أهمية هذه التراكيب، ومن ثم فلا نستطيع تحديد الأنماط المطردة للتوسع والنقل الدلاليــين، على الرغم من إنتاج المتكلميــن لهذه الأنماط، ويقومون بتأويلها ـ أيضاً ـ بصفة مستمرة.

ثانياً: نظرية العلاقات المعجمية الدلالية: (اقتراحات جاكندوف):

يقترح جاكندوف ـ وفقا لنسق العلاقات الدلالية، عند كروبر ـ نظرية للعلاقات المحورية، تقوم بين المحمول وما ينتقيه من أدوار محورية: كالمحور والمكان والمنفذ والصدر والهدف والأداة. . . إلخ وتتلخص صورة العلاقة بين هذه الأدوار المحورية والبنية العميقة، في أن المكون الدلالي، يشتقها انطلاقًا من البنية العميقة.

ويتكفل الفعل في البنية بتحديد هذه العلاقة، أي إن المدخل المعجمي للفعل، يجب أن يربط بين العلاقات النحوية والأدوار المحورية[١].

تقدم نظرية الأدوار المحورية إمكانية تمثيل موجود لما هو مشترك بين عمليات محسوسة، وأخرى مجردة، وبين أحداث فيزيائية وأخرى نفسية[٢]، حيث تتمكن من توحيد استعمالات مختلفة للصورة الصرفية الواحدة للعقل، مما يمكننا ـ أيضًا ـ من إيجاد تعميمات مهمة داخل المعجم[٣].

وقد أضاف (روفت) مجموعة من السمات الانتقائية مثل: + إنسان + محسوس. . . إلى جانب الأدوار المحورية في المداخل المعجمية[٤].

ويبدو أن علاقة الأدوار المحورية بالسمات الانتقائية، يمكن تصورها على مستوى أعم، باعتبار أن الدور المحوري، ليس كيانًا دلاليًا بسيطًا، ولكنه مركب من السمات الانتقائية، فدور المنفذ عند جاكندوف ـ مثلاً ـ

(١) انظر التوليد الدلالي ٧١.

(2) See: Ruwet: A propose d, une classe de: verbles a psyeholoqiques, p, p 186 - 186, 1972.

(3) Jackendoff: semantic interpretation in generative grammar, p, 31, 1972.

(٤) انظر: التوليد الدلالي ٧٣.

يشمل + حي + إرادي، والأدوار الأخرى، يمكن أن تشمل سمات مثل: + مجرد + محسوس، إلى جانب السمات الأخرى.

وبعد... فإن النظرية الدلالية عند كل من جاكندوف وروفت، لا تتضمن المبادىء العلاقية الدلالية، بالقدر الكافي الذى يمكنها من رصد أكبر عدد ممكن من التراكيب المولدة والتمييز بينها، فهى لا تتضمن من المبادىء التى يمكن أن تحيل عليها القواعد العلاقية إلا مبدأ واحداً، بل إن هذا المبدأ الوحيد، ليس واضحًا، إنه ضمنًا مبدأ استعارى، يقوم على المشابهة التى ترجع إليها كل المبادىء العلاقية الاستعارية، فى مقابل المبادىء العلاقية الكنائية القائمة على علاقة المجاورة، إلى جانب أن قواعد الحشو الدلالية عند كل من جاكندوف وروفت لا تعالق إلا بين المداخل المتعالقة صرفيًا، وتعجز عن التعالق بين الوحدات المترابطة دلاليًا، كما أن هذه القواعد لا تسمح بعمل تعميمات ترصد مختلف أنواع التوسعات الدلالية[1].

نظرية القواعد التأويلية عند ميللر (G, A, Miller)

وهى عبارة عن نمط من قواعد الحشو، تصلح لتبسيط الفرضيات المتعلقة بالتصورات المعجمية.

ويرى ميللر أن الكلمات لها معنى مركزى (بؤرة) يتم تكييفه بشكل ملائم فى الجملة التى يرد فيها، وهذا يعنى أنه:

١- من الممكن تعيين المعانى البؤرية أو المركزية للكلمات المتعددة الدلالة (دلاليًا).

---

(١) انظر: التوليد الدلالى ٧٤ - ٨٤.

٢- من الممكن صياغة قواعد تأويلية، تضبط الكيفيات التى يمكن للمعنى النووى أن يتوسع بها لإعطاء المعانى الأخرى[١].

القواعد الاستعارية والكنائية عند ليتش (G, Leech)

يقدم ليتش فى إطار معالجته للجوانب الإبداعية أو التوليدية للمعجم مجموعة من القواعد المعجمية، وهى قواعد لا تفسر فقط حسب ليتش، الكيفية التى تظهر بها مداخل جديدة على أساس المداخل الموجودة مسبقًا، بل تفسر - أيضًا - علاقات الاشتقاق التى نتعرف عليها بين المداخل المعجمية القائمة فى اللغة.

فى هذا الإطار يعالج ليتش النقل الدلالى (الاستعارى والكنائى) عن طريق قواعد معجمية، تكون فيها التخصصات الصورية للوحدات المعجمية متماثلة مع تغير فى التخصصات الدلالية[٢].

وعلى الرغم من إدخال ليتش مبادىء كنائية، إلى جانب المبادئ الاستعارية، وهو تقدم بالنسبة للاقتراحات السابقة، فإن نسقه يبقى محدودًا أو غير واضح، ويكمن ذلك فى أنه لا يقدم أية فرضية بصدد العلاقة بين التأويلات المجازية، والترابطات الدلالية المعجمية كما لا نجد لديه قيودًا على المبادئ الكنائية والاستعارية، تمكن من تقديم أساس نفسى لهذه المبادئ، وإمكانية التميز بين المطرد منها وغير المطرد[٣].

كما لم تقدم الاقتراحات السابقة المتعلقة بتأويل التراكيب الدلالية المولدة مبادئ علاقية دلالية واضحة، تمكن من رؤية العلاقة القائمة بين

(١) انظر: التوليد الدلالى ٨٤.

(٢) انظر: التوليد الدلالى ٨٤.

(٣) انظر: التوليد الدلالى ٨٩.

القراءات المعجمية للوحدات وتأويلاتها السياقية الممكنة، ورصدها يعتمد بعض هذه الاقتراحات على القول بالشذوذ أو الانحراف الدلالي في التخلص من المشكلة، على نحو ما ورد عند تشومسكي، كما تقدم الآليات الوصفية، دون تحديد لنوع القيود على هذه الآليات، التي يمكن عن طريقها التمييز بين الحالات المطردة في توسيع المعنى ونقله، والحالات غير المطردة أو الشاذة[١].

فرضية البنية التصويرية لدى جاكندوف (R, Jackendoff)

ترى هذه الفرضية أن هناك مستوى واحداً للتمثيل الذهني، هو البنية التصورية، تنسجم فيه المعلومات اللغوية والحسية والحركية.

وتنسحب مبادىء البنية التصورية على معرفتنا، بكل أنواع الدلائل واستعمالها، فهي تتعلق بتجاربنا الفكرية والجمالية والحسية... فهي تعنى بمختلف أنساقنا المعرفية والإدراكية، انطلاقاً من تآلفنا مع معنى حركات أجسامنا وأوضاعها الفضائية والقيم المختلفة، إلى تعاملنا مع الأعمال الفنية والصناعات... إلخ[٢].

ولما كانت كثير من تجاربنا ونشاطاتنا استعارية وكنائية في طبيعتها، فإن كثيراً من المجاورات والمشابهات التي ندركها قائمة على التصورات الكنائية والاستعارية.

فثمة تجاورات تنتجها تصورات كنائية بين الجزء والكل أو بين السبب والمسبب وثمة تشابهات تنتجها تصورت استعارية اتجاهية، بين الاتجاه إلى

(١) انظر: التوليد الدلالي ٩٠.

(٢) انظر: دلالة الألفاظ ١٣٤ انظر: التوليد الدلالي ٩٢.

أعلى والقيم الإيجابية أو انطولوجية بين الزمن والمادة، فتمكن من نشوء الزمن، وجعله وعاء وتجزيئه إلى وحدات، لها قيم معينة أو بنيوية بين الأفكار والغذاء إذ كلاهما يهضم ويغذى ويلتهم... إلخ[١].

لكن هذا التصور يتعارض مع بعض وجهات النظر التقليدية، التى لا ترى فى الاستعارات والكنايات إبداعًا لمشابهات ومجاورات جديدة، حيث إن الاستعارة والكناية مجرد تعبير عن نوع آخر عن علاقات موجودة مسبقة، ولا يمكن أن تبدع جديداً.

تربط وجهة النظر هذه بين الاستعارات والكنايات باللغة فقط، دون النشاطات الأخرى، الفكرية والعلمية، بناء على أن استعمال المجاز مخصوص بالألفاظ دون الأفعال (كالقيام والقعود والصور والهيئات) فلا ترد فيها المجازات بحال[٢] ويمكن تسمية التصور السابق بالتصور غير البنائى.

أما التصور البنائي، فهو يرى أن المعرفة نتيجة تصور ذهنى، وأن اللغة والإدراك والمعرفة أشياء تابعة لبعضها بشكل غير قابل للانفصام، وهذا التصور يعطى دوراً هامًا للاستعارات، سواء بالنسبة للغة أو بالنسبة للفكر، ويميل إلى إلغاء التمييز بين ما هو حقيقي، وما هو استعارى[٣].

إن استعمال اللغة نشاط إبداعي أساسًا، كما هو الحال بالنسبة لفهمها، وإذا أمكن للمجاز أن يكون أحيانًا أكثر إبداعية من لغة الحقيقة، فإن الفرق يبقى كميًا وليس كيفيًا.

(١) انظر: التوليد الدلالى ٩٩.

(٢) انظر: الطراز ليحيى بن يحيى العلوى ٨٨ - ٨٩.

(٣) التوليد الدلالى ١٠١.

ويمكننا القول بأن للمجازات القدرة على خلق واقع جديد، ويبدأ ذلك عندما نأخذ في فهم تجربتنا أو الإحالة عليها، تصبح واقعًا عميقًا، عندما نأخذ في الممارسة على ضوئها، ومن خلالها.

ويمكننا القول بأن كثيراً من تعبيراتنا الكلامية، إنما تنشأ من تصورات مجازية جديدة، واختفاء أخرى قديمة.

ويهمنا في هذا المقام أن نقدم لمجموعة مبادئ المجاورة التصورية، التي يعتمدها البحث أساسًا في الربط بين الدلالات الحقيقية، والدلالات المجازية على النحو التالي(١):

١ - علاقة السبب بالمسبب:

تعد السببية من التصورات التي يستعملها الناس باستمرار لتنظيم واقعهم الفيزيائي والثقافي(٢).

٢- علاقة المنتج بالناتج:

ويمكننا إدراجه في إطار المبدأ السببي بوجه عام، وهو مبدأ يرصد علاقات كالتي نقيمها بين الكتاب ومؤلفه، وبين اللوحة والرسام.

ويتجلى هذا المبدأ في اللغات الطبيعية، في العلاقة الصرفية ـ الدلالية ـ المعجمية بين عناصر من مثل: كاتب ـ كتاب، رواية ـ روائي، خبز ـ خباز، نسيج ـ نساج.

٣- علاقة المصدر الطبيعي بالنتاج الطبيعي:

ولهذا المبدأ علاقة بالمبدأ العام السببي ـ أيضًا ـ ويقصد بالنتاج الطبيعي،

(١) انظر: التوليد الدلالي ١١٤ - ١٢٥.

(2) G, lakoff and M, johnson, metaphers we live by. 69, 1980.

كل ما يصدر عن النبات والحيوان والكائنات عمومًا، كصدور الثمار عن النبات، ونحو ذلك، ويتجلى هذا المبدأ فى اللغات الطبيعية، على مستوى الوحدات المعجمية، فى حالة الوحدات الملتبسة دلاليا، التى تدل فى نفس الوقت على النتاج الطبيعى، ومصدره الطبيعى.

٤- علاقة الأداة بالناتج:

ويتجلى هذا المبدأ في الوحدات الصرفية للغات الطبيعية، في معجمة بعض التعالقات بين أسماء الأشياء، وأسماء الآلات المستعملة في إنتاجها، كعلاقة: الطاحون بالطحينة مثلا.

٥- علاقة الموضوع بالفعل:

ويدخل هذا المبدأ فى مجموعة العلاقات التصورية التى تهم علاقات المجاورة القائمة بين الأفعال (acts) وموضوعاتها (objects) ومنفذيها (agents) والأدوات الرئيسية المستخدمة فى إنجازها.

٦- علاقة الأداة بالفعل:

ويتجلى هذا المبدأ فى العلاقات التى تقيم ترابطات بين الأفعال وأدوات إنجازها، وذلك فى مثل الأدوات: الحبال والأقلام والكئوس والسكاكين، التى تستخدم فى أفعال: الربط والكتابة والشرب والقطع..

٧- علاقة المنفذ بالفعل:

ويتجلى هذا المبدأ فى العلاقات التى لا تكاد تحتاج إلى استدلال، كما يحدث فى علاقة أسماء المنفذين بما يمارسونه من أفعال، كالملاكم الذى يمارس الملاكمة والكاتب الذى يمارس الكتابة، ونجد ذلك فى معاجم اللغات الطبيعية كثيراً فى مثل: تسابق ومتسابق، ودرس ومدرس وغيرها.

٨- علاقة المنفذ بالأداة:

ويتجلى هذا المبدأ فى العلاقة بين المنفذ والأداة المتميزة التى يستخدمها المنفذ فى إنجاز الفعل ومن أمثلته: علاقة المحارب بالسلاح، وعلاقة الكاتب بالقلم، وعلاقة المسافر بوسيلة السفر... إلخ.

٩- علاقة الجزء بالكل:

ويتجلى هذا المبدأ فى علاقات جزئية منبثقة من كيانات كلية، كعلاقة الشراع بالسفينة، والنصل بالرمح، والجدار بالبناء... إلخ.

١٠- علاقة الفعل البسيط بالفعل المركب:

ويتجلى هذا المبدأ فى الربط بين أفعال بسيطة، تقتضى فى إنجازها أفعالاً مركبة، مثل فعل: الطبيخ مثلاً، الذى يتطلب أفعالاً مركبة مثل: الغسل والقطع وأيقاد النار وملء الأوانى وإعداد الموائد، وغير ذلك، وتشمل اللغات الطبيعية على عديد من الأفعال البسيطة ذات العلاقة بالأفعال المركبة.

١١- علاقة الوعاء بالمحتوى:

ويتجلى هذا المبدأ فى العلاقة بين الأوعية ولما تحتوى عليه، حتى لو كانت هذه الأوعية فارغة، حيث تربط بين كوب الشاى والشاى، وكأس الخمر والخمر ونحو ذلك من الأوانى، وتشتمل اللغات الطبيعية على كثير من الوحدات اللغوية التى تمثل هذه العلاقة.

١٢- علاقة الحال بالمحل: (العلاقة المكانية):

وهذا المبدأ منبثق عن المبدأ السابق ومشتق منه، ليقوم بين الحالّ

والمحل فالمحل: يشمل كل الفضاءات المحددة جغرفيًا وسياسيًا، كالبلدان والمدن، أما الحالّ فيشمل الأفراد والجماعات الحالة في هذه الفضائيات.

١٣- علاقة المالك بالملكية:

وهو مبدأ يربط المالك والملكية، والمالك إما أن يكون فردًا أو جماعة، والملكية لا تشمل مجرد الأشياء الفيـزيائية فقط، وإنما تمتد إلى الممتلكات الأخرى المعنوية، كالذاكرة والجمال والمنصب والجاه والسلطان... إلخ.

أسباب التطور الدلالي وعوامله:

يرجع د/ إبراهيم أنيس أسباب التطور الدلالي إلى سببين اثنين هما[١]:

١- **تطور لا شعوري:** يتم في كل لغة، وفي كل بيئة، ثم لا يفطن إليه إلا بعد المقارنة بين عصور اللغة.

٢- **تطور مقصود متعمد:** وهو الذي يقوم به المهرة في صناعة الكلام، وتقوم به المجامع اللغوية، لهدف أو لآخر، وهذا التطور المقصود المتعمد أقل أثرًا في اللغات بوجه عام، ويعد من دلالة الطفرة من دلالة الألفاظ.

أما عوامل التطور الدلالي، فيرجعها ـ أيضًا ـ إلى عاملين اثنين وهما[٢]:

أولاً: الاستعمال وعناصره:

(أ) سوء الفهم.

(ب) بلى الألفاظ.

(جـ) الابتذال.

حيث يختلف الناس في حدود الكلمة الهامشية، وفي دلالتها، وما يكتنفها من ظروف وملابسات، تتغير كل يوم وتتنوع بتنوع التجارب، فإذا ورثتها الأجيال الناشئة، لم ترثها على حالتها الأولى، بل ترثها مع بعض الانحراف في الدلالة، ثم يتفخم ذلك الانحراف مع توالي الأجيال[٣].

ثانيًا: الحاجة: وهذا النوع من التطور يتم ـ عادة ـ على يد الموهوبين من أصحاب المهارة في الكلام، كالشعراء والأدباء، كما تقوم به المجامع اللغوية أو الهيئات العلمية، حين تعوز الحاجة إليه[٤].

(١) انظر: دلالة الألفاظ ١٣٤ وانظر: التطور اللغوي، مظاهره وعلله وقوانينه ١٥ - ٢٣.

(٢) انظر: دلالة الألفاظ ١٣٤.

(٣) انظر: دلالة الألفاظ ١٣٥. (٤) دلالة الألفاظ ١٤٥.

والسبيل إليه، هو ما يسمى بالمجاز أو الانتقال باللفظ من مجاله المألوف إلى آخر جديد عليه.

وأما عن مبررات هذا التطور ودوافعه، فنوجزها فيما يلي[١]:

١- توضيح الدلالة: وذلك بجعل الصورة الذهنية من الجلاء والصقل، بحيث لا تترك مجالاً للوهم أو الشك، ويكون هذا ـ عادة ـ حين تنتقل الدلالة المجردة، إلى مجال الدلالة المحسوسة الملموسة.

٢- رقى الحياة العلمية: يجمع الباحثون على أن تطور الدلالات المجردة بتطور العقل الإنسانى ورقيه، وهذا التطور الذى يطلق عليه، المجاز، ليس هو المجاز البلاغى، وإنما هو مرحلة تاريخية متميزة لتطور الدلالة عند الأمم، فى حين أن المجاز البلاغى لا يتوقف وجوده أو شيوعه على تطور العصور التاريخية.

وانتقال الدلالة من المجال المحسوس إلى المجال المجرد، يتم ـ عادة ـ فى صورة تدريجية، وتظل الدلالتان سائدتين جنبًا إلى جنب زمنًا ما، وخلاله قد تستعمل الدلالة المحسوسة، فلا تثير دهشة أو غرابة، وتستعمل فى نفس الوقت الدلالة المجردة، فلا يدهش لها أحد.

وليست إحداهما حينئذ بأحق وأولى بالأصالة من الأخرى، حتى يمكن أن تعد إحدى الدلالتين مما يسمى بالحقيقة، والأخرى مما يسمى بالمجاز، إذ لا مجاز ولا حقيقة بينهما فى مثل هذه الحال![٢].

(١) دلالة الألفاظ ١٦٠ - ١٦١.

(٢) دلالة الألفاظ ١٦٢.

ثم قد تنزوى الدلالة المحسوسة، فى ركن من أركان الدلالة الأصلية، وتعثر عليها حينئذ فى بعض النصوص القديمة المتحجرة أو الأمثال، فى صورة نفس اللفظ أو بعض مشتقاته، وقد تندثر الدلالة المحسوسة، ويصعب ـ حينئذ ـ الاستدلال عليها[١].

* * *

(١) دلالة الألفاظ ١٦٢.

نماذج تحليلية للمجازات المنسية في اللغة العربية
في ضوء مبادئ العلاقات الدلالية وقواعدها

أزم: أزم بالفرس على فأس اللجام: عض عليه وأمسكه[١]، وذكر صاحب اللسان: الأزم: شدة العض بالفم كله، وقيل بالأنياب، وقيل: هو أن يعضه ثم يكرر عليه ولا يرسله، ومنه حديث الصديق ﷺ: «فأقسم على أبو عبيدة، فأزم بها بثنيته، فجذبها جذبا رفيقًا» أي عضها بين ثنيته[٢].

ومن المجاز: أزم الدهر علينا، وأزمتنا أزمة، وأصابتهم أزمة[٣]، وذكر ابن سيدة: الأزمة: الشدة والقحط وجمعها: أزم، قال أبو خراش: (الطويل):

جزى الله خيراً خالداً من مكافيء

على كل حال من رخاء من أزم

وفي الحديث: «اشتدى أزمة تنفرجي «قال: الأزمة: بالسنة المجدبة، وأزم العام عليهم: الدهر، وقال ابن برى: أنشد أبو على: (الوافر)[٤]:

أهان لها الطعام فأنفذته

غداة الروع إذ أزمت أزوم

وقد انتقلت الدلالة الحقيقية الأصلية للكلمة: أزم من معنى: العض والإمساك، إلى الدلالة المجازية في معنى الشدة والقحط، في إطار العلاقة (السبب والمسبب) فالعض سواء بالفم كله أو بالأنياب، يعد سببًا من أسباب

(١) أساس البلاغة ٥. (٢) اللسان ١٢/ ١٦.
(٣) أساس البلاغة ٥. (٤) اللسان ١٢/ ١٦.

الشدة! أو في إطار العلاقـة: (الأداة بالناتج) حيث ينتج عن العض بالأنياب وحدها أو بالفم كله ضـيقًا وشدة وألمـا، وكذا في شأن الدهر باعـتباره أداة للعض، ينتج عن الشدة والقحط!.

وتنوسـيت الدلالة المـجـازية لمعـنى الكلمـة: أزم وما يشـتق منهـا، وأصبحت تدل على الحـقيقة، في الواقع اللغوى، وانتـشرت دلالة الكلمة في الواقع اللغوى المـعاصر في مثل قـولهم: أزمة المياه بين تركـيا وسوريا والعراق، وأزمة في العلاقات السياسية.

أيد: رجل أيد وذو أيـد، ورفع الله السـمـاء بأيد[1]، وذكر صـاحب اللسان، الأيد والآد جميعًا: القوة، قال العجاج: (الرجز):

* من أن تبدلت بآدى آدا *

وفي خطبة لعلي ـ كرم الله وجهـه ـ: «وامسكها من أن تمور بأيده: «أي بقوته ـ عز وجل ـ ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الأَيْدِ﴾ (سورة ص: ١٧).

وذكر الزمخشرى مـن المجاز: لفلان عندى يد، وأيديت عنده ويديت: أنعمت منه، ومـالك عليه يد: ولاية[2] وقد أيده على الأمر، والتـأييد مصدر أيدته: أي: قويتـه، قال الله تعالى: ﴿إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ (المائدة: ١١٠) وفي التنزيل العزيز: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ (الذاريات: ٤٧)[3] ويشيع استعمال الكلمة في لغة الخطاب المعاصر في معنى: التقوية أيضًا، ومن ذلك قولهم: وقد أيدت الدول قرار الاستقلال ونحو ذلك.

وقد انتـقلت دلالة الكلمة الحـسيـة، في الدلالة على عضـو: اليد، من

(١) أساس البلاغة ١٣. (٢) أساس البلاغة ٥١٢.

(٣) اللسان ٣/ ٧٦.

أعضاء الجسم، إلى الدلالة المجردة، في القوة والمنعة، في إطار العلاقة: (سبب بالمسبب) حيث يستخدم الناس أيديهم في الأعمال، التي يتقوى فيها الإنسان أو يقوى بها غيره، وكذا في إطار العلاقة: (المنفذ بالفعل) فاليد هي المنفذ لأفعال التقوية والتأييد.

ثم تنوسيت الدلالة المجازية المنقولة عن الدلالة الحسية، وأصبحت تدل في الواقع اللغوي على الدلالة الحقيقية.

بسط: بسط الثوب والفراش: إذا نشره[١]، وقال صاحب اللسان: وبسط الشيء: نشره بالصاد.. والبسيط من الأرض، كالبساط من الثياب، قال ذو الرمة: (الطويل):

ودو ككف المشتري غير أنه
بساط لأحقاف المراسيل واسع[٢]

وقال آخر: (الطويل)

ولو كان في الأرض البسيطة منهم
لمختبط عاف لما عرف الفقر

وفي أسماء الله: الباسط: وهو الذي يبسط الرزق لعباده، ويوسع عليهم بجوده ورحمته، ويبسط الأرواح في الأجسام عند الحياة[٣].

وذكر الزمخشري من المجاز: وإنه يبسطني ما يبسطك، ويقبضني ما يقبضك: أي يسرني ويطيب نفسي ما سرك، ويسوءني ما ساءك».

---

(١) أساس البلاغة ٢٢ واللسان ٧/ ٢٥٩.

(٢) اللسان ٧/ ٢٥٨.

(٣) أساس البلاغة ٢٢ وانظر اللسان ٧/ ٢٥٩.

واتنقلت الدلالة الحقيقية في بسط الفراش والثوب ونحوهما، في معنى: النشر إلى الدلالة المجازية المجردة في معنى: السرور والسعادة، في إطار العلاقة: (الموضوع بالفعل) فعملية نشر الثوب هي التوسع، ويكون السرور والفرحة عن طريق انفراج الأسارير وتوسعها.

وتنوسيت الدلالة المجازية المجردة وأصبحت دلالة حقيقية في الاستعمال اللغوي التراثي، كما هو وارد من نصوص تراثية، وفي الواقع اللغوي المعاصر ـ أيضًا ـ حيث يقول العامة: احنا مبسوطين قوي، ونحوها من العبارات العامية.

بنى: بنى بيتًا أحسن بناء وبنيانًا، وهذا بناء حسن[١]، والبناء المبنى.

قال لبيد: (الكامل)

فبنى لنا بيتًا رفيعًا سمكه

فسما إليه كهلها وغلامها

ابن الأعرابي: البنى: الأبنية المدر أو الصرف، والبنية: على فعيلة: الكعبة، لشرفها، إذ هي أشرف مبنى[٢].

ويذكر الزمخشري من المجاز: بنى على أهله: دخل عليها، وأصله أن المعرس، كان يبني على أهله خباء، وقالوا: بنى بأهله، كقولهم: أعرس بها[٣]، وذكرها صاحب اللسان: ولا يقال بأهله، هذا قول أهل اللغة، وحكى ابن جني، بنى فلان بأهله وابتنى بها، عداهما جميعًا بالباء.. والعامة

(١) أساس البلاغة ٣١.

(٢) اللسان ١٤/ ٩٤.

(٣) أساس البلاغة ٣١.

تقول: بنى بأهله، وهو خطأ، وليس من كلام العرب، وكأن الأصل فيه أن الداخل بأهله، كان يضرب عليها قبة ليلة دخوله، ليدخل بها فيها، فيقول: بنى الرجل على أهله، فقيل لكل داخل بأهله: بان، وقد ورد بنى بأهله فى شعر جران العود، قال: (الطويل)[١]

بنيت بها قبل المحاق بليلة

وكان محاقًا كله ذلك الشهر

بهر: بهره: غلبه، وبهراً له: دعا عليه أن يغلب[٢]، وذكر الزمخشرى من المجاز قمر باهر: وهو الذى يبهر ضوء الكواكب، ومن ذلك قول الشاعر: (الرجز):

* غم النجوم ضوؤه حين بهر *

* فغمى النجم الذى كان ازدهر *

وبهرت فلانة النساء: غلبتهن حسنًا[٣].

وقد انتقلت الدلالة المعنوية التى تفيد الغلبة والتمكن إلى دلالة أخرى معنوية مجازية، وهى: التمييز والوضوح فى إطار العلاقة: (الكلى بالجزئى) فالبهر فى الدلالة الحقيقية هو الغلبة والسيطرة والقهر بوجه عام، فى حين تحدد مدلول البهر فى الدلالة المجازية، فى التمييز والتفوق فى أمور الحسن والجمال.

وتوسيت الدلالة المجازية، وأصبحت تفيد الدلالة الحقيقية فى الواقع اللغوى، حيث شاع استعمالها أيضًا فى الخطاب المعاصر على وجه

(١) اللسان ١٤/ ٩٤. (٢) أساس البلاغة ٣٢ واللسان ٤/ ٨١.

(٣) اللسان ٤/ ٨١.

الحقيقة، يقال: هذا الجمال الباهر، وهذا البناء الجميل المبهر.. ونحو ذلك.

باخ: باخت النار، وباخ الحر: سكن[1]، وقال صاحب اللسان: باخت النار والحرب: سكنت وفترت، وكذلك: الحر والغضب والحمى، قال رؤبة: (الرجز)[2]:

* حتى يبوخ الغضب الحميت *

وذكر الزمخشرى من المجاز: عدا فلان حتى باخ، وشاخ حتى باخ[3].

وقد انتقلت الدلالة الحقيقية من معنى السكون والفتور، إلى الدلالة المجازية التى تفيد معنى: انعدام القيمة والضعف، وكذلك معنى: السخف والهوان فى لغة الخطاب العامى المعاصر، حيث يقولون: دى عاملة بايخة، وأنت رجل بايخ.. وغيرها من العبارات ! انتقلت الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية فى إطار العلاقة: (السبب بالمسبب) حيث إن سبب البوخ فى الدلالة الحقيقية هو السكون والفتور، وكذلك مسبب البوخ فى الدلالة المجازية هو: الضعف والسخف.

وترسيت الدلالة المجازية، وأصبحت تفيد الدلالة الحقيقية، فى الواقع اللغوى المعاصر، حيث شاعت الكلمة فى اللغة العامية على ألسنة المصريين وغيرهم.

بور: فلان له بوره، وعليك بوره: أى هلاكه، وقوم بور[4].

(١) أساس البلاغة ٣٣.
(٢) اللسان ٣/ ٩ - ١٠.
(٣) أساس البلاغة ٣٣ واللسان ٣/ ٩ - ١٠.
(٤) أساس البلاغة ٣٣.

قال عبد الله الزبعرى السهمى: (الخفيف)[١]:

يا رسول الإله إن لساني

راتق ما فتقت إذ أنا بور

وذكر الزمخشرى من المجاز: بارت الباعات: كسدت، وسوق بائرة، وبارت الأيم إذا لم يرغب فيها[٢]، وذكر صاحب اللسان: ومن وهذا قيل: نعوذ بالله من بوار الأيم، أى: كسادها، وهو أن تبقى المرأة فى بيتها، لا يخطبها خاطب.. وهى مع ذلك لا يرغب فيها أحد[٣].

وقد انتقلت الدلالة الحقيقية من معنى: الهلاك والضياع إلى الدلالة المجازية فى معنى الكساد، فى إطار العلاقة: (المنتج بالناتج) حيث يكون الناتج عمن أصابه الهلاك فى الدلالة الحقيقية هو الضياع والوبال والخسران، والناتج الكساد فى الباعات والأيم ونحوها فى الدلالة المجازية، هو الخسران والضياع أيضًا.

وتنوسيت الدلالة المجازية، وأصبحت دلالة حقيقية فى الاستعمال اللغوى التراثى كما أسلفنا، والواقع اللغوى المعاصر، حيث يكثر استعمال الكلمة على ألسنة العوام فى مصر وغيرها من الدول العربية، حيث يقول العوام فى مصر: الزرعة بارت والأرض بايرة، والبنت بايرة.. ونحو ذلك.

ثقب: ثقب الشىء بالمثقب، وثقب القداح عينه ليخرج الماء النازل، وثقب اللآل الدر، ودر مثقب[٤] وجاء فى اللسان: الثقب: اسم لما نفذ،

(١) اللسان ٤/ ٨٦.

(٢) أساس البلاغة ٣٣.

(٣) اللسان ٤/ ٨٦.

(٤) أساس البلاغة ٤٥.

الجوهري: الثقب بالفتح، واحد الثقوب، غيره: الثقب: الخرق النافذ، قال العجاج: (الزجر)[١].

* لخجنات يثقبن البُهره *

وذكر الزمخشري من المجاز: كوكب ثاقب ودري: شديد الإضاءة والتلألؤ، وكأنه مثقب الظلمة، فينفذ منها ويدرؤها.. ورجل ثاقب الرأي: إذا كان جزلاً نظاراً[٢].

وقد انتقلت الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية في إطار العلاقة: (المنفذ بالأداة) فالمثقب في الدلالة الحقيقية يقوم بالخرق والثقب، والإضاءة الشديدة وجزالة العقل، تقوم بخرق الظلمة وإزالتها، وتفتيق العقل وتوهجه.

وتنوسيت الدلالة المجازية، وأصبحت دلالة حقيقية في الاستعمال اللغوي، سواء في النصوص التراثية أو في الاستعمال اللغوي الأدبي المعاصر، حيث يندر استعمالها على ألسنة العوام.

جبر: جبر المجبر يده فجبرت[٣]، وذكر الزمخشري من المجاز: جبر الله يتمه، وجبرت الفقير: أعنته، وشبه فقره بانكسار عظمه، وفي الدعاء: اللهم اجبرنا، وجبرت فلانًا فاجتبر: أي نعشته فانتعش[٤].

وقد انتقلت الدلالة الحقيقية المحسوسة، وهي قطعة من الخشب أو

(١) اللسان ١٠/ ٢٣٩ – ٢٤٠.

(٢) أساس البلاغة ٤٥ واللسان ١٠/ ٢٤٠.

(٣) أساس البلاغة ٥٠ واللسان ٤/ ١١٣، ٤/ ١١٦.

(٤) أساس البلاغة ٥٠.

الجبس، ونحـوها، يربط بها العضو المكسـور لإعادة التئامه وتماسكه إلى الدلالة المـجازية المـجردة، وهي الإعـانة على الفـقر ونحـوها، في إطار العلاقة: (المنفذ بالأداة) فالجبيرة في الدلالة الحقيقية أداة تنفذ الالتئام للعضو المكسور، والإعانة والمساعدة بالمال ونـحوه، أو بتحقيق الراحة والاطمئنان بأدوات تنفذ المساعدة للآخرين مادية أو معنوية.

وتنوسيت الدلالة الـمجازية، وأصـبحت دلالة حقـيقيـة في الاستعـمال اللغوي التراثي كـما ورد في النصوص وفي الواقع اللغوي المـعاصر الأدبي والعامي، فالعامة تقول: جبر الخواطر على الله، اجبرني الله يجبرك، ونحو ذلك من العبارات.

جبه: جبهـة ذات بهجة، ورجل أجبه عريـض الجبهة، وجبهـته: ضربت جبهته[1]، والجبهة: موضع السجود، وقيل هي مستوى ما بين الحاجبين إلى الناصية[2]، وذكر الزمـخشري من المـجاز: هو جـبهة قـومه، كمـا يقال: وجههم، وجاءني جبهة بني فلان: لسرواتهم، وجاءتني الخيل: لخيارها.

وقال بعض بني فزارة: (البسيط):

وليت جـبـهـة خـيلي شطر خـيلهم
وواجـهـونا بأسـد قـابلوا أسـدا

يريد: خيارها[3].

وقد انتقلت الدلالة الحقيقية الحسية إلى الدلالة المجازية المجردة، في إطار العلاقة (المكانية) فعضو الجبهـة في مقدم جسم الإنسان وغيره، وخيار الأشياء تأتي في مقدمتها أيضًا.

(١) أساس البلاغة ٥١.
(٢) اللسان ١٣/ ٤٨٣.
(٣) أساس البلاغة ٥١ واللسان ١٣/ ٤٨٣.

وتنوسيت الدلالة المجازية، وأصبحت دلالة حقيقية في الاستعمال اللغوى التراثى، والواقع اللغوى الأدبى المعاصر، ويمتنع ورودها فى الاستعمال اللهجى.

جرن: جرن التمر فى الحرين: أى فى المربد[١] وذكر صاحب اللسان: الجران باطن العنق إلى منحره، فإذا برك البعير، ومد عنقه على الأرض، قيل: ألقى جرانه على الأرض، والحرين: موضع البر، وقد يكون للتمر والعنب، والجمع: أجرنه وجرن، والجرين: بيدر الحرث، والجرن والجرين: موضع التمر الذى يجفف فيه[٢].

وذكر الزمخشرى من المجاز: ضرب الإسلام بجرانه: أى ثبت واستقر، وهو من المجاز المنقول من الكناية فى قولهم: ضرب البعير بجرانه: تدالفت بجرانه[٣]، ومن ذلك حديث عائشة ﵂: (حتى يضرب الحق جرانه) أرادت أن الحق استقام وقرّ في قراره، كما أن بالبعير إذا برك واستراح، مد جرانه على الأرض أى عنقه[٤].

وقد انتقلت الدلالة الحقيقية المحسوسة سواء أكانت الجرين، بيدر التمر والعنب ومكان تجفيفه، أم كانت عنق البعير، إلى الدلالة المجازية المجردة فى معنى: الاستقرار والثبات فى إطار العلاقة: (المكانية) فالجرين، هو المكان الصلد، الذى تستقر عليه الأشياء، لتجف، وكذلك: جران البعير، الذى يثبت به على الأرض، والإسلام لكى يستقر وتطمئن به القلوب، يحتاج إلى مكان صلد متين، من قلوب المؤمنين الصادقين، ليصبح مستقراً ثابتًا.

---

(١) أساس البلاغة ٥٧.
(٢) اللسان ٣/ ٨٦ - ٨٧.
(٣) أساس البلاغة ٥٠.
(٤) اللسان ٣/ ٨٦.

وتنوسيت الدلالة المجازية وأصبحت دلالة حقيقية، في الاستعمال اللغوى كما وردت في النصوص التراثية، وكذلك في الاستعمال اللغوى الأدبي المعاصر، حيث يندر ورودها على ألسنة العوام، أو بالأحرى يمتنع!.

جيش: جاشت القدر واستجاشت: غلت، والجيشان: جيشان القدر، وكل شيء يغلى فهو يجيش[1]، وذكر الزمخشري من المجاز: جاش البحر بالأمواج، وإن صدره ليجيش على الغل، وجاشت إليه نفسه، قال ذو الرمة: (الطويل)[2]

تجيش إلى النفس في كل دمنة

لعى ويرتاح الفؤاد المشوق

وقد انتقلت الدلالة الحقيقية المحسوسة إلى الدلالة المجازية المجردة في إطار العلاقة: (الوعاء بالمحتوى) حيث تغلى المياه في القدر والإناء بفعل الحرارة، وتضطرب النفس والصدر بالخفقان بفعل الغل والضيق والألم، فالإناء يغلى لاحتوائه على الحرارة، والقلوب والأمواج والصدر تضطرب لاحتوائها على مثيرات من الهم والحزن ونحوها، ويمكن أن تنتقل الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية في إطار العلاقة: (السبب بالمسبب) فتكون الحرارة سببًا في الغليان، ويكون الضيق والحرج سببًا في الخفقان والاضطراب.

وتنوسيت الدلالة المجازية، وأصبحت دلالة حقيقية في الاستعمال

(١) أساس البلاغة ٧٠ واللسان ٦/ ٢٧٧.

(٢) أساس البلاغة ٧٠ واللسان ٦/ ٢٧٧.

اللغوى التراثى، والواقع اللغوى الأدبى المعاصر، ويمتنع ورودها على ألسنة العوام أو يكاد.

حذق: حذق السكين الشيء: قطعه، وسكين حاذق وحذاقى[1]، وجاء فى اللسان: والحذيق: المقطوع، وأنشد ابن السكيت لزغبة الباهلى: (الوافر)[2]:

أنور أسرع ماذا يا فروق
وحبل الوصل منتكث حذيق

وذكر الزمخشرى من المجاز: حذق القرآن: أتم قراءته وقطعها، وحذق صناعته، وهو حاذق فيها، بين الحذق والحذاقة، وإنه لحذاقى اللسان: حديده بينه، وإنه ليحذق علينا: إذا أظهر الحذق، وادعى أكثر مما عنده، وذكر الزمخشرى: ومنه حذلقه وتحذلق، وهو من المتحذلقين، واللام مزيدة[3]، وجاء فى اللسان: والحذاقى: الفصيح اللسان والبين اللهجة، قال طرفة: (البسيط)[4]

إنى كفانى من أمر هممت به
جار كجار الحذاقى الذى اتصفا

وقد انتقلت الدلالة الحقيقية المحسوسة إلى الدلالة المجازية المجردة

(١) أساس البلاغة ٧٨. (٢) اللسان ١٠/ ٤٠.

(٣) أساس البلاغة ٧٨، والحق، فإن اللام ليست مزيدة، كما يقول الزمخشرى، وإنما هى مقلوب إحدى القافين، فيما يسمى بقلب أحد المتماثلين صوتًا من الأصوات المائعة، للتيسير العضلى فى النطق، فى إطار قانون المخالفة الصوتية، انظر: التطور اللغوى، مظاهره وعلله وقوانيه ٥٧ وما بعدها.

(٤) اللسان ١٠/ ٤١.

في إطار العلاقة: (الأداة والفعل) حيث تقوم السكين في الدلالة الحقيقية بالقطع، ويقوم اللسان بالقول الفصل، ويقوم العقل بالفعل المحكم الدقيق، كحفظ القرآن الكريم وإتمامه.

وتتوسيت الدلالة المجازية وأصبحت دلالة حقيقية في الاستعمال اللغوى التراثى والواقع اللغوى الأدبى المعاصر، وقلبت العامة فى مصر الذال دالاً، فهم يقولون أنت حدق، و وهو حدق: بمعنى الماهر المتمكن[1].

حقد: حقد المطر وأحقد: احتبس، وكذلك المعدن: إذا انقطع فلم يخرج شيئًا، وحقدت الناقة: امتلأت لحمًا[2]، ومن المجاز: الحقد: إمساك العداوة في القلب، والتربص لفرصتها، والحقد: الضغينة.. والجمع: حقائد، قال أبو صخر الهذلى: (الطويل)[3]:

وعدْ إلى قوم تجيش صدورهم
يغشى ولا يخفون حمل الحقائد

وانتقلت الدلالة الحقيقية المحسوسة إلى الدلالة المجازية المجردة فى إطار العلاقة (الوعاء بالمحتوى) فالدلالة الحقيقية فى احتباس المطر فى السماء، وانقطاع المعدن فى الأرض، وكذلك الدلالة المجازية فى احتباس الضغينة في القلب.

وتتوسيت الدلالة المجازية، وأصبحت دلالة حقيقية فى الاستعمال

(١) حول المصريون فى لهجات الخطاب العامى صوت الذال دالاً، وكذا بقية الأصوات الأسنانية: الثاء والظاء، وحولوها إلى أصوات أخرى قريبة المخرج، وذلك للتخفيف من المجهود المضلى والتيسير، لأن نطق الأصوات الأسنانية يتطلب جهداً بوضع طرف اللسان بين الأسنان العليا والسفلى، انظر: التطور اللغوى ٨٣ وما بعدها.

(٢) اللسان ٣/ ١٥٤.

(٣) اللسان ٣/ ١٥٤.

اللغوى التراثى كما ورد فى النصوص، وكذلك الواقع اللغوى المعاصر، الأدبى والعامى، حيث تشيع الكلمة فى لغة الخطاب بنوعيه الأدبى والعامى، حيث يقولون فى العامية: فلان ده حقود، وحقده أسود، وقلبه حقود، وغيرها من العبارات[١].

حنك: قرع الفأس، حنك الفرس: وهو سقف أعلى الفم، وحنكت الصبى، وحنكت، وهو محنك ومحنوك: إذا دلكت ثمرة ممضوغة على حنكه، وحنكت الدابة: غرزت عودًا فى حنكه.. وحنك الدابة: جعل الرس فى فمها[٢]، وذكر صاحب اللسان: الحنك من الإنسان والدابة: باطن أعلى الفم من داخل، وقيل: هو الأسفل من طرف مقدم اللحيين من أسفلهما، قال حميد يصف الفيل: (الرجز)[٣]:

فالحنك الأعلى طوال سرطم

والحنك الأسفل منه أقضم

وذكر الزمخشرى من المجاز: حنكته السن، وحنكته الأمور: فعلت ما يفعل الفرس إذا احتنك، حتى عاد مجربًا مذللا[٤]، والحنكة: السن والتجربة والبصر بالأمور، وحنكته التجارب والسن: هذبته[٥].

وقد انتقلت الدلالة الحقيقية المحسوسة إلى دلالة مجازية مجردة فى

(١) حول المصريون فى الوجه البحرى صوت القاف همزة، وذلك للقرابة المخرجية من ناحية والاتفاق فى صفة الهمس من ناحية أخرى، وذلك للتيسير والسهولة، كما حولها المصريون فى الوجه القبلى إلى صوت الجاف الفارسية، أو الجيم القاهرية، وذلك أيضًا لقرابة المخرج، ولكن الصفات قد اختلفت، فالقاف مهموسة، والجيم مجهورة.

(٢) أساس البلاغة ٩٧.

(٣) اللسان ١٠/ ٤١٦.

(٤) أساس البلاغة ٩٧.

(٥) اللسان ١٠/ ٤١٧.

إطار العلاقة (السبب بالمسبب) فسبب جعل الفرس مدربًا مذللاً هو الحناك، وسبب خبرة الإنسان وتمرسه هو السن والتجارب والأمور والمواقف.

وتوسيت الدلالة المجازية وأصبحت دلالة حقيقية فى الاستعمال اللغوى التراثى، والواقع اللغوى المعاصر الأدبى والعامى على السواء.

دبر: وصك دابرته، أى: عرقوبه، وضرب الجارح دابرته، والجوارح بدوابرها: وهى الإصبع فى مؤخر رجله، وجاء فى اللسان: الدبر والدبر: نقيض القبل، ودبر كل شىء عقبه ومؤخرته، وقطع الله دابرهم: أى آخر من بقى منهم، وفى التنزيل ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ (الأنعام: ٤٥) أى: استأصل آخرهم، وأنشد الأصمعى لوعلة: (الطويل)[١]:

فدى لكما رحلى أمى وخالتى

غداة الكلاب إذ تحز الدوابر

والدُّبرُ والدبْر: الظهر، وقوله تعالى: ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾ (القمر: ٤٥)[٢] وذكر الزمخشرى من المجاز: يقال: واستدبر من أمره ما لم يكن استقبل، أى: عرف فى آخره ما لم يعرف فى أوله، ويقال: ما يعرف قبيلاً من دبير، وجعله دبر أذنه: أعرض عنه[٣].

وقد انتقلت الدلالة الحقيقية الحسية إلى دلالة مجردة مجازية فى إطار العلاقة (المكانية) فمكان الدبر فى الدلالة الحقيقية هو المؤخرة أو الظهر، وكذا الحال فى الدلالة المجازية، تفيد آخر الشىء أو الشىء المهمل.

(١) أساس البلاغة ١٢٥.

(٢) اللسان ٤/ ٢٦٨.

(٣) أساس البلاغة ١٢٥ واللسان ٤/ ٢٦٨.

وتنوسيت الدلالة المجازية، وأصبحت دلالة حقيقية فى الاستعمال اللغوى التراثى، والواقع اللغوى المعاصر الأدبى والعامى، يقولون: تدبرت الأمر، ونحو ذلك، أى: نظرت فى عواقبه وأواخره، وفلان يدبر مكيدة، أو يدبر لحياته.. ونحو ذلك.

دمغ: الدماغ: حشو الرأس، وأم الدماغ: الهامة، وقيل: الجلدة الرقيقة المشتملة عليه، شجه حتى بلغت الشجة الدماغ، واسمها الدامغة(١)، وذكر الزمخشرى من المجاز: دمغ الحق الباطل: إذا علاه وقهره، وقوله تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ﴾ (الأنبياء: ١٨) أى: يعلوه ويغلبه ويبطله، قال الأزهرى: فيدمغه، فيذهب به ذهاب الصغار والذال(٢).

وقد انتقلت الدلالة الحقيقية المحسوسة إلى دلالة مجازية مجردة فى إطار العلاقة: (المكانية) فالدماغ هو مركز التوازن والتفكير عند الإنسان وغلبة الحق للباطل فى الدلالة المجازية، تكون بالسيطرة على هذا المكان وقهره وشله عن التفكير.

وتنوسيت الدلالة المجازية وأصبحت دلالة حقيقية فى الاستعمال اللغوى التراثى، والواقع اللغوى الأدبى المعاصر، ويمتنع وروده فى لغة الخطاب العامى.

ذرع: ذرعت الثوب بذراعى، وهى من طرف المرفق، إلى طرف الوسطى، ثم سمى بها العود المقيس بها، وذرع فى سيره وباع فيه: إذا مد

(١) اللسان ٨/ ٤٢٤.

(٢) اللسان ٨/ ٤٢٥ وأساس البلاغة ١٣٦.

ذراعه وباعه[١]، وجاء في اللسان: الذراع: ما بين طرف المرفق إلى طرف الإصبع، وقال الشاعر يصف قوسًا عربية: (الرجز)[٢]:

* أرى عليها وهى فرع أجمع *

* وهى ثلاث أذرع وإصبع *

وذكر الزمخشرى من المجاز: ضاق بالأمر ذرعًا وذراعًا: إذا لم يطقه[٣]، وذكر صاحب اللسان: والأصل فيه أن يذرع البعير بيديه فى سيره ذرعًا على قدر سعة خطوه، فإذا حملته على أكثر من طوقه، قلت: قد أبطرت بعيرك ذرعه، أى: حملته من السير على أكثر طاقته حتى يبطر ويمد عنقه ضعفًا عما حمل عليه، وفى حديث ابن عوف: قلدوا أمركم رحب الذراع، أى: واسع القوة والقدرة والبطش[٤].

وقد انتقلت الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية فى إطار العلاقة: (المنفذ بالأداة) حيث يستعين الإنسان بذراعه فى تحركه وسيره، فالذراع أداة همة تعين صاحبها على حركة المسير، وضيق المرء وعدم قدرته على الشيء تكون بسبب عدم قدرة الأداة التى تنفذ ذلك،و والذراع عضو من الأعضاء المعينة على فعل الأشياء، وتنوسيت الدلالة المجازية، وأصبحت دلالة حقيقية فى الواقع اللغوى التراثى والأدبى المعاصر، ويمتنع ورودها فى الاستعمال اللهجى العامى.

ذقن: وهو من أعضاء الوجه فى أسفله، ذقن الإنسان: مجتمع لحييه،

---

(١) أساس البلاغة ١٣٦ .

(٢) اللسان ٨/ ٩٣ .

(٣) أساس البلاغة ١٣٦ .

(٤) اللسان ٨/ ٩٥ .

وذكر ابن سيدة: الذقن: مجتمع اللحيين من أسفلهما(١)، وفي الحديث عن عائشة رضي الله عنها: (توفي رسول الله ﷺ بين سحرى ونحرى، وحاقنتى وذاقنتى) قال أبو عبيدة: الذاقنة: طرف الحلقوم(٢)، والعامة في مصر وبعض البلدان العربية يستعملون اللفظة فيما ينبت من شعر في هذا العضو من الوجه، إلى جانب الصدغين، فهم يقولون في مصر: حلقت ذقنى، أو أطلقت ذقنى، ونحوها، على سبيل الاستعمال المجازى.

وقد انتقلت الدلالة الحقيقية المحسوسة إلى الدلالة المجازية المحسوسة في الشعر النابت في هذا العضو، في إطار العلاقة: (المكانية) حيث ينبت جزء منه شعر الرجل في هذا العضو، أو في إطار العلاقة: (المنتج بالناتج) حيث ينتج من هذا العضو بعد اكتمال الرجل سن البلوغ شعر اللحية.

وتنوسيت الدلالة الحسية المجازية، وأصبحت دلالة حقيقية في الواقع اللغوى العامى في مصر وغيرها من البلدان العربية.

الذكاء: ذكت النار، تذكو ذكواً: اشتد لهيبها واشتعلت، وأنشد ابن الأعرابى: (الرجز)(٣):

* ينفخن منه لهبًا منفوخًا *

* لمعايرى لا ذكيًا مقدوحًا *

والذكاء: ممدود حدة الفؤاد، والذكاء: سرعة الفطنة، وهو من المجاز(٤)، وقد انتقلت الدلالة الحقيقة المحسوسة في الاشتعال وشدته إلى الدلالة المجازية المجردة في حدة الفؤاد وسرعة الفطنة، في إطار العلاقة:

---

(١) اللسان ١٣/ ١٧٢.
(٢) اللسان ١٣/ ١٧٢.
(٣) اللسان ١٤/ ٢٧٨.
(٤) اللسان ١٤/ ٢٧٨.

(السبب بالسبب) حيث يكون ذكاء النار بسبب شدتها وقوة لهيبها، وذكاء العقل بسبب توهجه وحدته.

وتنوسيت الدلالة المجازية، وأصبحت دلالة حقيقية في الواقع اللغوى التراثى والمعاصر الأدبى واللهجى العامى على السواء.

رجل: حرة رجلاء، وهى المستوية بالأرض، الكثيرة الحجارة، يصعب المشى فيها، وقال أبو الهيثم: حرة رجلاء، الحرة: أرض حجارتها سود، والرجلاء: الصلبة الخشنة، لا تعمل فيها خيل ولا إبل، ولا يسلكها إلا راجل[١]، وترجل البشر ترجلاً، وترجل فيها، كلاهما، نزل من غير أن يدلى[٢]، وذكر الزمخشرى من المجاز: كان ذلك على رجل فلان، أى: فى عهده وحياته، وترجلت الشمس: ارتفعت، وترجل النهار، وفلان قائم على رجله: إذا جدّ فى أمر حزبه[٣]، وفى حديث المسيب: (لا أعرف نبيًا هلك على رجله من الجبابرة، ما هلك على رجل موسى عليه السلام) أى: فى زمانه[٤].

وقد انتقلت الدلالة الحقيقية المحسوسة إلى الدلالة المجازية المعنوية فى إطار العلاقة: (السبب بالمسبب) فالرجل هى التى يترجل بها صاحبها، ويتحرك من مكان إلى مكان، وعهد الشخص وحياته، فى الدلالة المجازية تكون حركته وتنقله بواسطة رجله فهى دليل على الحياة.

وتنوسيت الدلالة المجازية، وأصبحت دلالة حقيقية فى الواقع اللغوى

(١) اللسان ١١/ ٢٦٩ - ٢٧٠.
(٢) اللسان ١١/ ٢٧٢، وأساس البلاغة ١٥٦.
(٣) أساس البلاغة ١٥٦.
(٤) اللسان ١١/ ٢٧٣.

التراثي، وكذا المعاصر الأدبي والعامي على السواء، والعامة يقولون: فعل كذا على رجلي، أي: في وجودي.

رغم: ألقاه في الرغام: في التراب[١]، وذكر الزمخشري من المجاز: رغم أنفه، رغم، ولأنفه الرغم، المراغمة، وهذا مرغمة للأنف[٢]، وجاء في اللسان: الرَّغم والرُّغم والرِّغم: الكره، والمرغمة: مثله، قال النبي ﷺ (بعثت مرغمة) (أي بعثت هوانا وذلاً للمشركين) وذكر ابن الأعرابي: الرغم: الذل، والقسر، قال الفرزدق يهجو جريراً: (الكامل):

تبكي المراغة بالرغام على ابنها

والناهقات يهجن بالإعوال

وفي الحديث، أنه عليه السلام، قال (رغم انفه ثلاثًا، قيل من يا رسول الله؟ قال: من أدرك أبويه أو أحدهما، ولم يدخل الجنة)[٣].

وقد انتقلت الدلالة الحقيقية المحسوسة إلى الدلالة المعنوية المجازية في معنى: الهلاك في إطار العلاقة: (المكانية) فالتراب: في الأرض، أي: في أسفل والذل والهوان والهلاك في الدلالة المجازية، تكون بسبب إنزال صاحبها مكانًا وضيعًا سافلاً نحو الأرض، وفي التراب، والعرب تعتز برفع الأنف باعتبارها موضع الشرف والكبرياء والمكانة الرفيعة، وخفضها نحو التراب، أو وضعها في التراب إهانة ومذلة.

وتنوسيت الدلالة المجازية، وأصبحت دلالة حقيقية في الواقع اللغوي التراثي والمعاصر، وتمتنع في الاستعمال اللهجي العامي.

(١) أساس البلاغة ١٦٩. (٢) أساس البلاغة ١٦٩.

(٣) اللسان ١٢/ ٢٤٥.

زعق: ماء زعاق: ملح شديد، لا يطاق شربه[١]، وجاء في اللسان: ماء زعاق: مر غليظ لا يطاق شربه من أجوجته وقال علي ـ كرم الله وجهه ـ[٢]:

دونكهـــا مـــتـــرعـــة دهــاقـــا

كـــأسًـا زعـــاقــا مـزجـت زعــاقـــا

ومن المجـاز: نعق المؤذن وزعق، وسمعت نعـقة المؤذن وزعقـته[٣]، وجاء فـي اللسان، وقـيل: الزاعق: الذي يسوق إبله، ويصـيح بهـا صيـاحًا شديدًا، ابن السكيت: مر يزعق بدوابه زعقًـا: أي يطردها مسـرعًا ويصيح في آثارها[٤]، والعامة تقول: يزعق لي، وأزعق له، وهو يتكلم بزعيق.

وقد انتقلت الدلالة الحقـيقية المحسوسـة إلى الدلالة المجازية في إطار العلاقة (السـبب بالمسبب) فملوحـة الماء وأجوجته تـسـبب نفورًا وتأذيًا من الشارب وارتفاع الصوت وعلوه يؤذي آذان المستمعين.

وتنوسيت الدلالة المجازية، وأصبحت دلالة حـقيقية في الواقع اللغوي التراثي والمعاصر، والأدبي واللهجي العامي على السـواء.

زمل: وزاملت الرجل على البـعير وزاملتـه: عادلته فـي المحل، وكنت زميله[٥]، وجـاء في اللســان: وزمله يزمله زملاً: أردفـه وعـادله، ابن دريد: زملت الرجل على البـعـير، فـهـو زميل ومـزمـول، إذا أردفتـه[٦]، وذكـر الزمـخشري مـن المجـاز: ما نحن إلا من الحـملة والرواء، وزوامل القلم والدواء، وأنت فارس العلم وأنا زميلك[٧].

---

(١) أساس البلاغة ١٩٢.

(٢) اللسان ١٠/ ١٤١.

(٣) أساس البلاغة ١٩٢.

(٤) اللسان ١٠/ ١٤٢.

(٥) أساس البلاغة ١٩٥.

(٦) اللسان ١١/ ٣١.

(٧) أساس البلاغة ١٩٥.

وقد انتقلت الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية في إطار العلاقة: (الكل بالجزئي) فالدلالة الحقيقية مقصورة على المرادف في البعير، في حين أفادت الدلالة المجازية كل معادل أو ملازم في العمل وفي الصناعة وفي التعليم وغيرها من أنواع المهن والحرف، حيث يقولون: هو زميلي في الدراسة، وفي العمل.

وتوسيت الدلالة المجازية، وأصبحت دلالة حقيقية في الواقع اللغوي التراثي والمعاصر، الأدبي واللهجي العامي على السواء.

سبر: سبر الجرح بالمسبار والسبار: قاس مقدار قعره بالحديدة أو بغيرها[١]، وذكر الزمخشري من المجاز: خبرت فلانًا وسبرته، وفيه خير كثير لا يُسبر[٢]، وجاء في اللسان: السبر: التجربة، وسبر الشيء سبراً: حزره وخبره[٣]، وقد انتقلت الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية في إطار العلاقة: (المكانية) حيث يكون سبر الجرح في الدلالة الحقيقية بمقياس مقدار عمقه، وسبر أغوار النفس ونحوها، بالغوص في أعماقها والتغلغل في خباياها.

وتوسيت الدلالة المجازية، وأصبحت دلالة حقيقية في الواقع اللغوي التراثي والمعاصر، ويندر شيوعها في الاستعمال اللهجي.

سبك: سبك الفضة: خلصها من الخبث، وكل معدن يسبك على هذا

---

(١) أساس البلاغة ٢٠٠، واللسان ٤/ ٣٢٠.

(٢) أساس البلاغة ٢٠٠.

(٣) اللسان ٤/ ٣٢٠.

النحو بتخليصه من الخبث[١]، وذكر الزمخشرى من المجاز: هذا كلام لا يثبت على السبك، وهو سباك للكلام، وفلان قد سبكته التجارب[٢].

وقد انتقلت الدلالة الحقيقية المحسوسة إلى الدلالة المجازية المعنوية في إطار العلاقة: (السبب بالمسبب) فالمعدن المسبوك، بسبب تخليصه من الخبث والشوائب، والكلام المسبوك بسبب تخليصه من الركاكة والضعف.

وتنوسيت الدلالة المجازية، وأصبحت دلالة حقيقية في الواقع التراثى والمعاصر على السواء، حيث يقال: هذا كلام مسبوك، والسبك في الصياغة اللفظية، شاعر ألفاظه مسبوكة محبوكة، وغير ذلك.

سدف: أسدفت المرأة قناعها، أرخت قناعها، والجفان مكللة بالسديف: وهو قطع السنام، وجاء في اللسان: والسديف: السنام المقطع، وقيل: شحمه، ومنه قول طرفه: (الطويل)[٣]:

* ويسعى علينا بالسديف المسرهد *

وذكر الزمخشرى من المجاز: أسدف الليل: أظلم، وجاء في اللسان: السدف بالتحريك ظلمة الليل، وأنشد ابن برى لحمد الأرقط: (الرجز):

* وسدف الخيط البهيم ساتره *

أبو زيد: السدفة في لغة تميم: الظلمة، قال: والسدفة في لغة قيس: الضوء وحكى الجوهرى عن الأصمعى: السُّدفة والسَّدفة في لغة نجد: الظلمة، وفى لغة غيرهم الضوء، وهو من الأضداد[٤].

(١) أساس البلاغة ٢٠١ واللسان ١٠/ ٤٣٨.

(٢) أساس البلاغة ٢٠١.

(٣) اللسان ٩/ ١٤٨ وأساس البلاغة ٢٠٣.

(٤) أساس البلاغة ٢٠٣، واللسان ٩/ ١٤٦.

وقد انتقلت الدلالة الحقيقية المحسوسة إلى الدلالة المجازية المعنوية فى إطار العلاقة: (السبب بالمسبب) حيث يكون القناع سببًا فى إخفاء وجه المرأة وتكون الظلمة سببًا فى إخفاء الضوء.

وتنوسيت الدلالة المجازية، وأصبحت دلالة حقيقية فى الواقع اللغوى التراثى المعاصر، وينعدم شيوعها فى الاستعمال اللهجى.

سعد: وساعد الإنسان: عضداه، وساعدا الطائر: جناحاه[1]، وذكر الزمخشرى ولم يجعله من المجاز: أسعدت النائحة الثكلى: أعانتها على البكاء والنوح، وجاء فى اللسان: لا إسعاد ولا عقر فى الإسلام وهو إسعاد النساء فى المناحات، تقوم المرأة، فتقوم معها أخرى من جاراتها، فتساعدها على النياحة[2].

وقد انتقلت الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية فى ضوء العلاقة: (السبب بالمسبب) حيث يكون الساعد فى الإنسان والطائر سببًا فى النهوض بالأعمال الصعبة عند الإنسان، والتمكين من الطيران عند الطائر، والإسعاد فى الدلالة المجازية تمكين الثكلى من النساء والمصابات فى عزيز أو نحوه، من البكاء والعويل، وقد نهى الرسول ﷺ عن هذا الإسعاد.

وتنوسيت الدلالة المجازية، وأصبحت دلالة حقيقية فى الاستعمال اللغوى التراثى، والواقع اللغوى المعاصر، والأدبى واللهجى على السواء، ويكثر استعمال ألفاظ المساعدة ويساعدنى وأساعده، ونحو ذلك.

سفر: ومن ذلك قولهم، امرأة سافرة، ونساء سوافر، وسفرت عن

---

(١) اللسان ٣/ ٢١٣.

(٢) أساس البلاغة ٢١١، واللسان ٣/ ٢١٦.

وجهها، وسفر الكتاب: كتبه، وأسفر الصبح: أضاء[١]، وذكر الزمخشري من المجاز: وجه مسفر: مشرق مسرور[٢]، وجاء في اللسان: وفي التنزيل ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ﴾ (عبس: ٣٨) قال الفراء: أي مشرقة مضيئة[٣].

وقد انتقلت الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية في إطار العلاقة: (السبب بالمسبب) حيث يكون السفور عند المرأة بكشف قناعها، فيسبب ذلك إظهاراً لمحاسنها ومفاتنها ووضاءتها، ويكون الوجه المسفر في غير النساء: بسبب انبساطه وإضاءته.

وتوسعت الدلالة المجازية، وأصبحت دلالة حقيقية في الاستعمال اللغوي التراثي، والواقع اللغوي المعاصر الأدبي واللهجي، ومن ذلك أيضاً: المسافر، وسمي بذلك بسبب أن المسافر يكشف قناع الكن عن وجهه، ومنازل الحضر عن مكانه، ومنزل الخفض عن نفسه، وبروزه إلى الأرض الفضاء[٤].

شأف: شئفت رجله وشئفت: إذا خرجت عليها الشأفة، وقيل قرحة[٥]، وجاء في اللسان: الشأفة: قرحة تخرج في القدم، وقيل: في أسفل القدم، وقيل: هو ورم يخرج في اليد والقدم من عود يدخل في النحصة أو باطن الكف، فيبقى في جوفها فيتورم الموضع ويعظم[٦]، وذكر الزمخشري من المجاز: واستأصل الله شأفتهم: عداوتهم وأذاهم[٧]، وجاء في اللسان: وفي

(١) أساس البلاغة ٢١٢، واللسان ٤/ ٣٦٩.
(٢) أساس البلاغة ٢١٢.
(٣) اللسان ٤/ ٣٦٩.
(٤) اللسان ٤/ ٣٦٨.
(٥) أساس البلاغة.
(٦) اللسان ٩/ ١٦٧.
(٧) اللسان ١٤/ ٤٢١.

الدعاء: استأصل الله شأفتهم، وذهب أن الشأفة تكوى فتذهب، والشأفة: العداوة، وقال الكميت (الوافر):

ولم نفـتـأ كـذلك كـل يوم

لشـأفـة داخـرٍ مسـتـأصلـينا.

وقد انتقلت الدلالة الحقيقية المحسوسة إلى الدلالة المجازية المعنوية في إطار العلاقة: (السبب بالمسبب) فالشأفة في الدلالة الحقيقية بسبب الجرح الذي يصيب القدم أو اليد، مما يؤدي إلى إيذاء وألم المصاب، والشأفة في الدلالة المجازية بسبب الإيذاء والعداوة.

وتنوسيت الدلالة المجازية، وأصبحت دلالة حقيقية في الواقع اللغوي التراثي، والمعاصر الأدبي، ويندر وجودها في الاستعمال اللهجي العامي.

شتا: قال ابن السكيت: السنة عند العرب اسم لاثني عشر شهراً، ثم قسموا السنة فجعلوها نصفين، فبدءوا بأول السنة أول الشتاء، لأنه ذكر والصيف أنثى، ثم جعلوا الشتاء نصفين، فالشتوي أوله، والربيع آخره[1].

وقال طرفة: (الطويل)[2]

حيـثـمـا قـاظوا بـنجـدٍ وشـتـوا

عنـد ذات الطـلح فـي ثنيـي وقـره

وقال يصف بنا له[3]:

* من يك ذا بت فـهـذابتي *

* مـقـيظ مـصـيف مـشـتي *

(١) اللسان ١٤/ ٤٢١ وأساس البلاغة ٢٢٩.

(٢) اللسان ١٤/ ٤٢١.

(٣) اللسان ١٤/ ٤٢١.

* تخـذته من نفـحـات ستِ *

ووردت على ألسنة المصريين فى معنى: المطر، يقـولون: الدنيا بتشتى، والشتا اليوم غرق الأرض، ونحو ذلك.

وقد انتـقلت الدلالة الحقيـقية إلى الـدلالة المجازية فى إطار العـلاقة: (المصدر الطبـيعى بالنتاج الطبيـعى) ففصل الشتـاء من شأنه أن ينتج مطراً، والمطر نتاج طبيعى يحدث فى فصل الشتاء فى مصر.

وتنوسيت الدلالة المـجازية وأصبحت دلالة حـقيقيـة فى الواقع اللغوى عند المصريين فى لغة خطابهم العامى اللهجى.

شنب: وقيل: الشنب: نقط بيض فى الأسنان، وقـيل هى حدة الأنياب، ويقول ذو الرمة: (البسيط):

لمـيـاء فـى شـفـتـيـهـا حـوة لعس

وفى اللـثـات وفى أنـيـابهـا شنب

ويقول بعضهم يصف الأسنان (الطويل)[1]:

فـتـصـبـهـا حـمش أصم يـزينه

عـوارض فـيـه شـنبـة وغـروب

وقال أبو العبـاس: اختلفوا فى الشنب: فقالـت طائفة هو تحزيز أطراف الأنياب، وقـيل: هو تفليجـها[2]، واستـعمل المصـريون اللفظة استعـمالاً مجازيًا فى الدلالة على: الشارب فى إطار العـلاقة (الجوار المكانى) حيث ينبت الشارب على أعلى الشفة العليا من الخارج.

---

(١) القاموس المحيط ١/ ٥٠٦ وما بعدها.

(٢) القاموس المحيط ١/ ٥٠٦.

وتنوسيت الدلالة المجازية، وأصبحت دلالة حقيقية في الواقع اللغوى في لغة الخطاب اللهجى عند المصريين، فيقولون: رجل له شنب طويل، وحلقت شنبى، وربيت شنبى، وغيرها من عبارات.

عجن: عجن الشيء يعجنه، واعتجنه: اعتمد عليه يجمعه ويغمره[1]، ومن المجاز: إن فلانًا عجن وخبز، أى: شاخ وكبر، لأنه إذا أراد القيام اعتمد على ظهور أصابع يده كالعاجن، وعلى راحتيه كالخابز[2]، وقال كثير:

رأتنى كأشلاء اللجام وبعلها
من الملء أيزى عاجن متباطن

وفى حديث ابن عمر ﷺ: (أنه كان يعجن في الصلاة، فقيل: ما هذا؟ فقال: رأيت رسول الله ﷺ يعجن في الصلاة) أى يعتمد على يديه إذا قام، كما يفعل الذى يعجن العجين[3].

وقد انتقلت الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية في إطار العلاقة: (الموضوع بالفعل) أو في إطار (الأداة بالفعل) فحركات العاجن للعجين في الدلالة الحقيقية من اعتماد على اليدين، هى نفسها حركات العجوز إذا أراد النهوض والقيام، وكذا المصلى إذا لم يقدر على القيام من السجود دون الاستعانة بيديه كالعاجن لكبره أو لعجزه.

وتنوسيت الدلالة المجازية، وأصبحت دلالة حقيقية في الواقع اللغوى

(١) اللسان ١٣/ ٢٧٧.

(٢) أساس البلاغة ٢٩٣ واللسان ١٣/ ٢٧٧.

(٣) اللسان ١٣/ ٢٧٧.

التراثي والمعاصر، الأدبي والعامي، فالعامة في مصر يقولون: فلان يعجن في كلامه، إذا خلط فيه.

قدح: القدح بالتحريك من الآنية، واحد الأقداح التي للشرب، وقيل: القداح والقداحة: الحجر الذي يقدح بها النار، والقداح: الحجر الذي يورى منه النار، قال رؤبة[١]:

* والمرء ذا القداح *

* مصبوح بالفلق *

ومن المجاز: اقتدح الأمر: تدبره وبينهما مقادحة، مقاذعة، من القدح، بمعنى: الطعن، ويقال: قدح في نسبه وعرضه[٢]، وجاء في اللسان: قال أبو زيد: ومن أمثالهم: أقدح بدفلي في قرح، مثل يضرب للرجل الأريب الأديب، وفي حديث علي - كرم الله وجهه - (يقدح الشك في قلبه بأول عارضة من شبهة) واقتدح الأمر: دبره ونظر فيه، قال عمرو بن العاص:

يا قاتل الله وردانا وقدحته

أبدى لعمرك ما في النفس وردان

وردان: غلام كان لعمرو بن العاص، وكان خصيًا فاستشاره عمرو في أمر علي ﷺ وأمر معاوية إلى أيهما يذهب، فأجابه وردان بما كان في نفسه، وقال له: (الآخرة مع علي، والدنيا مع معاوية، وما أراك تختار على الدنيا) فقال عمرو هذا البيت[٣].

وانتقلت الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية المعنوية في إطار العلاقة:

(١) اللسان ٢/ ٥٥٤ وأساس البلاغة ٣٥٦.

(٢) أساس البلاغة ٣٥٦.

(٣) اللسان ٢/ ٥٥٤.

(المتج بالناتج) حيث تنتج القداحة النار، وينتج التدبر فى الأمر والتفكير العميق فيه عن إعمال العقل الثاقب، وينتج الهجاء والطعن والتهجم عن الإمعان فى ذكر العيوب.

وتنوسيت الدلالة المجازية، وأصبحت دلالة حقيقية فى الواقع اللغوى التراثى والمعاصر، الأدبى دون العامى.

قرظ: دبغ الأديم بالقرظ وهو ورق السَّلم[١]، وجاء فى اللسان: القرظ: شجر يدبغ به، وقيل هو ورق السلم، يدبغ به الأدم، قال أبو حنيفة: القرظ: أجود ما يدبغ به الأهب فى أرض العرب، وهى تدبغ بورقه وثمره[٢]، ومن المجاز: قرظته تقريظًا: مدحته، وهما يتقارظان: يتمادحان، لأن القرظ يحسن ويزين صاحبه، كما يحسن القارظ الأديم[٣]، والتقريظ: مدح الإنسان وهو حى، والتأبين: مدحه ميتًا، وفى الحديث (لا تقرظونى كما قرظت النصارى عيسى)[٤].

وقد انتقلت الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية فى إطار العلاقة: (المنتج بالناتج) فعملية الدبغ تنتج جلوداً جيدة حسنة، وعملية المديح والإطراء تنتج ذكراً لمحاسن من الممدوح، ومناقبه وصفاته الطيبة الحسنة.

وتنوسيت الدلالة المجازية، وأصبحت دلالة حقيقية فى الواقع اللغوى التراثى، والمعاصر الأدبى دون العامى.

قطب: دارت بالرحى على قطبها، والأرجاء على أقطابها[٥]، وجاء فى

(١) أساس البلاغة ٣٦٢.
(٢) اللسان ٧/ ٤٥٤.
(٣) أساس البلاغة ٣٦٢.
(٤) اللسان ٧/ ٤٥٥.
(٥) أساس البلاغة ٣٧٠.

اللسان: القطب: القائم الذى تدور عليه الرحى، قال ابن الأثير: هى الحديدة المركبة فى وسط حجر الرحى السفلى(١)، وذكر الزمخشرى من المجاز: هو قطب قومه، وهم أقطاب بنى فلان(٢).

وقد انتقلت الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية فى إطار العلاقة: (الأداة بالمنفذ) حيث يمثل القائم الذى تدور عليه الرحى الأداة التى تنفذ عملية الطحن والصحن ونحوه، كما يمثل سيد القوم وزعيمهم القائم الذى يعتمد عليه قومه وشعبه وقبيلته.

وتنوسيت الدلالة المجازية، وأصبحت دلالة حقيقية فى الواقع اللغوى التراثى والمعاصر، الأدبى والعامى على السواء فالعامة فى مصر يقولون: يا قطب الرجال يا متولى، وهكذا ينسبون للولاة والأولياء هذه الصفة، باعتبارهم القوائم التى يعتمدون عليها فى التوجه إلى الله، فى إطار تمجيد المصريين وحفاوتهم بكرامات الأولياء.

قلد: قلدته السيف: ألقيت حمالته فى عنقه فتقلده(٣)، ومنها قول الشاعر: (مجزوء الكامل)(٤):

يا ليت زوجك قد غدا

فتقلد سيفا ورمحًا

وذكر الزمخشرى من المجاز: قلد العمل فتقلده، وألقيت إليه مقاليد الأمور، وضاقت عليه المقاليد: إذا ضاقت عليه أموره(٥).

(١) اللسان ١/ ٦٨٢.
(٢) أساس البلاغة ٣٧٠.
(٣) أساس البلاغة ٣٧٥.
(٤) اللسان ٣/ ٣٦٥.
(٥) أساس البلاغة ٣٧٥ واللسان ٣/ ٣٦٥.

وقد انتقلت الدلالة الحقيقية المحسوسة إلى الدلالة المجازية المعنوية في إطار العلاقة: (الموضوع بالفعل) حيث يكون فعل المتقلد سيفًا، متأهبا للأعداء ونحوهم، كفعل المتقلد أمرًا من الأمور، يكون حريصًا على إنجازه، والعمل على تحقيقه.

وتنوسيت الدلالة المجازية، وأصبحت دلالة حقيقية في الواقع اللغوي التراثي والمعاصر، وينعدم ورود الكلمة في استعمالات العامة.

كظم: كظم البعير جرته: ازدردها وأكف عن الاجترار[1]، وجاء في اللسان: وكظم البعير: إذا لم يجتر، قال الراعي (الكامل)[2]:

فأفضن بعد كظومهن بجرة

من ذي الأبارق إذا رعين حقيلا

وذكر الزمخشري من المجاز: كظم الغيظ وعلى الغيظ، وهو كاظم[3]، وجاء في اللسان: كظم الرجل غيظه: إذا اجترعه وحبسه، وفي التنزيل ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾ فسره ثعلب: الحابسين الغيظ، لا يجازون عليه، وروى عن النبي ﷺ قال (ما من جرعة يتجرعها الإنسان أعظم أجرًا من جرعة غيظ في الله عز وجل)[4].

وقد انتقلت الدلالة المحسوسة الحقيقية إلى الدلالة المجازية المعنوية، في إطار العلاقة: (الموضوع بالفعل) فحبس البعير لطعامه في جوفه، واقتناعه عن إرجاعه واجتراره في الدلالة الحقيقية، يماثله حبس الكاظم لغيظه وغمه وضيقه وإمساكه له.

(١) أساس البلاغة ٣٩٤.

(٢) اللسان ١٢/ ٥١٩.

(٣) أساس البلاغة ٣٩٤.

(٤) اللسان ١٢/ ٥١٩، ٥٢٠.

وتنوسيت الدلالة المجازية، وأصبحت دلالة حقيقية فى الواقع اللغوى التراثى والمعاصر الأدبى، ويندر وروده فى الاستعمال اللهجى العامى.

لبك: لبك الثريد: خلطه، واللبكة بالتحريك: اللقمة من الثريد، وقيل: القطعة من الثريد أو الحيس، وما ذقت عنده عبكة ولا لبكة، والعبكة: الحب من السويق ونحوه[١].

وذكر الزمخشرى من المجاز: لبكت على الأمر، والتبك على الأمر: التبس[٢]، وجاء فى اللسان: التبك الأمر: اختلط والتبس، وأمر ملتبك: ملتبس على النسب، وقال زهير: (البسيط)[٣]:

رد القيان جمال الحى فاحتملوا

إلى الظهيرة أمر بينهم لبكُ

وقد انتقلت الدلالة الحقيقة المحسوسة إلى الدلالة المجازية المعنوية فى إطار العلاقة: (الموضوع بالفعل) حيث يماثل الثريد فى أثناء خلطه فى الإناء أو نحوه، من اختفاء معالمه مع اللين أو السائل المخلوط فيه، ما يحدث من الالتباس والخلط فى الأمور، عندما تختفى معالم الأشياء وتداخل بعضها فى بعض.

وتنوسيت الدلالة المجازية، وأصبحت دلالة حقيقية، فى الواقع اللغوى التراثى والمعاصر، الأدبى والعامى اللهجى على السواء.

لحظ: اللحاظ: مؤخر العين مما يلى الصدغ، وفى حديث الرسول ﷺ (جل نظرة الملاحظة) ولحظه يلحظه: نظر بمؤخرة عينه من أى

(١) أساس البلاغة ٤٠٢ واللسان ١٠/ ٤٨٢.

(٢) أساس البلاغة ٤٠٣.

(٣) اللسان ١٠/ ٤٨٢.

جانبيه كان، يمينًا أو شمالاً، وهو أشد التفاتًا من الشزر، قال الشاعر: (الطويل)[١]:

لحظناهم حتى كأن عيوننا

بها لقوة من شدة اللحظان

ومن المجاز: اللِّحاظ بالكسر مصدر لاحظته إذا راعيته، ويقول: وضع المريض تحت الملاحظة، أي: الرعاية والاهتمام، ولاحظت الموضوع حتى نهايته، أي: اهتممت به وراعيته[٢].

وقد انتقلت الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية في إطار العلاقة: (الأداة بالمنفذ) حيث تكون مؤخرة العين أداة للنظر إلى الأشياء، ويكون الاهتمام بالأشياء ورعايتها عن طريق الملاحظة والمراقبة.

وتنوسيت الدلالة المجازية المعنوية، وأصبحت دلالة حقيقية في الواقع اللغوي التراثي، والمعاصر الأدبي والعامي اللهجي على السواء.

لغز: لغزا ليربوع حجرته وألغزها: حفرها ملتوية، مشكلة على داخلها[٣]، وجاء في اللسان: اللَّغز واللُّغز واللُّغَز والألغاز، كله: حفرة يحفرها اليربوع في حجرة تحت الأرض، وقيل هو: حجر الضب والفأر واليربوع بين القاصعاء والنافقاء، سمي لذلك، لأن هذه الدواب تحفر حفرًا مستقيمًا إلى أسفل ثم تعدل عن يمينه وشماله عروضًا تعترضها تعمية، ليخفى مكانه بذلك الإلغاز، وهو الأصل في الإلغاز[٤]، وذكر الزمخشري من المجاز: ألغز كلامه: عماه ولم يبينه، وجاء بالألفاظ الملغزة في

(١) اللسان ٧/ ٤٥٨.

(٢) اللسان ٧/ ٤٥٨.

(٣) أساس البلاغة ٤١٠.

(٤) اللسان ٥/ ٤٠٦.

شعره[١]، وجاء في اللسان: ألغز الكلام، والغز منه: عمى مراده وأضمره على خلاف ما أظهره، الفراء: اللغز، الكلام الملبس[٢].

وقد انتقلت الدلالة الحقيقية المحسوسة إلى الدلالة المجازية المعنوية في إطار العلاقة (الموضوع بالفعل) فعملية التعمية والإخفاء التي يقوم بها اليربوع أو الضب أو الفأر بعمل حفرة متفرعة عن الحفرة الرئيسية، تماثل ما يلجأ إليه الشخص في إخفاء مراده باستخدام الألفاظ الملبسة، وكأنه يلتوى بألفاظه وينحرف عن مدلولها، باستخدامها في مدلولات أخرى إمعانًا في الإخفاء.

وتنوسيت الدلالة المجازية، وأصبحت دلالة حقيقية في الواقع اللغوى التراثي والمعاصر، الأدبي والعامي اللهجي على السواء.

مدح: وتمدحت خواصر الماشية: اتسعت شبعًا، قال الراعي يصف فرسًا (الطويل):

فلما سقيناها العكيس تمدحت

خواصرها وازداد رشحًا وريدها

وقال ابن برى: الشعر للراعي، يصف امرأة، وهي أم خزر بن أرقم[٣].

ومن المجاز: مدحت فلانًا، والشاعر يمدح ممدوحه: يذكر خصاله الكريمة.

وانتقلت الدلالة الحقيقية المحسوسة إلى الدلالة المجازية المعنوية في إطار العلاقة: (الموضوع بالفعل) فما تكون عليه الخاصرة سواء للمرأة أو

(١) أساس البلاغة ٤٠١. (٢) اللسان ٥/ ٤٠٥.

(٣) اللسان ٢/ ٥٩٠.

للماشية من اتساع وتضخم، كما يكون عليه المادح عندما يغالى فى ذكر المحاسن والصفات الكريمة لدى ممدوحه.

وتنوسيت الدلالة المجازية، وأصبحت دلالة حقيقية، فى الواقع اللغوى التراثى والمعاصر الأدبي واللهجي.

نبغ: نبغ الوعاء بالدقيق: خرج لرقته، ونبغ الرأس: ثارت هبيرته[1]، ونبغ الدقيق من خصاص المنخل: خرج، وينبغ الوعاء بالدقيق، إذا كان دقيقًا متطايراً من خصاص عارض منه، ونبغ الماء[2]، وذكر الزمخشرى من المجاز: نبغت لنا منك أمور لم نتوقعها، ونبغ الشر: فشا وظهر، ونبغ فلان فى الشعر، إذا لم يكن فى إرث الشعر، ثم قال: فأجاد، ويقال إن النابغة قال الشعر على كبر سنه، فسمى النابغة[3]، وجاء فى اللسان: نبغ الرجل: لم يكن فى أربه الشعر، ثم قال وأجاد، ومنه سمى النوابغ من الشعراء، نحو الجعدى والذبيانى وغيرهما، قالت ليلى الأخيلية (الطويل)[4]:

أنابغ لم تنبغ ولم تك أولا

وكنت صفيًّا بين صدين مجهلا

وقد انتقلت الدلالة الحقيقية المحسوسة إلى الدلالة المجازية المعنوية فى إطار العلاقة (السبب بالمسبب) فالنبغ فى الدقيق ونحوه، هو خروجه من خصاصه وتطايره بسبب رقته، وكذلك النبوغ فى الفكر والعقل بسبب عمقه وإدراكه المفاجىء، فى الشعر وغيره من ضروب البلاغة والبيان، وشيوع ذلك وتطايره بين الناس.

(١) أساس البلاغة ٤٤٢.
(٢) اللسان ٨/ ٤٥٢ - ٤٥٣.
(٣) أساس البلاغة ٤٤٢.
(٤) اللسان ٨/ ٤٥٢ - ٤٥٣.

نجم: طلع النجم والأنجم والنجوم، ونجمت الكواكب: طلعت[١]، وذكر الزمخشرى من المجاز: نجم النبات والنار والقرن، ويقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾ (الرحمن: ٦)[٢].

وقد انتقلت الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية فى إطار العلاقة: (السبب بالمسبب) فالنجم فى السماء والكواكب، لأنها من الظهور واللمعان، وكذا الحال بالنسبة للنبات والشجر ونحوها، بسبب ظهورها على سطح الأرض.

وتنوسيت الدلالة المجازية وأصبحت دلالة حقيقية فى الواقع اللغوى التراثى، كما وردت فى القرآن الكريم.

نفق: النفقة والنافقاء: جحر الضب واليربوع، وقيل: موضع يرققه اليربوع من جحره، فإذا أتى من قبل القاصعاء، ضرب النافقاء برأسه فخرج[٣]، ومن المجاز: المنافق والمنافقون: الذين يقولون ما لا يفعلون، ويقول أبو عبيدة: سمى المنافق منافقًا، للنفق، وهو السرب فى الأرض، وقيل: إنما سمى منافقًا، لأنه نافق كاليربوع، وهو دخوله نافقاءه.. فيقال هكذا يفعل المنافق، يدخل الإسلام، ثم يخرج منه، من غير الوجه الذى دخل فيه، وفى الحديث (أكثر منافقى هذه الأمة قراؤها) أراد بالنفاق ههنا: الرياء: لأن كليهما إظهار غير ما فى الباطن.

وقد انتقلت الدلالة الحقيقية المحسوسة إلى الدلالة المجازية المعنوية فى إطار العلاقة: (الحال بالمحل) فجحر اليربوع والضب ونحوها، وما

(١) أساس البلاغة ٤٤٨.
(٢) أساس البلاغة ٤٤٨.
(٣) اللسان ١٠/ ٣٥٨.

يكون عليه من التعمية والإخفاء، كقلب المنافق، وما يكون عليه من إخفاء الكفر وإظهار الإسلام.

وتنوسيت الدلالة المجازية، وأصبحت دلالة حقيقية في الواقع اللغوى التراثي والمعاصر، والأدبي واللهجي على السواء.

هلس: أخذه الهلاس: وهن السلال[١]، وجاء في اللسان: الهلس والهلاس: شبه السلال، وفي التهذيب: شدة السلال، من الهزال، ورجل مهلوس، وهلسه الداء، قال الكميت: (الطويل)[٢]:

* يعالجن أدواء السلال الهوالسا *

ومن المجاز: الإهلاس: ضحك فيه فتور، وأهلس في الضحك: أخفاه وقال (الرجز)[٣]:

* تضحك مني ضحكًا إهلاسًا *

والعامة تقول: فلان هلاس، وهذا تهليس، وهو يهلّس في القول والفعل، والكلمة: تفيد دلالة الأفعال القبيحة المنافية للآداب والأخلاق.

وقد انتقلت الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية في إطار العلاقة: (الموضوع بالفعل) فالمريض بالسل وما يكون عليه من الوهن والضعف، لا يقدر إلا على الأشغال الهينة الضعيفة البسيطة، وكذا تكون أفعال الهلاس، التي توصف بالسفه والخفة وازدراء الناس.

وتنوسيت الدلالة المجازية، وأصبحت دلالة حقيقية في الواقع اللغوى التراثي، والمعاصر الأدبي واللهجي على السواء.

---

(١) أساس البلاغة ٤٨٦.

(٢) اللسان ٦/ ٢٤٩.

(٣) اللسان ٦/ ٢٤٩.

همج: أذل من الهمج، وهو ضرب من البعوض، وقيل: الذباب الصغير الذى يقع على وجوه الحمير واعينها، وقيل: دود يتفقا عن ذباب وبعوض[١]، وفى حديث على ـ كرم الله وجهه ـ (سبحان من أدمج قوائم الذرة والهمجة)[٢] وذكر الزمخشرى من المجاز: ما هم إلا همج رعاع[٣]، والهمج: الرعاع من الناس، وقيل: الأخلاط، وقيل: الهمل الذين لا نظام لهم، وقال الحارث بن حلزة: (الخفيف)[٤]:

يترك ما رقح من عيشه
يعيث فيه همج هامج

وقد انتقلت الدلالة الحقيقية المحسوسة إلى الدلالة المجازية المعنوية، فى إطار العلاقة: (المنتج بالناتج) حيث ينتج عن الدود والبعوض أذى يصيب عيون الحيوان والإنسان، كما ينتج عن الهمج والرعاع أذى يصيب الناس ويؤذيهم فى أنفسهم وفى مشاعرهم.

وتنوسيت الدلالة المجازية، وأصبحت دلالة حقيقية فى الواقع اللغوى التراثى، والمعاصر الأدبى واللهجى على السواء.

وشى: ثوب موشْى وموشّى، وهو ملبس الوشى[٥]، يقال: وشيت الثوب أشية. . حسنه ووشاه: نمنمه ونقشه وحسنه[٦]، وذكر الزمخشرى من المجاز: هو واش من الوشاة: لأنه يشى كلامه بالزور، ويزخرفه[٧]، وجاء

(١) أساس البلاغة ٤٨٧.
(٢) اللسان ٢/ ٣٩٢.
(٣) أساس البلاغة ٤٨٧.
(٤) اللسان ٢/ ٣٩٢.
(٥) أساس البلاغة ٥٠٠.
(٦) اللسان ١٥/ ٣٩٤.
(٧) أساس البلاغة ٥٠٠.

فى اللسان: ووشى الكذب والحديث: رقمه وصوره، والنمام يشى الكذب: يؤلفه يلونه ويزينه[١].

وقد انتقلت الدلالة الحقيقية المحسوسة إلى الدلالة المجازية المعنوية، فى إطار العلاقة: (السبب بالمسبب) فالثوب المزركش والمنمنم والمزين، بسبب ما يزين به من حلى ونحوها، وكلام الواشى وما فيه من مسحة رياء وكذب، تخدع المستمعين إليه بصدقه بسبب ما يزين به كلامه من زخرف وحلاوة وتأثير وغيرها من بديع المحسنات ونحوها.

وتنوسيت الدلالة المجازية، وأصبحت دلالة حقيقية فى الواقع اللغوى التراثى، والمعاصر الأدبى ويندر استعمالها فى اللهجات العامية.

* * *

(١) اللسان ١٥/ ٣٩٢.

أهم نتائج البحث

١- المجازات المنسية من الحقائق اللغوية، التى يؤكدها الواقع اللغوى فى استعمالات اللغة العربية الفصحى، قديمًا وحديثًا، وكذا الاستعمالات اللهجية العربية القديمة والحديثة.

٢- أدرك بعض العلماء العرب القدامى، وجود مثل هذا الاستعمال المجازى، وذكر بعضهم أمثلة لهذا الاستعمال الدلالى المجازى، وكيف انتقلت الصيغة اللغوية من دلالتها المجازية إلى دلالة حقيقية، بفعل الشيوع والذيوع، ومن هؤلاء اللغوى الألمعى، ابن جنى فى كتابه: الخصائص، واللغوى أبو هلال العسكرى فى كتابه: الصناعتين.

٣- يعد معجم: أساس البلاغة للزمخشرى واحدًا من المؤلفات المعجمية العربية التى عالجت المادة اللغوية من خلال الدلالة الحقيقية والمجازية، ووردت أمثلة عديدة للمجازات المنسية، ولكنه لم يذكرها على هذا الوجه، ولم يذكر كيفية تطور الدلالة المجازية وتحولها إلى دلالة حقيقية فى الواقع اللغوى.

٤- جعل الزمخشرى كثيرًا من الدلالات المعنوية، هى الدلالة الأصلية، تطورت عنها الدلالات المحسوسة، والعكس هو الصواب، وفقًا لما أقرته نظريات البحث اللغوى الحديث، التى تؤكد أسبقية الدلالات المحسوسة، وتطور الدلالات المعنوية عنها.

٥- لم تعالج المعاجم اللغوية العربية قضية المجازات المنسية، أو حتى

الدلالات المجازية معالجة لغوية تاريخية، تلقى الضوء على تطور الصيغ اللغوية، وعلى أسبقية بعض الدلالات على غيرها، وكيف تطورت الصيغ اللغوية، عن الصيغ المحسوسة ـ باستثناء كتاب: أساس البلاغة.

٦- يعد موضوع المجازات المنسية، من الموضوعات الدلالية الهامة التى ينبغى أن يهتم بها الدارسون والباحثون، للوقوف على حقائق الدلالة اللغوية وتطوراتها، بالرجوع إلى التراث اللغوى العربى القديم والحديث على السواء.

* * *

مراجع البحث

المراجع العربية:

١- أساس البلاغة، للزمخشري، تحقيق عبد الرحيم محمود ـ بيروت بدون تاريخ.

٢- أساس البلاغة، للزمخشري، طبعة دار الكتب الوطنية ـ القاهرة ١٩٧٢م.

٣- أسرار البلاغة، لعبد القاهر الجرجاني، عيسى البابي الحلبي ـ القاهرة ١٩٣٩م.

٤- إصلاح المنطق، لابن السكيت ـ القاهرة ١٩٥٦م.

٥- التطور اللغوي ـ مظاهره وعلله وقوانينه، د. رمضان عبد التواب ـ القاهرة ١٩٩٠م.

٦- التوليد الدلالي في البلاغة والمعجم، لمحمد غاليم ـ المغرب ١٩٨٧م.

٧- الخصائص، لابن جني، تحقيق: محمد علي النجار ـ القاهرة ١٩٥٢ - ١٩٥٦م.

٨- دلالة الألفاظ د. إبراهيم أنيس ـ القاهرة ١٩٥٨م.

٩- الصناعتين، لأبي الهلال العسكري، تحقيق: علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ـ القاهرة ١٩٧١م.

١٠- الطراز المتضمنة لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ليحيى ابن حمزة العلوي ـ القاهرة ١٩١٤م.

١١- علم الدلالة العربي، د. فايز الداية ـ دمشق ١٩٨٥.

١٢- علوم البلاغة، لأحمد مصطفى المراغي، المكتبة المحمودية التجارية ـ مصر.

١٣- العمدة، لابن رشيق ـ القاهرة ١٩٠٧م.

١٤- عوامل التطور اللغوي، لأحمد عبد الرحمن حماد ـ بيروت ١٩٨٣م.

١٥- القاموس المحيط، للفيروز ابادي ـ القاهرة ١٩١٣م.

١٦- لسان العرب، لابن منظور ـ بيروت ١٩٥٥ - ١٩٩٢.

١٧- المعتمد في أصول الفقه، لأبي الحسن محمد البصري، تحقيق محمد حميد الله وآخرين، المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية ـ دمشق ١٩٦٤م.

١٨- مفتاح العلوم، للسكاكي ـ القاهرة ١٩١٣م.

١٩- الموازنة، للآمدي، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد ـ بيروت بدون تاريخ.

٢٠- الموازنة، للآمدي، تحقيق: السيد أحمد صقر ـ القاهرة ١٩٦٥م.

٢١- المولد في العربية، د. حلمي خليل ـ ط٢ ـ القاهرة ١٩٨٥م.

المراجع الأجنبية

1- N, Chomsky: Aspects of the theory of syntax, trad France, 1971.

2- R. Jackandoff: Semantic interpretation in generative grammar, Cambridge, Mass, MIT press, 1972.

3- G, Lakoff and M, Johnson: Metaphers we live by, univ of Chicago press, 1980.

4- J, Lyons: Language meaning and context fontana paperarcks, 1980.

5- R, Matthews: Apropos d,une atheorie linguistique de la metaphore trad France partielle, 1971 and D,Dalas, 1978.

6- N, Ruwet: Apropose d,une class denerbes "Psychologiques" dans, N Ruwet,: theorie syntaxiqu et syntaxe du Francais seuil, Paris, 1972.

* * *

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات — الصـــفحة

دار المصري للطباعة
ت: ٧٧٤١٧٨٦ - ٠١٢٢٢٤٩٧٥